الجمهـورية الجزائرية الديمقراطية الشعـبية
وزراة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة وهران – السانيا -

كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية
قسم الحضارة الاسلامية

أساليب التعبير القرآني في وصف هلاك الأمم

- دراسة بـيانية-

مذكرة لنيل درجة الماجستير في الدراسات القرآنية

تقديم الطالبة:
بوعلي مريم

إشراف الأستاذ:
د.عشراتـــي سلـــيمان

لجنة المناقشة:

د.زعراط محمد	رئيسا
د.عشراتي سليمان	مقررا
د.الباي عزّ الدين	عضوا مناقشا
د.سلطاني الجيلالي	عضوا مناقشا

السـنة الجامعية
1425 – 1426هـ/ 2005-2006م

قبس



فَلَمّا نَسُواْ مَا ذُكّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلّ شَيْءٍ حَتّىَ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوَاْ أَخَذْنَاهُمْ
بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مّبْلِسُونَ (44)
فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الّذِينَ ظَلَمُواْ
وَالْحَمْدُ للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ(45).[1]

[1] سورة الأنعام آية 44-45.

كلمة شكر

[رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [النمل- الآية: ۱۹]

أحمد الله تعالى حمدا كثيرا يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه و أسلم وأرضى فيما استصعب علي من أمور فله في ذلك الحكمة.

وأشكره اعترافا بامتنانه و فضله و إحسانه... أوجدني من العدم...وفضلني على كثير من الأمم... وأرسل إلي رسولا من أكرم الأنبياء و الرسل محمد بن عبد الله ◆.

وأقدم شكري إلى كل من أعانني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث وأخصّ بالذكر أستاذي الفاضل **"عشراتي سليمان "** الذي أشرف على هذه المذكرة و تولاها بالرعاية و التوجيه لتخرج في أحسن صورة ممكنة، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أوجّه شكري إلى أساتذتي عبر مشوار حياتي الدراسية الذين كان لهم الفضل عليّ في تلقي العلم فلهم كلّ شكر و تقدير، وجزاهم الله عني خير الجزاء

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر لجميع المكتبات التي أمدّتني بمصادر البحث وكذا من تولى هذا العمل كتابة و طبعا فلهم خالص شكري وامتناني.

و الفضل لله ابتداء و انتهاء، و الحمد لله.

مريم.بوعلي

الكلمات المفتاحية

الرمز	دلالته
د	دكتور
أ	أستاذ
ط	طبعة
د.م.ط	دون مكان الطبع
د.د.ط	دون دار الطبع
د.س.ط	دون سنة طبع
د.ر.ط	دون رقم الطبعة
مج	المجلد
ج	الجزء
رقم،ص	عدد صفحات الكتاب
سم	طول الكتاب بالسنتيمتر
ع	العدد
تح	تحقيق
س	السنة

المقدمة :

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أنّ محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد...

إنّ الحديث عن أساليب التعبير القرآني حديث بالضرورة عن الأسلوب القرآني الذي امتاز بإعجازه في اللفظ والمعنى.

ومادام القرآن وهو كلام الله تعالى، ومع هذا لم يسلم من مطاعن وجهت إليه وشبه أثيرت حوله، فإن غرض بعض المستشرقين الحاقدين هو إثارة روح الشك في معتنقيه، مما يجعل كل ما يصدر عنه قابلا للرد.

وما تناوله القرآن من موضوعات كان عاما وشاملا في جميع مناحي الحياة الدنيوية وكذا الأخروية.

وقد تناول القرآن مسألة الأمم الهالكة تحت دائرة القصص القرآني بشيء من التفصيل وكرره في مواضع عدة بأساليب مختلفة كانت بحث البلاغيين قديما وحديثا.

ومسألة الحضارة مسألة قديمة حديثة متجددة لأنّها ترتبط بالإنسان وتطوره المادي، ومادامت الحضارة تعني التطور المادي والروحي على حدّ سواء، وما يعني الروح الدين والأخلاق، فلقد تناولت مسألة الأخلاق من ناحية الشرع والميزان الذي يربط الإنسان بغيره في الإسلام وكذا الديانات الأخرى ومن لا دين له.

وبما أن البحث في الدراسات البلاغية القرآنية لا يبلى مادامت معجزة القرآن قائمة إلى قيام الساعة، فلقد كانت دواعي البحث في هذا الموضوع هو تحصيل ولو جزء يسير من فهم الأسلوب القرآني الذي تناولته الكثير من الأقلام بالبحث.

كما أن التجديد ضرورة تفرضها العصرنة، وبما أن موضوع الحضارة وهو الأكثر تعلقا بالأمم، وما من حضارة إنسانية إلا ويصدق عليها في يوم من الأيام لفظ السقوط، وهي سنة الله الكونية، فإنه بالضرورة يجب الربط بين الأمم الهالكة وأسباب السقوط الحضاري.

كما أن موضوع الحضارة يتعلق أيضا بما تعيشه الأمم في واقعنا الحاضر.
ولما كان موضوع الأمم الهالكة مستقى من النص القرآني يكون من الواجب إيجاد علاقة بين أساليب التعبير القرآني وهلاك الأمم.

وإنّ الإقبال على مثل هذه الموضوعات مما يتعلق بالدراسات البلاغية القرآنية ليس بالأمر الهين، ولذلك بذلت جهدا كبير ووقتا طويلا في جمع المادة العلمية، ومع أن زادي قليل في مادة البلاغة بالمقارنة مع ما يتطلبه المستوى إلا أنني استطعت أن أحصل على جزء وإن كان غير كاف لأتمكن من خلاله أن أتناول هذا الموضوع.

لقد كان ما وقعت عليه يداي من كتب ومجلات سبيلا لي في سد بعض الثغرات التي عانيت منها في بداية البحث، كما كان سبيلا لي في أخذ تصور عام عن هذا الموضوع.

ولعل مباشرتي في العمل أعطاني الفرصة أكثر في الاستزادة والاستفادة معا، وهذا الغرض الأسمى الذي أطمح إليه.

ولا أدعي سلفا أن الموضوع لم يدرس من قبل، وقد سبق وأن قلت أن موضوع الدرس البلاغي وكذا الحضارات السابقة أسال الكثير من الحبر، فإنني أقول أن الموضوع درس ولكن بطرق مختلفة، أردت أن أجعل لنفسي طريقة أخرى باجتهاداتي المتواضعة، كما أن كتابات العلماء والمفكرين وجدتها متناثرة هنا وهناك في الموسوعة التراثية فحاولت جمعها ورصفها ووضعها في ثوب جديد أتمنى أن يكون جميلا إنشاء الله.

ولقد اعتمدت في معالجة الموضوع على المنهج الموضوعي الذي زاوجت فيه بين ما جاء في التاريخ واللغة والقرآن وحتى كتب الفكر، ولم أغفل عن إتباع المسلك التحليلي، وهذا سيرا مع ما اتبعه المفسرون والأدباء والمفكرون وكذا المؤرخون.

لقد حاولت أن أستلهم الأفكار من كل كتاب تناولته يداي بالقراءة مما يتعلق ببحثي هذا.

و لعل البعض يتساءل هل وجدت لدي صعاب في طريق البحث، ولا أنكر أن الحق تعالى حين قال: [لقد خلقنا الإنسان في كبد][1]، أنّ التعب مصيب الإنسان مادام على وجه الأرض إلى أن يأذن الله بنجاته في الآخرة.

أما الصعاب فهي عامة، لقد وجدت الظروف في الاتجاه المعاكس لي أتمنى من الله أن يصلح حالنا جميعا، أما المادة فكانت موجودة ولكن التعامل معها هو الأصعب وكذا عامل الوقت الذي كان ضيقا.

و ينقسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة: كل فصل خادم لغيره ومكمل له، ويتضمن كل فصل عدّة مباحث، وكل مبحث له مطالب.

فالفصل الأول سيكون في مفهوم وأوصاف القرآن وثنائية الهداية والعصيان من خلاله، سأحاول فيه التعريف بالقرآن الذي هو كمصدر تاريخي أصدق الآثار، وجريا على عادة العلماء في إعطاء تعريف لغوي وآخر اصطلاحي وأسماء للقرآن أحاول التعريف بشكل مختصر وإن كانت الكتب القديمة قد أفاضت في هذا وهو ما ليس مقصود بحثنا.

وسأعالج مسألة مهمة في المبحث الثاني وهي أوصاف القرآن وكيف وصفه الحاقدون من المستشرقين والمغرضين وكيف أثاروا فيه الشكوك سواء في مصدره أو أسلوبه أو ترتيب سوره، وغرضهم في هذا نقض القرآن من أساسه ليخلو لهم الجو في بث ما يريدونه من أفكار، أما المنصفون من المستشرقين والأدباء والبلغاء، فأورد بعض أقوالهم تعزيزا حتى لا نتهم بعدم الإنصاف في حقّ من كانوا عادلين، وأما الوصف الحقيقي للقرآن فيكفي فيه ما جاء في القرآن الكريم نفسه.

وسأتناول المبحث الثالث في ثنائية الهداية والعصيان، ولعلّ الأخلاق الكريمة التي يشترك فيها جميع الناس على أنها الأخلاق الإنسانية، والأخلاق التوحيدية التي تتعلق بالدين ومصير صاحبها إن التزمها ثواب الله، ولا يمكن أن يكون الإنسان إلا مكلّفا، وبهذه الأمانة يستحق الجزاء.

[1] سورة البلد: 4 .

أما **الفصل الثاني** فسيكون في جدلية الصلاح والفساد في القرآن، سأحاول في المبحث الأول إعطاء مفهوم للحضارة وتطورها وآراء المفكرين والفلاسفة في قيامها وكيفية تطورها، وأهم الفروق بين مصطلح الحضارة والمدنية والثقافة وسأتناول بشئ من التفصيل دورة الحضارة بين ابن خلدون وابن باديس وابن نبي.

كما أبرز حضارة الأمم الهالكة بتفصيل موسّع عن حضارة عاد وثمود وسبأ المبادة بسيل العرم معرّجة على القصص الثلاث في القرآن وفي التاريخ القديم.

أما المبحث الثاني، سأتناول فيه أسباب سقوط حضارات الأمم الهالكة؛ سأتحدّث فيها عن عنصر مهمّ وهو العقيدة الدينية والتي هي أهم سبب للسقوط الحضاري، وسأختار نموذجين يمثلان حضارتين عريقتين هما الحضارة المصرية والحضارة البابلية، وفي مقابلتهما موسى ونوح عليهما السلام، سأتحدث فيها عن معبودات كلّ قوم والآيات المرسلة فيها ودعوة كل نبيّ كما سأعقد مطلبا في تنظيم أسباب الهلاك في عناصر مختزلة هي أسباب عقائدية، وأسباب أخلاقية وأخرى اقتصادية.

أما **الفصل الثالث**، سيكون بعنوان الرؤية الجمالية والفنية في القصة القرآنية في وصف أوضاع النقمة وإهلاك الضالين وسأقسّم الفصل إلى مبحثين سأتناول في المبحث الأول الرؤية الجمالية والفنية القرآنية عند القدامى، سأتحدث عن الكلمة القرآنية وآراء علماء البيان مع ذكر أبرز هؤلاء العلماء منهم الجاحظ والرّماني والخطّابي والباقلاّني أمّا المطلب الثاني فيكون موازيا للأول سأتناول فيه نظرية النظم وأراء العلماء وسأختار أشهر من قال بها وهو عبد القاهر الجرجاني وأفصّل الحديث فيها وهذا لغزارة المادّة وقد أولت أهمية كبرى لها ولصاحبها، وعلى نهجه سار الزمخشري وانتصر للنظرية فأجعله في المصاف الثاني، أما الرازي فهو آخرهما لأنّه جمع آراء العالمين من خلال كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، أما المبحث الثاني سأتناول فيه موازاة للأول الرؤية الجمالية والفنية القرآنية عند المحدثين، أتناول في المطلب الأول التطبيقات الفنية في القصة القرآنية لأنّها تتعلق بتفسيرات قرآنية أوّل مفسّر لها الإمام الطاهر بن عاشور الذي شرح بيانية القرآن

من خلال الآيات، لقد كان لهلاك الأمم نصيب من هذا الإثراء، أما الإمام ابن باديس الذي أبرز خصائص الأسلوب العربي وجدنا في ثنايا تفسيره أحاديث عن أطوار الأمم وقد أفرد بحثا عن العرب في القرآن الكريم، أما الإمام أبو زهرة فقد شهد له كتابهم المعجزة الكبرى في حديثه عن الكلمة القرآنية بالباع الواسع في البلاغة العربية.

ولعلي حين أضيف للمبحث مطلبا يتعلق بالإشارات البلاغية في القصة القرآنية يكون ذلك معززا للبحث فأتحدث عن الأستاذ مصطفى الصادق الرافعي، أعرج على النشأة والبيئة التي تربى فيها لأنها العامل المساعد في تكوينه وأبرز الأسلوب الذي كان يكتب به والذي يشهد له به الكثيرون، وما كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية إلا جزء من الأسلوب الرفيع الذي كان يتمتع به والذي كانت مادة بحثنا مستقاة منه.

وأما الشيخ محمد الغزالي فأتحدث عن نشأته باختصار لأبين الوجهة القرآنية التي اتبعها منذ صغره والتي سارت معه في كبره إلى أن توفاه الله سبحانه، رحمه الله، وأفردت لمؤلفاته نصيبا مما يتعلق بالقرآن والدراسات القرآنية وأعطيت أمثلة من هذه الكتب في أحوال الأمم الهالكة وما يرتبط بها من أمم إنسانية.

ومن المصادر التي اعتمدت عليها كتب علوم القرآن، منها كتاب البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي، وكتب التفسير كالكشاف للزمخشري وجامع البيان للطبري والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وكتب البلاغة: كإعجاز القرآن للباقلاني ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني وغيره، وأما المراجع فأهمها مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ عبد العظيم الزرقاني الذي كان مرجعا أساسيا سار معي في جميع الفصول، وسلسلة مشكلات الحضارة لمالك بن نبي، ومجالس التذكير لابن باديس، وأما المجلات فكانت مجلة منار الإسلام أكثر المجلات المعتمدة بأعداد كثيرة، وكذا مجلة الأزهر التي أفادتني أكثر في الفصل الثالث، أما مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية فلقد كانت أكبر معين لي في رسم تصور شامل عن الفصل الثالث وأما الموسوعات

فاستعنت بالموسوعة العربية العالمية أفادتني في تراجم كثير من الأعلام ولا أنسى دائرة معارف القرن العشرين ودائرة المعارف الإسلامية.

هذا، وقد يكون البحث أفضل ما جادت به أفكاري ولا أدّعي السلامة من الخطأ، فإن كنت أصبت فمن الله وإن أخطأت فاستغفر الله، والله من وراء القصد.

إنّ القرآن الكريم عظيم الفضل رفيع المنزلة في حياة المسلمين جميعا ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وتتجلى مكانته السامقة في حفظه من كل تحريف وتبديل وفي إعجازه لجميع بني البشر أن يأتوا بأقصر سورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض عونا وظهيرا[1].

والقرآن في أجزائه يتناول موضوعات كثيرة يستطيع الباحث في أي مجال أن يستفيد منها.

فهو يتناول الحديث عن العقائد بشقيها الصحيح والباطل والعبادات بمجموعها والتي تشمل الطهارة والصلاة والصيام والزكاة وغيرها، ويتناول القصص والمواعظ؛ إذ يقدّم حديثا مفصّلا عن الجوانب المتعلقة بالحياة الدينية، وأنواع العبادات والمعتقدات، والصراع الذي اشتدّ بين أنصار العقيدة القائمة على التوحيد وأصحاب العقائد الوثنية، وأنواع الممارسات التعبّدية.[2]

كما يتناول الحديث عن العلوم والمعارف السابقة واللاحقة والتي لم تعرف لحد الساعة لما تضمنه هذا الكتاب من إعجاز من الناحية اللغوية البلاغية والمستقبلية.

ويتناول أيضا الحديث عن بلاغة القرآن وإعجازه، وتنوع علوم اللغة وكثرتها وأساليبها المتعددة التي تفوق سائر الأساليب اللغوية العالمية[3].

ونحن في هذا الفصل سنعتمد على تقسيم عملنا إلى ثلاثة مباحث: فالمبحث الأول سيشتمل الحديث عن مفهوم القرآن الكريم حيث سنعرّف القرآن الكريم تعريفا لغويا كما سنعرّفه تعريفا اصطلاحيا وسنذكر نماذج من أسماء القرآن إذ لا يمكن

[1] –د. مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو –الواضح في علوم القرآن– سوريا دمشق –دار الكلم الطيب –دار العلوم الإنسانية 1418هـ –1998م– ط 2– (336ص– 24سم)– ص5 من المقدمة.

[2] –د. محمد أمزيان –أصول المنهج المعرفي من القرآن والسنّة –مجلة المسلم المعاصر –شوال، ذو القعدة، ذو الحجة 1418هـ. فبراير، مارس، أبريل 1998م (223 ص –24 سم) –ع 87 –س 22 –ص 85

[3] –الشيخ. محمد عبد العظيم الزرقاني –مناهل العرفان في علوم القرآن –تصحيح أمين سليم الكردي –لبنان– بيروت –إحياء التراث العربي –1416هـ –1995م– ط 1– 676ص –24 سم –ج1 –ص 13 بتصرف.

الحديث عن القرآن وقضاياه دون تعريف له ودون إعطاء بعض أسمائه، وهذا جريا على عادة العلماء.

والمبحث الثاني سيتناول الحديث عن أوصاف القرآن الكريم، سنحاول فيه معالجة قضية الافتراء على القرآن الكريم وهذا بعرض بعض النماذج من افتراءات الحاقدين عليه، والرد على الشبهات المثارة، وسنأتي في مقابل ذلك بأقوال المنصفين من المستشرقين ولا نهمل إعطاء وصف متميز للقرآن لتتضح الصورة بجلاء.

كما سيكون المبحث الثالث في الحديث عن ثنائية الهداية والعصيان من خلال القرآن وهو حديث عام تخرج منه الصورة الجزئية التي تمثل بحثنا وهي هلاك الأمم وهو ما سنعرفه لاحقا في الفصل الثاني.

المبحث الأول
مفهوم القرآن الكريم
وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : التعريف اللغوي للقرآن

المطلب الثاني : التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم

المطلب الثالث : أسماء القرآن الكريم

المبحث الأول: مفهوم القرآن الكريم

تختلف رؤية العلماء كثيرا في إعطاء تعريف للقرآن الكريم من الناحية اللغوية وهذا راجع إلى الأدلة المعتمدة من كل فريق.

كما أن الناحية الاصطلاحية عرفت بعض الاختلافات ولكنه اختلاف شكلي أكثر منه تفصيلي، وأما الاختلاف التفصيلي الذي يقع في بعض الأحوال فهو راجع إلى مجال اختصاص العلماء؛ فنجد العالم اللغوي يتناوله في مجال اللغة، والعالم الأصولي يتناوله من زاوية الأصول، وهو ما ينطبق على عالم الاجتماع وعالم القراءات والمتخصص في علوم القرآن، وكل آرائهم تصب في مصب واحد أن القرآن كلام الله.

ويختلف المتكلمون مع هؤلاء العلماء في الكلام النفسي، وإن كانوا يشتركون مع غيرهم في الكلام اللفظي.

وبما أن كلام الله منزه، وقد خص الله كتابه بأجل الأسماء وأحسنها، فقد أولى علماء القرآن أهمية لأسماء القرآن وخصصوا للحديث عنها جزءا مهمّا من كتبهم، وهو ما سنراه في تناونا للمبحث الأول بعد الحديث عن تعريفات القرآن اللغوية والاصطلاحية.

المطلب الأول: التعريف اللغوي للقرآن

يطلق لفظ القرآن على اللفظ المنزل كله كما يطلق على البعض منه[1]، وقد قيل أن لفظي قرآن حقيقة في كل منهما، وعلى هذا يكون مشتركا لفظيا، وقيل إن إطلاقه على الكل حقيقة وعلى البعض مجاز[2].

وقد اختلف أهل العلم والبيان في تعريف القرآن لغة واشتقاقا على خمسة أقوال[3]:

القول الأول[4]: جاءت كلمة القرآن مشتقة من الفعل قرأ بمعنى تلا، ودليلهم في ذلك قوله تعالى: [إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه][5] أي قراءته.

---

[1] –أ. محمد الصالح الصديق –البيان في علوم القرآن –الجزائر –المؤسسة الوطنية للكتاب –1989 –د.ر.ط – (343ص –21 سم)– ص 43 بتصرف.

–د. عبد العزيز صقر –القرآن وحاجة الإنسانية إليه –مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية –الكويت –مجلس النشر العلمي –في جامعة الكويت –ذو القعدة 1413هـ. مايو 1993م –(338ص–24 سم) –س 08 –ع 20 – ص 18.

–د. عبد المنعم النمر –علوم القرآن الكريم –مصر – القاهرة –لبنان –بيروت –دار الكتب الإسلامية –دار الكتاب المصري –دار الكتاب اللبناني – 1403هـ/1983م –ط.2 –(230 ص –24 سم) –ص 05 بتصرف.

[2] –محمد الصديق –البيان في علوم القرآن –ص 43 بتصرف.

[3] –الشيخ. أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور –لسان العرب –لبنان –بيروت –دار صادر – 1374هـ /1955م، 1412هـ/ 1992م –ط.1 –(807ص – 24 سم)–مج 1 –ص 129 – مادة قرأ.

–أ. غازي عناية – هدى الفرقان في علوم القرآن –الجزائر –باتنة –دار الشهاب – 1408هـ/1988م –د.ر.ط –(307ص –22,5 سم) –ج1–ص 20–22.

–أ. محمد إبراهيم الحفناوي –دراسات في القرآن الكريم –مصر –القاهرة –دار الحديث –د.س.ط –د.ر.ط – (485ص–24سم) –ص13–15.

[4] –أ. أمير عبد العزيز –دراسات في علوم القرآن –الجزائر –باتنة –د.م.ط –1408هـ/1988م –ط.2 – 289ص–ص09.

–أ. إبراهيم الأبياري –تأريخ القرآن –مصر –القاهرة –لبنان –بيروت –دار الكتاب المصري –دار الكتاب اللبناني –1411هـ/1991م –ط.3 –(199ص –24 سم) –ص 100.

[5] –القيامة: 17–18.

قال ابن عباسτ في تفسير الآية: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل بـــه[1]، وهذا القول لأبي الحسن اللحياني[2].

القول الثاني[3]: أنها مشتقة أيضا من الفعل قرأ بمعنى جمع[4]، ودليلهم: علـــى اعتبار أن القرآن يجمع علوم الكتب السماوية وسائر العلوم كلها مصداقا لقوله تعالى: [ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء][5]ومن القائلين به هو أبو إسحاق الزَّجّاج[6].

القول الثالث[7]: أنها مشتقة من الفعل قرن بمعنى ضم، ودليلهم: على اعتبـــار أن السور والآيات تقرن إلى بعضها البعض أي تضم إلى بعضها الـــبعض، ومـــن القائلين به أبو الحسن الأشعري[8].

---

[1] –الشيخ الراغب الأصفهاني – المفردات في غريب القرآن –تح: محمد خليل عتاني –لبنان – بيروت – دار المعرفة –1418هـــ/1998م –ط.1– (555ص –24 سم) – ص 400.

[2] –اللحياني، أبو الحسن علي بن حزم، فإنه كان من أكابر أهل اللغة وله نوادر، ومن نوادره أنه حكى عن بعض العرب أنهم يجزمون بـــ"لن" وينصبون بـــ "لم" وعلى هذه اللغة قراءة من قرأ [ألم نشرح لك صدرك] سورة الشرح:01. بفتح الحاء، قال سلامة: كان اللحياني أحفظ الناس للنوادر عن الكسائي والفراء والأحمر. ينظر:الشيخ أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري –نزهة الألباء في طبقات الأدباء –تح:محمد أبو الفضل إبراهيم –مصر –القاهرة –دار الفكر العربي –1998م –د.ر.ط –(428ص –24سم)–ص157.

[3] –أ. أمير عبد العزيز –دراسات في علوم القرآن –ص 09. –أ. الأبياري –تأريخ القرآن –ص 101.

[4] –الإمام عبد الرحمن بن الجوزي –منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم –(كتب: الدراسات القرآنية) –تح: أ.محمد السيد الصفطاوي، د. فؤاد عبد المنعم أحمد –مصر –الإسكندرية –منشأة المعارف –د.س.ط –د.ر.ط –(324ص –24سم) –ص 198.

[5] – سورة النحل: جزء من آية 89.

[6] –أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، من أكابر أهل العربية صنف مصنفات كثيرة منها كتاب المعاني في القرآن، كتاب الفرق بين المؤنث والمذكر، كتاب فعلت وأفعلت، والرد على فعلت في الفصيح، ...وكان صاحب اختيار في علمي النحو والعروض توفي سنة 311هـــ. ينظر: الشيخ الأنباري –نزهة الألباء –ص 216.

[7] –أ. عدنان زرور –القرآن ونصوصه – سوريا –دمشق –مطبعة خالد بن الوليد –1399م/1400هـــ. 1979م/1980م –د.ر.ط –(433ص –24 سم) –ص 37.

[8] –أبو الحسن علي بن إسماعيل (260 –324هـــ)، من أحفاد الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، كان معتزليا ترك مذهب الاعتزال فيما بعد وأعلن توبته عن القول بمسائل الاعتزال كخلق القرآن، وله مؤلفات تربو على المائة ولم يصل إلينا منها إلا القليل من أشهرها: مقالة الإسلاميين، اللمع، والإبانة عن أصول الديانة.

القول الرابع[1]: أنها مشتقة من الفعل قرن ولكن بمعنى دل على، أو أشار إلى، ودليلهم: أن آيات القرآن قرائن على بعضها البعض ودالة على بعضها البعض، ومشيرة إلى بعضها البعض شبها ونسقا، ومن القائلين به أبو زكريا الفراء[2].

القول الخامس: هو اسم علم جامدة غير مشتقة وقد وقع القول على أنها وقع الارتجال[3] فيها بإطلاقها، وقد خصت بالكتاب المنزل على محمدε فصارت له كالعلم الشخصي، كما أن التوراة لما أنزل على موسىυ، والإنجيل علىعيسىυ ، ودليلهم: أن القرآن لو كان مشتقا من الفعل قرأ لأمكن إطلاقه على كل ما هو مقروء ولو كان تأليفا بشريا وهذا لا يجوز، وهذا القول محمد بن إدريس الشافعي[4].

ينظر: (دائرة المعارف العالمية، باحثون عرب في مختلف مجالات المعرفة) –الموسوعة العربية العالمية – المملكة العربية السعودية –الرياض –مؤسسة أعمال الموسوعة، مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية –1999م –ط.2 –(447ص –24 سم) –مج 02 –ص 227.

[1] –أ. أمير عبد العزيز –دراسات في علوم القرآن –ص09.

[2] –الفراء، أبو زكريا يحي بن زياد (144 –207هـ) ولد بالكوفة من أصل فارسي تبحر في علوم كثيرة جدا، فحدق علوم العربية والدين، والطب والفلسفة والأنواء والنجوم، وبرع في النحو حتى لقب بأمير النحو، مؤلفاته كثيرة أهمها كتابه معاني القرآن، الحدود، والمقصور والممدود، الوقف والابتداء، النوادر، ما تلحن فيه العامة... ينظر: الموسوعة العربية العالمية –مج 17 –ص 255.

[3] –المرتجل: هو ما استعمل من أول الأمر علما أو ما لم يتقدم له استعمال في العلمية ولو كان فيه معنى الوصفية، مثل: محمد (وإن كان معناه حمده الخلق)، وسعاد (اسم امرأة)، أدد (اسم رجل وهو أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن حمير اليمني كان أبا قبيلة). ينظر: الشيخ ابن هشام الأنصاري –أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك –تح: ح. الفاخوري –لبنان –بيروت –دار الجيل –1409هـ/ 1989م –ط.1 –(334ص –24 سم) –مج1 –ج1 – ص97. وينظر: الشيخ أبو زيد عبد الرحمن المكودي –شرح المكودي على الألفية –ضبط: إبراهيم شمس الدين –لبنان –بيروت –دار الكتب العلمية –1417هـ/1996م – ط.1 –(359ص –24 سم) –ص 29. وينظر: محاضرات الشيخ الأطرش السنوسي في علم النحو –شرح ألفية ابن مالك –ألقى المحاضرة بمسجد الموحدين –الجزائر–وهران –بتاريخ 1421هـ/2000م –محاضرة العلم.

[4] –أ.مناع القطان –مباحث في علوم القرآن –مصر – القاهرة –مطابع المختار الإسلامي – مكتبة وهبة – 1408هـ/1990م –ط. 6 – (392ص –24سم) –ص 16.

–الشيخ الراغب الأصفهاني –المفردات في غريب القرآن –كتاب القاف –قرأ –ص 400.

–أ. غازي عناية –هدى الفرقان – ج 1 –ص 22.

القول المختار: استنادا إلى الدليل من الآية القرآنية –وهي الآية 17، 18 من سورة القيامة– واستنادا إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق فإن الرأي الراجح لدي هو ما اختاره بعض العلماء المعاصرين كأمثال الزرقاني وأمير عبد العزيز. وبالتالي فإن لفظ القرآن في اللغة هو مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى [إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه][1]، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبيε من باب إطلاق المصدر على مفعوله[2].

تعليل رد الأقوال الأخرى:

إن القول بأن القرآن وصف من القرء بمعنى الجمع، أو أنه مشتق من القرائن، أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء، أو أنه مرتجل أي موضوع من أول الأمر علما غير مهموز ولا مجرد من "ألـ"، فكل أولئك لا يظهر له وجه وجيه ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة، ولا من بعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة. وبالتالي فلفظ قرآن مهموز، وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف وإذا دخلته "ألـ" بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف[3].

الشافعي، محمد بن إدريس (150 –204هـ)، ولد بغزة بفلسطين، تلقى فقه مالك على يد مالك، أصول مذهبه الكتاب، السنة، الإجماع، القياس، العرف، الاستصحاب، وقد دوّن مذهبه بنفسه، ألف في مذهبه القديم "الحجة" بالعراق، وأما كتابه الذي أملاه في مصر فهو "الأم". ويعد أول من ألف في علم أصول الفقه ويتضح ذلك في كتابه المسمى "الرسالة". ينظر: الموسوعة العربية العالمية –مج 14 –ص22 بتصرف.

[1] –القيامة: 17– 18.

[2] –الشيخ الزرقاني –مناهل العرفان –ج1 –ص 16.

[3] –نفس المرجع –ج.1 –ص 16.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم[1]

يتعذر تحديد التعاريف المنطقية للقرآن الكريم ذات الأجناس والفصول والخواص بحيث يكون تعريفه حدا حقيقيا، والحد الحقيقي له هو استحضاره معهودا في الذهن أو مشاهدا بالحس كأن تشير إليه مكتوبا في المصحف أو مقروءا باللسان فتقول: هو ما بين الدفتين أو تقول: هو من [بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين][2]... إلى قوله: [من الجنة والناس][3].

وبالتالي فإن ما ذكره العلماء من تعريف "القرآن" –اصطلاحا– بالأجناس والفصول لتمييزه عما عداه مما قد يشاركه في الاسم –ولو توهما– ذلك أن سائر كتب الله تعالى، والأحاديث القدسية، وبعض الأحاديث النبوية، تشارك القرآن في كونها وحيا إلهيا، فربما ظن أنها تشاركه في اسم القرآن أيضا، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنواع، فقال أكثرهم في تعريفه "هو الكلام المعجز المنزل على النبيε المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[4].

ولعل التعريف الأول الذي يقول به أكثر العلماء هو محل اتفاق بين أهل الأصول والفقه وعامة العربية[5]، ولعله يكون التعريف السليم الشامل للقرآن الذي يرد على نحو جامع مانع، لأنه يتسم بالدقة والشمول بحيث يتناول كل حقيقة لمفهوم الكتاب الحكيم[6].

---

[1] –أ. مناع القطان –مباحث في علوم القرآن –ص 16.

[2] –الفاتحة: 1–2.

[3] –الناس: 6.

[4] –د. عدنان زرزور –القرآن ونصوصه –ص38–ج18 (ق) –ص 120.

[5] –د. عبد السلام الشريف –دراسات قرآنية –ليبيا –بن غازي –دار الكتب الوطنية –الدار الجماهيرية – 1399هـ/1990م –ط1 –(144ص–24سم) –ص 12.

[6] –أ. أمير عبد العزيز –دراسات في علوم القرآن –ص 10.

ومن الجدير بالذكر أن اختلاف العلماء في تعريف القرآن اصطلاحا يرجع إلى اختلاف وجهة دراستهم فمنهم من تناوله بالتعريف من الناحية اللغوية[1]، ومنهم من اعتمد الناحية الأصولية[2]، ومنهم من اقتصر على علم الاجتماع[3]، وآخرون اعتمدوا الناحية القرآنية[4]، وتجدر الإشارة إلى أن البعض عرفه بما تمليه عليه معارفه الدينية كما فعل الإمام أبو حامد الغزالي حين قال القرآن هو البحر المحيط[5]. المحيط[5].

والذي يتبين لنا من تعاريف القرآن الكريم اصطلاحا أن وجهة نظر العلماء لا تكاد تتباين كثيرا بل يشترك معظم عناصرها مع بعض ويشترك المتخصصون في كل ميدان مع بعضهم فيما يحتاجونه من هذه الدراسة، كما يشترك معهم المتكلمون أيضا في إطلاقهم الثالث للقرآن وهو على النحو التالي:

ينقسم كلام الله إلى كلام لفظي وكلام نفسي: فالذين يطلقونه إطلاق الكلام اللفظي هم الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية وإن شاركهم فيه المتكلمون أيضا بإطلاق ثالث، لأن غرض الأصولي والفقيه من الألفاظ هو الاستدلال على الأحكام

[1] -ينظر: أ.عبد السلام الشريف -دراسات قرآنية -ص 11.

[2] -ينظر: الشيخ علي بن محمد الآمدي -الإحكام في أصول الأحكام -تح: د.السيد الجميلي -لبنان -بيروت - دار الكتاب العربي -1418هـ/ 1998م -(351ص -24,5 سم) -مج1 -ج1 -ص 211.

[3] -ينظر: العلامة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون -مقدمة ابن خلدون، وهو الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر -تح: أ. حجر عاصم -لبنان -بيروت -منشورات دار ومكتبة الهلال -1991م -د.ر.ط -(374ص - 29,5 سم) -ص 278.

[4] -ينظر: أ. محمد الصادق قمحاوي -البرهان -في تجويد القرآن ويليه رسالة في فضائل القرآن -مصر - القاهرة -مكتبة الكليات الأزهرية -د.س.ط -د.ر.ط -(53 ص -24 سم) -ص 46. وينظر: أ. محمد الصادق قمحاوي -شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردّها -مصر -القاهرة -دار الكتب -دار الأنوار -1389هـ/ 1978م -ط.1 -(185 ص - 23,5 سم) -ص 07. وينظر: أ.غازي عناية -هدى الفرقان -ج1 -ص22.

[5] -ينظر: الإمام أبو حامد الغزالي -جواهر القرآن -تح: د. الشيخ رشيد رضا القباني -الجزائر -البليدة -قصر الكتاب -طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية -وحدة الرغاية -1989م -د.ر.ط -(215ص -23,5سم) -ص 21.

وهذا لا يكون إلا بالألفاظ وكذلك عالم العربية يعنيه أمر الإعجاز فلا جرم أن كانت وجهته الألفاظ[1] وأما الذين يطلقونه إطلاق الكلام النفسي هم المتكلمون لأنهم المتحدثون عن صفات الله تعالى النفسية من ناحية، والمقررون لحقيقة أن القرآن كلام الله غير مخلوق من ناحية أخرى، وهم يهتمون أيضا بتقرير وجوب الإيمان بكتب الله المنزلة ومنها القرآن، وبإثبات نبوة الرسولε بمعجزة القرآن، ولا شك أن ذلك كله مناطه الألفاظ، فلا بدع أن ساهموا في هذا الإطلاق الثالث[2].

والمتكلمون يعرفون القرآن بإطلاقهم الثالث كما يلي: القرآن هو اللفظ المنزل على النبيε من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس، الممتاز بمظاهر وصور لتلك الكلمات الحكمية الأزلية المترتبة في غير تعاقب المجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية[3].

ونحن إذ نورد بعض هذه التعريفات التي لم تعد إشكالية العصر في الدراسات الإسلامية الحديثة إلا أننا لا نستطيع إغفالها ما دامت تتعلق بالدراسات القرآنية وما زال البعض من الكتاب المعاصرين يتعرض لها ولو بصفة موجزة، وهو نفس الأمر بالنسبة لأسماء القرآن.

[1] –الشيخ الزرقاني –مناهل العرفان –ج1 –ص 18 بتصرف.

[2] –نفس المرجع –ج1 –ص 18.

[3] –نفس المرجع –ج1 –ص 18، 19.

المطلب الثالث: أسماء القرآن

إن القرآن الكريم أسّ الإسلام وهو الكتاب المقدس لمئات الملايين من بني الإنسان، بعضهم ورثة حضارات عتيقة مترامية في العراقة والقدم، وكلهم يعتقدون أنه كلمة الله المباشرة، أنزلها على رسوله محمدε في مكة والمدينة وما بينهما من أرض الحجاز على مدى ثلاث وعشرين سنة[1]، لهذا أولى العلماء عناية خاصة بهذا الكتاب فأفردوا بحوثا تهتم بإعجاز القرآن وتتناول مجالاته كما أفردوا بابا خاصا في ذكر أسمائه وهذا يدل على الأهمية الكبرى التي اكتساها القرآن أكثر من غيره من الكتب، وبما أن الله تعالى أعطى لكتابه أجل الأسماء وأفضلها وأعظمها ليخالف ما كان عليه العرب في تسمياتهم لكلامهم بالديوان والقصيدة والبيت، ولأن كلام الله تعالى منزه، وكلام البشر مهما علا واستعلى فيبقى كلاما ناقصا لا يرقى لا من حيث الأسلوب ولا من حيث الاسم إلى الأسلوب القرآني، بل لا وجه للمقارنة، ولأن القرآن يتصف بجميع أوصاف الكمال والجلال ارتأيت أن أخصص جزءا صغيرا من البحث في الحديث عن أسماء القرآن.

يرى الأستاذ درّاز أن تسمية القرآن الكريم بالقرآن وبالكتاب، إنما تعني الأولى كونه متلوا بالألسن، بينما تعني الثانية كونه مدونا بالأقلام[2]، وأما في تسمية القرآن الكريم بهذين الاسمين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه[3].

وبناء على ما سبق ففي التسمية إشارة إلى أن الله سوف يحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا[4] أن تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى فلا ثقة لنا لحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع

[1] –الشيخ محمد لطفي جمعة –نظرات عصرية في القرآن الكريم –تقديم: أ.جاد الحق علي جاد الحق –مصر – القاهرة – عالم الكتب –1411هـ/1991م –د.ر.ط –(558ص –24سم) – ص 15.

[2] –د. محمد عبد الله دراز –النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن –الكويت –دار القلم –1397هـ/1977م – د.ر.ط –(216ص –21 سم) –ص 12 بتصرف.

[3] –أ.عبد السلام الشريف –دراسات قرآنية –ص 13.

[4] –أ. حسن سري –الرسم العثماني للمصحف الشريف، مدخل ودراسة –مصر –الإسكندرية –مركز الإسكندرية للكتاب –1418هـ/1998م –ط.1 – (319ص – 24 سم)– ص 4.

عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيل بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفّاظ بالإسناد الصحيح المتواتر ويعتبر اسم قرآن وفرقان من أشهر أسماء النظم الكريم في حين أن الأسماء الأخرى تأتي في المرتبة الموالية لهذين الاسمين وأشهرها الكتاب والذكر والتنزيل[1].

وأما وجه تسميته بالفرقان لأنه فرّق بين الحق والباطل وجّهه بذلك مجاهد كما أخرجه ابن أبي حاتم، قال تعالى[تبارك الذي نزل الفرقان على عبده][2] وقد ذكر المظفري في تاريخه لما جمع أبو بكر القرآن قال: سموه، فقال بعضهم: سمّوه إنجيلا، فكرهوه، وقال بعضهم: سمّوه السّفر، فكرهوه من يهود، فقال ابن مسعودτ: "رأيت للحبشة كتابا يدعونه المصحف فسمَّوه به"[3].

وقد تجاوز صاحب البرهان حدود التسمية، فبلغ بعدتها خمسة وخمسين[4]، وأسرف غيره في ذلك حتى بلغ بها نيفا وتسعين كما ذكره صاحب التبيان[5].

ومن الآيات القرآنية التي تدل على أسماء القرآن المشتهرة اخترت البعض منها مما جاء في الكتب السابقة الذكر.

قال الله تعالى في شأن القرآن الكريم [إنه لقرآن كريم][6] وقال تعالى في موضع آخر [إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم][7]، وقال تعالى في شأن الكتاب [حم

---

[1] –الشيخ الزرقاني –مناهل العرفان – ج1 –ص 16، 17 بتصرف.

[2] –الفرقان: 01.

[3] –الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي –البرهان في علوم القرآن –تح: محمد أبو الفضل إبراهيم – لبنان –بيروت –صيدا –المكتبة العصرية –1391هـ/1972م –ط.2 –(503ص –24,5 سم) –ج1 –ص 281، 282.

–الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي –الاتقان في علوم القرآن، وبالهامش إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني –لبنان – بيروت –دار المعرفة –د.س.ط –د.ر.ط –(200ص –28 سم) –ج1 –ص 51.

[4] –الإمام الزركشي– البرهان في علوم القرآن –ج1 – ص 273.

[5] –الإمام الزرقاني –مناهل العرفان –ج1 –ص 16 بتصرف.

[6] –الواقعة: 77.

[7] –الإسراء: 09.

والكتاب المبين][1] وسماه ذكرا فقال تعالى: [وهذا ذكر مبارك أنزلناه][2]، وسماه تنزيلا فقال تعالى: [وإنه لتنزيل ربّ العالمين][3].

وكما أسلفت فقد اقتصرت في ذكر أسماء القرآن على ما اشتهر من ذلك اكتفاء بالقليل، واختصارا للباب، فهو مسهب طويل يحتاج إلى جهد كبير من حيث ذكر الآيات الدالة على كل تسمية منفردة وعلى معاني التسمية من حيث اللغة والاشتقاق والمعاني الشرعية والتدليل على كل قول كما لا يلزمنا البحث في ذلك، فما ذكرته فيه الكفاية إن شاء الله.

ومما سبق يتبيّن لنا أنه وإن اختلفت آراء العلماء في تعريف القرآن الكريم وفي تعدد أسمائه، فيبقى المفهوم واحدا وهو أنه كلام الله المنزل على سيّدنا محمدε المعجز بلفظه ومعناه، وهو الاعتقاد السائد عندنا نحن المسلمين إلا أن الحقيقة يراد لها في بعض الأحوال أن تظل متجاهَلة عند بعض بني الإنسان الذين أعماهم ضلال الهوى عن إبراز الحق في صورته، وإكسابه الأكاذيب والافتراءات المغرضة، وهو ما وجدناه عند الكثير ممن لبسوا بردة الاستشراق، وأرادوا الكيد لهذا الدين، وعلى الرغم من المطاعن الموجّهة لكتابنا ولنبيّناε لا يمكننا أن نتجاهل أولئك النفر القليل الذين أنصفوا هذا الكتاب، فكان حقّا علينا أن نذكر البعض منهم، وللموضوعية أن نذكر أقوال بعض المفترين وهذا في المبحث الموالي.

[1] –الدخان: 1–2.

[2] – الأنبياء: جزء من آية 50.

[3] –الشعراء: 192.

المبحث الثاني
أوصاف القرآن
وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: افتراءات الحاقدين والرد عليها

المطلب الثاني: شهادات المنصفين من الأدباء والبلغاء والمستشرقين

المطلب الثالث: الوصف المتميز للقرآن الكريم

المبحث الثاني: أوصاف القرآن

إن أعظم وأكبر ما أوتي نبينا محمدε من المعجزات معجزة القرآن الكريم، يقول الله سبحانه وتعالى: [وقالوا لو لا أنزل عليه آيات من ربه. قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أولم يكفهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون][1]. ويقول الرسولε في حديث رواه الإمام مسلم: "ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"[2].

ومعجزة محمدε كانت قائمة تخاطب الأجيال ولم تكون حادثة تقع، وتزول بغير بقاء لها إلا بالخبر، وهي مناسبة لرسالة النبي محمدε لعمومها في الأجيال، ولمكانته بين الرسل، ومقامه في هذا الوجود الإنساني إلى يوم القيامة. ومعجزات الأنبياء السابقين لا يعلم وقوعها على وجه اليقين إلا من القرآن فهو الذي سجل معجزات نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، ولو لا أنه سجلها ما علمها الناس، وإذا كانت بعض الكتب القائمة اليوم ذكرت بعضها فقد ذكرته مشوبا بأمور غير صادقة كأخبارهم بأن لوطا كان مخمورا، وما يكتب فيه مثل هذا عن بعض النبيين لا يمكن أن يكون مقبول الخبر عن سائرهم ومعجزاتهم[3].

وبما أن القرآن يعتبر رسالة خالدة لا يحدها زمان في المستقبل ولا تكون معجزته واقعة تنقضي، وتنتهي بانتهاء الزمن الذي وجدت فيه، بل تبقى الحدة ما بقيت الشريعة[4]، فإن هذا القرآن اهتم به كثير من العلماء وأعطوه عناية عظيمة تنم

---

[1] –العنكبوت: 50 –51.

[2] –أ.عبد الحميد مهدي –أمة القرآن –الجزائر –الجزائر –شركة الشهاب–1987م –د.ر.ط –(238ص –21 سم) – ص 95 بتصرف.

[3] –الشيخ محمد أبو زهرة –المعجزة الكبرى: القرآن –د.م.ط –د.س.ط –دار الفكر العربي – (551ص–24 سم) –ص 12 بتصرف.

[4] –المرجع السابق –ص 12 بتصرف.

عن عظمته وقد تعرض لجحود من طرف كثير من المغرضين[1] –كان منهم المستشرقون الذين بذلوا جهدا كبيرا في البحث فيه– كما تعرض لأخطاء بعض المؤلفين عن حسن نية، كما فعل الدكتور الحوفي في نسبة بعض القصص على أنها أساطير[2]، كانت خادمة للحاقدين ورغم ما بذله الكثير من المستشرقين من جهد في الإضرار بالقرآن إلا أنه وجد من المنصفين من قال في القرآن بحق، وهذا ما سأحاول عرضه من خلال هذا المبحث.

[1] أمثال المؤلف محمد أحمد خلف الله صاحب كتاب "الفنّ القصصي في القرآن الكريم" حين قال بأن القصص القرآني لم يراع الحقيقة التاريخية، و أن القصد منه عرض فنّي. ينظر: أ.أنور الجندي –مؤلفات في الميزان : الفن القصصي في القرآن الكريم لمحمد أحمد خلف الله– مجلة منار الإسلام –الإمارات العربية المتحدة– أبو ظبي – وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف – رجب 1404 هـ/ أبريل 1984 م– (130 ص– 24 سم) – س 9 – ع7 – ص 74 .

[2] –ينظر: أ. أحمد محمد جمال –القرآن كتاب أحكمت آياته (2)–د.ب.ط – د.م.ط –د.د.ط –1404هـ/1984م – د.ر.ط – (126 ص – 21 سم)– ص 109.

المطلب الأول: افتراءات الحاقدين والرد عليها

إن القرآن الكريم الذي يمثل الاتصال الروحي بين محمدε والملأ الأعلى عن طريق جبريل عليه السلام يعتبر بحق وحيا من عند الله تعالى، ونحن إذ نسلم ونقبل جازمين بهذه الحقيقة فإن العقلية العصرية أصابها مس من المادية والإلحاد والإباحة فأضحت لدى الكثير من المتعلمين تعليما مدرسيا ناقصا لا يهضمون هذه الحقائق العليا، ولا يستسيغون فهمها بل يلقون حبالا وعصيا في سبيل المؤمنين بها، ولا شبهة لهم فيما ذهبوا إليه إلا شكوك تلقفوها من هنا وهناك، يروّجونها باسم العقل مرة، وباسم العلم مرة أخرى[1].

لهذا كان لزاما على علماء أفذاذ أفنوا حياتهم في خدمة العلم وخدمة هذا الدين أن يقفوا إلى جانب هذا القرآن وقفة ترد بها شبه المعترضين وتقطع بها الطريق على عصابات المجرمين اتخذت مبحث الوحي أداة للفتنة، وستارا تقضي من ورائه وطر الغواية ومأرب الإباحة وسبيلا لهدم الأديان فأنا يكون لها من مثل هذا ولهذا الدين من يذود عنه.[2]

ونحن حين نذكر شبه هؤلاء المعتدين إنما نعرج على البعض منها لأن حبل ذلك طويل عظيم وما يهمنا من كل هذا إعطاء لمحة موجزة ليتضح لنا نوعية الشبه التي أثيرت في سبيل صدّ خلق كبير عن الالتحاق بهذا الدين ولما كان هذا الدين يتمتع بحصانة قوية ترد عنه كيد الكائدين فقد كان من السهل على علمائنا الكرام دحض مثل هذه الشبه وإن كان يشكل البعض منها منعرجا خطيرا في طريق هذا الكتاب.

وسأعرض في هذا العنصر ثلاث شبه: أولها في مصدر القرآن، ثانيها في أسلوبه وثالثها في ترتيب آياته وسوره.

---

[1] –الشيخ الزرقاني –مناهل العرفان في علوم القرآن –ج 1 – ص51.

[2] –نفس المرجع –ج1 –ص 51 بتصرف.

–ينظر: أ. أبو المجد أحمد –حقيقة كتاب "صلة القرآن باليهودية والمسيحية" –الجزائر –قسنطينة –دار البعث –1406هـ/ 1986م –ط.1 –(96ص –19,5 سم) –ص 07.

الشبهة الأولى: في مصدر القرآن، ونختار منها شبهة أن القرآن من كلام محمدε.

زعموا أن النبي محمدε كان مصلحا عبقريا ذا خيال واسع وإحساس عميق فكان وجدانه يطغى كثيرا على حواسه حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصا يكلمه، وما تلك إلا صورة أخيلته ووجدانه[1].

وقالوا أن نفسه هي منبع هذه الأخبار لأنه لم يثبت علميا أن هناك غيبا وراء المادة يصح أن يتنزل منه قرآن أو يفيض عنه علم أو يأتي منه دين[2] ثم ضربوا لذلك مثلا فقالوا إن الفتاة الفرنسية (جان دارك) الناشئة في القرن الخامس عشر ميلادي قد حدث التاريخ عنها أنها اعتقدت –وهي في بيت أهلها بعيدة عن التكاليف السياسية– أنها مرسلة من عند الله لإنقاذ وطنها ودفع العدو عنه، واعتقدت أنها تسمع صوت الوحي الإلهي يحضها على القتال وانطلقت تحت هذا التأثير فجردت حملة على أعداء وطنها وقادت الجيش بنفسها فقهرتهم ثم دارت الدائرة فوقعت أسيرة وماتت ميتة الأبطال في ميدان النزال ولا يزال ذكرها يتلألأ نورا ويعبق أريجا حتى لقد قررت الكنيسة الكاثوليكية قداستها بعد موتها بزمن[3].

وزعم بعضهم أيضا أنهε إنما نسب القرآن لله مع أنه صادر من نفسه ليضفي بذلك عليه القدسية المستمدة من الله فرأى بثاقب فكره أن في ذلك ما يعينه على إصلاح الناس وييسر له انقيادهم إليه[4].

والرد على هذه المزاعم يكون كالآتي: نقول إن النبيε كان مصلحا عبقريا وكان ذا ذوق سليم وذكاء وقاد، ولكن ليس ذلك نتيجة تعليم ولا كثرة تجربة ولا خلقا مكتسبا وإنما كان كذلك لإصلاح الله له ظاهره وباطنه فقد تولاه مولاه من يوم أن أراد خلقه إلى أن توفاه وألحقه بالرفيق الأعلى فقد اصطنعه الله لنفسه ورباه على

[1] –أ.محمد الصادق قمحاوي –شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردّها –ص 39.

[2] –الشيخ الزرقاني –مناهل العرفان في علوم القرآن –ج 2– ص 642 بتصرف.

[3] –نفس المرجع –ج2 – ص 642–643.

[4] –أ. قمحاوي –شبهات مزعومة –ص 39.

عينه ورعايته، وأعدّه إعدادا يليق بحمل رسالة ربّه فربّاه وأدّبه على موائد رحمته أما ذكاؤه ورقة إحساسه ووجدانه وعمقه وأدبه ورأفته ورحمته وشمائله فهي أكثر من أن تعد وتحصى فقد عجز الأولون عن حصرها ويكفي في ذلك قول الله تعالى فيه: [وإنك لعلى خلق عظيم][1] وأما إنكارهم الوحي وقولهم إن القرآن من كلام محمد ونابع من نفسه ..الخ فهو افتراء وكذب واختلاق وحقد [حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق][2] فإنكارهم للوحي واستبعادهم ذلك ليس إلا نتيجة انطماس بصرهم واتخاذهم ذلك أداة الفتنة وستارا يقضون من ورائه وطرا للغواية ومأربا للإباحية وسبيلا إلى هدم الأديان وضلال بني الإنسان[3].

وأما ذكرهم لحال الفتاة الفرنسية فنقول أن الدارس لتاريخ هذه الفتاة يعلم أن أعصابها كانت ثائرة لتلك الانقسامات الداخلية التي مزقت فرنسا والتي كانت تراها وتسمعها كل يوم بين أهلها وفي بلدها (جوارد ورمى) مع ما شاع في عهدها من خرافات كان لها أثرها في نفسها وعقلها ومخها، من تلك الخرافات أن فتاة عذراء ستبعث في هذا الزمن تخلص فرنسا من عدوها، يضاف إلى هذا أن الفتاة كانت بعيدة الخيال تسبح فيه يقظة ومناما، وتتوهم منذ حداثتها بأنها ترى وتسمع ما لم تر ولم تسمع حتى خيل إليها أنها دعيت لتخلص بلدها وتتوج ملكها. وليس هذا بدعا، فكم رأينا وسمعنا أصحاب دعايات عريضة يعتمدون فيها على مثل هذه الخيالات الباطلة كالذين قاموا باسم المهدي المنتظر يدعون ويحاربون.

لكن محمداء لم يكن عصبيا ثائرا مهتاجا بل كان وقورا متزن العقل ثابت الفؤاد قوي الأعصاب يثور الشجعان من حوله وهو لا يثور، ويشطح الناس ويسرفون في الخيال وهو واقف مع الحجة ويرد المسرفين إلى حظيرة الحقائق ويحاكمهم إلى العقل. ألم تر إلى القرآن كيف يذم الشعراء الذين يركبون مطايا

---

[1] –القلم: 04.

[2] –البقرة: جزء من آية 109.

[3] –أ. قمحاوي – شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردها –ص 39–40.

الخيال إلى حد الغواية[1] ويقول: [والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا[2]] وتأمل ما جاء في صحيح مسلم وغيره من أنه ε أبى على عائشةτ أن تقول في شأن صبي من الأنصار جيء به ميتا ليصلى عليه: "طوبى لهذا لم يعمل شرا" فقالε: عن عائشة أم المؤمنينτ قالت: "دعي رسول اللهε إلى جهازة صبي من الأنصار فقلت: طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه قال: أو غير ذلك يا عائشة " إن الله خلق للجنّة أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم"[3]مع أن أطفال المسلمين يعلم الله أنهم في الجنة، لكن توقف الرسولε وإبائه على عائشة أن تقول هذا، كان قبل أن يعلمه الله ذلك فلم يسمح لها أن تسير مع الوهم أو الظن ما دام الأمر غيبا، ولا يعلم الغيب إلا الله[4].

فهل يعقل أن يقاس صاحب هذه الدقة البالغة والتثبت الدقيق بفتاة خفيفة سابحة في أوهامها غريقة في أحلامها؟ !

الشبهة الثانية: في أسلوب القرآن، ونختار منها شبهة الفرق الشاسع الذي يجده الباحث والتباين الواضح بين أسلوبين في القرآن لا تربط أحدهما صلة بالآخر مما يدفع إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة وتأثر ببيئات متباينة، واختلاف الأسلوبين ناتج من تطور في أغراض صاحبه وأهدافه فمن ذلك مشاهدة أن القسم المكي من القرآن ينفرد بالعنف والسباب والوعيد والتهديد مثل ما ورد في سورة المسد [تبت يدا أبي لهب وتبّ][5] وغيره كثير وذلك ناتج من كون بيئة

---

[1] –الشيخ الزرقاني –مناهل العرفان –ج 2– ص 643، 644.

[2] –الشعراء: 224–227.

[3] صحيح مسلم بشرح النووي–لبنان– بيروت– 1401 هـ /1981 م– (227 ص – 28 سم)– مج 8 –ج 16– كتاب القدر– ص 212 .

[4] –الشيخ الزرقاني –مناهل العرفان –ج 2– ص 644.

[5] –المسد: 1.

المكيين يغلب عليها القسوة والشدة ولما كان المكيون أميين جهالا فقد وجدنا القرآن المكي نازلا في مستواه العلمي. فهو ينفرد ويختص بقصر السور والآيات ويخلو من التشريعات ومن المناظرات والبراهين العلمية والحجج[1].

وقال "نولدكه" وهو أكثر المضللين: "كان غرض محمدε الوحيد في السور المكية تحويل الناس بطريق الإقناع عن عبادة الأصنام إلى عبادة إله واحد هذا هو الهدف الأساسي في دعوته مهما تشعّب الموضوع، إلا أن محمدا بدلا من أن يتوجه إلى عقول السامعين يقنعها بالبراهين المنطقية لجأ إلى أسلوب الخطابة ليؤثر على عقولهم عن طريق الخيال والوجدان"[2]

والرد عليها يكون بما يلي: إن دعوى انفراد القسم المكي بالعنف والشدة دعوى باطلة إذ أن ما يسمونه بالعنف والشدة موجود في القسم المدني أيضا ومثاله كثير ونكتفي بمثال واحد قوله تعالى: [فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين][3].

وقد اشتمل القرآن بقسميه المكي والمدني منه على أنواع من الشدة والعنف في بعض أحيانه لأن ضرورة التربية الرشيدة في إصلاح الأفراد والشعوب وسياسة الأمم والدول تقتضي أن يمزج المصلح في قانون هدايته بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والشدة واللين، ثم إن دعواهم انفراد المكي بالشدة يفهم منه دعوى انفراد المدني باللين والصفح وخلو المكي من ذلك وهذا مفهوم باطل كمنطوقه وذلك لوجود ما بين السور المكية آيات كريمة تفيض لينا وصفحا وتقطر سماحة وعفوا بل تنادي بمقابلة السيئة بالحسنة قال تعالى في هذه السورة المكية: [ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين. ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها

[1] –أ. قمحاوي –شبهات مزعومة – ص57، 58.

[2] –د. فضل حسن عبّاس –مع القرآن الكريم في تأويله: حول البيان القرآني –مجلة منار الإسلام – المطبعة العصرية – محرم 1398هـ/ يناير 1978م –(130 ص –24 سم) –س03 –ع 01 –ص 31.

[3] –البقرة: 24.

إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم][1] وأما دعواهم بأن القسم المكي فيه سباب ويريدون بالسباب معناه عندهم من القِحّة والبذاءة والخروج عن حدود الأدب واللياقة فهو إفك وافتراء منهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم. ونحن نتحداهم ونمعن في التحدي على أن يأتوا بمثال واحد في القرآن الكريم كله مكيه ومدنيه يكون من هذا اللون القذر الرخيص وهل يعقل أن القرآن الذي جاء يعلم الناس الأدب والعلم والحلم يخرج هو عن أصول الآداب إلى السباب كيف وقد حرم الله على أتباعه المسلمين أن يسبوا أعداءهم المشركين فقال تعالى في هذه السورة المكية: [ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله بغير علم][2]، والقرآن في شدته لم يخرج عن جادة الأدب ولم يعدل عن سنن الحق ولم يصدف عن سبيل الحكمة بل الحكمة تقتضي أن يشتد مع هؤلاء لأنهم يستحقون الشدة ومن مصلحتهم والرحمة بهم والخير لهم أن يشتد عليهم ليتوبوا لرشدهم[3]، كما أن أهل مكة كانوا أشداء العارضة صعاب المراس مسرفين في العناد والإباء[4].

وأما قولهم إن القسم المكي في القرآن قد خلا من التشريع والأحكام فهو قول باطل أيضا ومردود عليهم لأن المكي لم يخل جملة من التشريع والأحكام بل عرض لها وجاء عليها ولكن بطريقة إجمالية وذلك أن مقاصد الدين خمسة: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال، وقد تحدث المكي عن ذلك إجمالا ومثاله قوله تعالى في هذه السورة المكية: [قل تعالوا اتل ما حرّم ربكم عليكم، أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا نكلف نفسا إلا وسعها، وإذا قلتم

---

[1] –فصلت: 32–35.

[2] –الأنعام: جزء من آية 108.

[3] –أ. قمحاوي –شبهات مزعومة – ص 60.

[4] –نفس المرجع –ص 61.

فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكّرون. وأن هذا صراطي مستقيم فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون][1].

ولا يخفى عليك أن آيات العقائد في القسم المكي ظاهرة واضحة وكثيرة شائعة، وأما كثرة التفاصيل في تشريع الأحكام بالمدينة، فليس نتيجة لزعمهم الباطل بل هو أمر لابد منه في سياسة الأمم وتربية الشعوب وهداية الخلق ذلك أن الطفرة حليفة الخيبة والفشل، والتدرج حليف التوفيق والنجاح، وتقديم الأهم على المهم واجب في نظر الحكمة، لهذا بدأ الله عباده في مكة بما هو أهم فبدأهم بإصلاح القلوب وتطهيرها من الشرك والوثنية وتقويمها بعقائد الإيمان الصحيح والتوحيد الواضح حتى إذا استقاموا على هذا المبدأ القويم وشعروا بمسؤولية البعث والجزاء وتقررت في أنفسهم هذه العقائد الراشدة فطمهم عن أقبح العادات وأرذل الأخلاق وقادهم إلى أصول الآداب وفضائل العادات ثم كلفهم بما لابد منه من أمهات العبادات، ولما مرنوا على ذلك وتهيأت نفوسهم للترقي والكمال بمرور الأيام والسنين وكانوا وقتئذ قد هاجروا إلى المدينة جاءهم بتفاصيل التشريع والأحكام وأتم عليهم نعمته ببيان دقائق الدين وقوانين الإسلام[2].

وأما عدم وجود البراهين المنطقية في الإقناع فيكفي للردّ عليها ما جاء في القرآن نفسه من آيات كثيرة تخاطب العقل وتقيم له البراهين المنطقية التي لا يمكن لنتائج الفلسفة على اختلاف عصورها أن تصل إلى ما وصل إليه القرآن وذلك مثل قوله تعالى: [ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إله بما خلق

[1] –الأنعام: 151 –153.

[2] –أ. قمحاوي –شبهات مزعومة –ص 66 –68. بتصرف.

ولعلا بعضهم على بعض][1]، وقوله تعالى: [لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا][2]... والآيات في ذلك كثيرة.[3]

الشبهة الثالثة: في ترتيب سوره، ونختار منها أنهم يقولون كيف كان ترتيب القرآن توقيفيا مع أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة؟[4]

والجواب: أن هذه الشبهة لا ترد على القائلين لأن ترتيب السور كلها اجتهادي أما القائلون بأن منه اجتهاديا ومنه توقيفيا، فمن السهل الجواب عنهم لأن الاختلاف بين الصحابة وقع في القسم الاجتهادي لا التوقيفي. وأما القائلون بأن ترتيب السور كله توقيفي فيمكن الجواب عنهم بأنهم اختلفوا فيما اختلفوا قبل أن يعلموا التوقيف فيه. ولما جمع عثمانτ القرآن على هذا الترتيب علموا ما لم يكونوا يعلمونه ولذلك تركوا ترتيب مصاحفهم، وأخذوا بترتيب عثمان ويهون الأمر في اختلاف مصحفهم، أنها كانت مصاحف فردية، لم يكونوا يكتبونها للناس إنما كانوا يكتبونها لأنفسهم، فبديهي أن الواحد منهم لم يثبت فيها إلا ما وصل إليه بمجهوده الفردي وقد يفوته ما لم يفت سواه من تحقيق أدق أو علم أوسع. ولهذا كان يوجد بتلك المصاحف الفردية بعض آيات قد تكون منسوخة، وربما لم يبلغ صاحب ذاك المصحف نسخها. وقد يهمل صاحب مصحف إثبات سورة بشهرتها وغناها بهذه الشهرة عن الإثبات، كما ورد أن مصحف ابن مسعودτ لم تكن به الفاتحة. وقد يكتب صاحب مصحف ما يرى بأنه بحاجة إليه من غير القرآن في نفس المصحف[5].

---

[1] –المؤمنون: 09.

[2] –الأنبياء: 22.

[3] –د. فضل عباس –مع القرآن الكريم في تأويله –مجلة منار الإسلام –س 03 –ع 01 –ص 31، 32.

[4] –الشيخ الزرقاني –مناهل العرفان –ج 1– ص 253.

[5] –الشيخ الزرقاني –مناهل العرفان –ج 1 –ص 254.

المطلب الثاني: شهادات المنصفين من الأدباء والبلغاء والمستشرقين

يشتمل القرآن الكريم على مائة وأربعة عشر دليل معجز وهي تمثل عدد سوره، والكتاب الكريم يتحدى الطاعنين بسوره الطوال كما يتحداهم بسوره القصار سواء بسواء، وهو نفسه دليل على صدق رسالة الرسولε وأن في كل سورة منه دليلا على تعجيز المجادلين وتحديهم مجتمعين[1]، ونحن إذ نؤمن بهذا معتقدين اعتقادا دينيا نابعا من قناعتنا الإيمانية فإن هناك من شهد للقرآن بأنه معجز عن دراية باللغة وعلوم البيان ومنهم من كان عن علوم ومعارف أوصلته إليه وجعلته يصدر تلك الأحكام.

أولا –شهادة بلغاء العرب:

نجد من كان في طليعة الفصحاء من العرب والذين كان لهم السبق في الوقوف على أطراف البيان وأحد المشاهير القلة الذين يمسكون بزمام الحجة واللسان سواء في ذلك الشعر أو النثر أو السجع أو غير ذلك من أصناف الكلام هو الوليد بن المغيرة والذي خرج من عند النبيε إلى قريش فقال: "فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجنّ. والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته"[2].

ونجد بليغا آخر من بلغاء العرب ومشهورا من مشاهيرهم في قرظ الشعر بألوانه وصوره وبحوره وفي التفنن في ضروب النثر من الخطابة والقول المسجوع وهو عتبة بن ربيعة قال في القرآن –بعد أن أرسلته قريش لحوار النبيε فرجع يقول– "سمعت قولا والله ما سمعت مثله قطّ! والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة[3].

---

[1] –د. حسن الشرقاوي –الجدل في القرآن –كتب الدراسات القرآنية –مصر –الإسكندرية –منشأة المعارف – د.س.ط –د.ر.ط –(150ص –24سم) –ص 28 بتصرف.

[2] –د. أمير عبد العزيز –دراسات في علوم القرآن –ص 118، 119 بتصرف.

[3] –د. أمير عبد العزيز –دراسات في علوم القرآن –ص 121 بتصرف.

ثانيا – شهادة عمالقة الأدب:

وهذا المؤرخ الفذ "غيبون" يقول في كتابه "انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية" أن عقيدة محمد خالية من كل شك وغموض، وأن القرآن شهادة رائعة على وحدانية الإله[1].

وهذا القس المنصّر "و. بوسوورث سميث" يقول في كتابه "محمد والمحمديون" لقد كان أميا لا يقرأ ولا يكتب إلا القليل. فإذا به يؤلف كتابا في قمة البيان والبديع. كتاب في القانون والعبادات. هذا الكتاب يكرم إلى يومنا هذا من قبل سدس البشرية كمعجزة في نقاء الأسلوب وكمعجزة في الحكمة وصدق القول[2].

ثالثا –شهادة المنصفين من المستشرقين:

لقد بحث القرآن جماعة من المستشرقين وغيرهم بقصد الطعن فيه لحساب دولهم كما فعل صاحب كتيّب "هل يمكن الاعتقاد بالقرآن"[3] حين قال: القرآن، هذه الكلمة السحرية التي ظهرت منذ مئات السنين وما تزال تضرب قلوب المسلمين بسياط الفزع والخوف، ومنهم من أجرى بحوثا علمية في دراسة القرآن من أجل الإفادة منه، واتسم بالموضوعية فكان أن أنصف القرآن وقال فيه ما يجب أن يقال. ومنهم[4]:

قال "سيل": إن أسلوب القرآن جميل وفياض ومن العجب أنه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين فيجذبهم إلى تلاوته سواء في ذلك الذين آمنوا به أم الذين لم يؤمنوا به وعارضوه.

---

[1] –الشيخ أحمد ديدات –القرآن معجزة المعجزات –ترجمة يوسف بغول –مراجعة مكتب الدراسات –الجزائر – عين مليلة –دار الهدى –1411هـ/1991م –ط.1 – (78ص –15سم) –ص 31 بتصرف.

[2] –نفس المرجع –ص 31 بتصرف.

[3] –وهو م.ر رحمتوف، كاتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بطجاكستان –وسفير الاتحاد السوفياتي بموريطانيا. ينظر: أ.عبد الله كنون –الرد القرآني على كتيب "هل يمكن الاعتقاد بالقرآن"...؟ –لبنان–بيروت – دار الكتاب اللبناني –1982م –ط.1 –(167ص –22سم) –ص 17، 121.

[4] –الشيخ عبد المجيد الزنداني –التوحيد –الجزائر –الجزائر –مطبعة دحلب –1991م –د.ر.ط –(88 ص– 23 سم) – ص 62.

وقال "هرشفلت": ليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه، وبلاغته وتركيبه، وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلامي.

وقال الدكتور الفرنسي "موريس": إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الأزلية لبني البشر، وإنه كتاب لا ريب فيه، وقال أيضا: إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه نص القرآن لأول مرّة هو ثراء الموضوعات المعالجة[1].

و قال أيضا:" أتدرون حقيقة القرآن إنّه معجزة بلغت من الفصاحة والبلاغة إلى حيث لا يدرك شأوها التنقيدات".[2]

وقال المستشرق "ليون": حسب القرآن جلالة ومجدا أن الأربعة عشر قرنا التي مرت عليه، لم تستطع أن تخفف ولو بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غضّا كأنّ عهده بالوجود أمس.

وقال "دانيال نورمان" الإنجليزي: ليس للقرآن نظير في غير الدين الإسلامي.[3]

[1] –د. سليمان عمر قوش –الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم –قطر –الدوحة –دار الثقافة – دار الحرمين –1407هـ/1987م –ط.1 –(181 ص –23,5 سم) –ص06.

[2] الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي– إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز – (من رسالة النور)– تركيا– أنقرة– مطبعة النور –1378 هـ/ 1959 م– د.ر.ط – (134 ص– 24 سم) – ص 128.

التنقيدات: و لعله يقصد بها الانتقادات.

[3] –أ. أحمد الشريف الأطرش السنوسي –الرؤية الاستشراقية للقرآن وعلومه الدينية –مجلة الحضارة الإسلامية –الجزائر –جامعة وهران –كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية –دار الغرب –1422هـ/2001م – (256ص–24سم) –العدد 7 –ص 235.

المطلب الثالث: الوصف المتميز للقرآن الكريم:

القرآن هو المعجزة الدالة على صدق نبوة محمدع، وقد تميّز هذا النبي بهذه المعجزة عن سائر من تقدمه من الأنبياء حيث كانت معجزاتهم مادية حسية تنقضي بانقضاء وقتها، وكانت معجزته القرآن وهو شيء قائم بذاته ثابت باق، لا يدرك خرقه للعادة بالحس بل بالدراسة والفحص والنظر، والمعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان المصدق لها أكثر[1]، وإذ أن القرآن الكريم وثيقة حية شاملة لكل ما في الكون من ظواهر وموجودات وأوضاع تحكم سير الإنسان وسير الحياة باعتبارها مادة حية للتفكير الذي يؤدي بأقرب طريق إلى الإيمان بوجود الله[2]، فهو أساس الدين حيث أودع الله فيه علم كل شيء فإنه يتضمن الأحكام والشرائع والأمثال والحكم والمواعظ والتاريخ ونظام الكون فما ترك شيئا من أمور الدين إلا بيّنه ولا من نظام الكون إلا أوضحه[3]، قال تعالى [ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين][4].

والقرآن دستور هداية موجه يرسم للإنسانية طرائق حياتها ويربي أفرادها وجماعاتها، وهو قانون يشرّع لها أحكام الوقائع والأحداث لتحقيق كافة مصالحها التي تقع بين طرفي العدل والرحمة، وكتاب مؤسس لعقيدتها ونظام تعبدها، وقائد يسوسها بتعاليمه[5] وهو مملوء بأحكام وقواعد جليلة في المسائل المدنية والتجارية، وأحكام الحرب والسلم وأحكام القتال والغنائم والأسرى، وبنصوص صريحة في

---

[1] –د. محمد التومي –الجدل في القرآن الكريم –فعاليته في بناء العقلية الإسلامية –الجزائر –الجزائر –شركة الشهاب –د.س.ط –د.ر.ط –(302 ص –20,5 سم) –ص 159.

[2] –أ. محمد حسنين فضل الله –الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه، معطياته –الجزائر –قسنطينة –دار المنصوري للنشر –الجزائر –بومرداس – مطبعة سراوي –د.س.ط – د.ر.ط – (210ص – 22سم) –ج1 – ص 80.

[3] –أ.محمد الصادق قمحاوي –البرهان في تجويد القرآن –ص 46.

[4] –النحل: جزء من آية 89.

[5] –أ. محمد الصادق عرجون –القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين –مصر –القاهرة –مكتبة الكليات الأزهرية –1386هـ/ 1966م –د.ر.ط –(328ص –25 سم) –ص 320.

الحدود والقصاص[1]، وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي ختم الله به جميع الكتب السماوية فقد اشتمل على كل ما فيها من أصول العقائد والعبادات والمعاملات وإن اختلف عنها في فروع التشريع وما فيها ونظم وقوانين وحكم وأمثال وقصص وآداب بل زاد عليه بما هو أفضل وأكثر في الفائدة وأيسر وأسهل في العمل[2]، يقول الله تعالى [شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه][3].

والقرآن الكريم كمصدر تاريخي لا ريب أنه أصدق المصادر وأصحها على الإطلاق، فهو موثوق السند ثم هو قبل ذلك وبعده كتاب الله الذي [لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد][4] ومن ثم فلا سبيل إلى الشك في صحة نصّه بحال من الأحوال لأنه ذو وثاقة تاريخية لا تقبل الجدل، فقد دوّن في البداية بإملاء الرسولε وتلي فيما بعد وحمل تصديقه النهائي قبل وفاته، ولأن القصص القرآني إنما هو أنباء وأحداث تاريخية، لم تلتبس بشيء من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع وأنه كما يقول الله سبحانه [وبالحق أنزلناه وبالحق نزل][5] ثم أن الله الله عز وجل قد تعهد بحفظه دون تحريف أو تبديل[6]. والعلماء يجدون فيه المعين الذي لا ينضب، والثروة الإسلامية التي لا تنفذ، ما من خبر إلا له في القرآن أصل

---

[1] –د.عبد العزيز بن محمد عبد اللطيف –نواقض الإيمان القولية والعملية –المملكة العربية السعودية –الرياض –دار الوطن –1415هـ –ط.2 –ص 319.

ينظر : د. عدنان الشريف، من علم الطب القرآني: ثوابت العلمية في القرآن الكريم– لبنان– بيروت– دار علم الملايين– يناير 1990 م– ط1– (336 ص) – ص 10،11.

[2] –أ. قمحاوي –شبهات مزعومة حول القرآن الكريم –ص 185.

[3] –الشورى: جزء من آية 13.

[4] –فصلت: 42.

[5] –الإسراء: جزء من آية 105.

[6] –د. محمد بيومي مهران –دراسات تاريخية من القرآن الكريم (1) –في بلاد العرب –مصر –الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية –1995 م –د.ر.ط –(440ض –24 سم) – ص 38.

معتمد، ونص يمكن الحمل عليه وقد قال الله وقوله الحق [ما فرّطنا في الكتاب من شيء][1].

وفيه عبر الماضين وأخبار كل النّبيين فهو كتاب الله الكامل فيه معاني كل الكتب المنزلة على الرسل وفيه أخبار أولئك الرسل مع أقوامهم[2].

وقد كان نزول القرآن في ذلك الوسط الأمي يذكر لهم أخبار الأنبياء السابقين وأحوال أممهم معهم وما حل بالذين كفروا وضلوا وهم يرون هذه الآثار في الأمم التي تصاقبهم فجاء القرآن بتفصيله الصادق المحكم عن أخبار هؤلاء النبيين، وقد وافق كثير منهم الصادق عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى وما اختلفوا فيه عما جاء في القرآن فإن الفحص الدقيق يثبت تحريفه[3].

ومهما يكن من أمر فإن تعبير الرسولε في وصف القرآن الكريم هو أصدق التعابير وأدقها وصفا وأشملها معرفة.

روى الدارمي والحاكم عن عبد اللهτ قال: "إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إنّ هذا القرآن حبل الله والنور والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب ولا يعوجّ فيقوّم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الردّ"[4].

---

[1] –الأنعام: جزء من آية 38.

[2] –الإمام أبو زهرة –المعجزة الكبرى –ص 14.

[3] –نفس المرجع –ص 312 بتصرف.

[4] الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد دهمان – سنن الدارمي –د.ب.ط –دار إحياء السنة النبوية– دار الكتب العلمية– د.س.ط– د.ر.ط – (474ص– 24,5 سم)– ج2– كتاب فضائل القرآن–باب فضل من قرأ القرآن – ص 431.

قال الحاكم في فضائل القرآن من حديث ابراهيم الهجرمي عن أبي الأحوص (عن) عبد الله (بن مسعود).

قال الحاكم تفرّد به صالح بن عمر عنه و هو صحيح و تعقبه الذهبي بأنّ صالحا ثقة خرّج له مسلم لكن ابراهيم بن مسلم ضعيف انتهى.

العلامة محمد عبد الرؤوف المنوي– فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير– د.ب.ط– دار الفكر– د.س.ط– د.ر.ط– (576ص – 28 سم)– ج2– ص 546– حديث 2513.

وفي الأخير نستطيع أن نقول أن وظيفة القرآن لا تقتصر في تلك العلاقات التعبدية على علاقة العبد بربّه بل تتعدّاها، فيكاد القرآن ينفرد في صورة شمولية من بين الكتب السماوية بتتبع سلوك الإنسان في الحياة الفردية والجماعية التي تعني علاقته مع الآخرين، ويعالج هذه العلاقة ليجعلها علاقة سليمة يتحكم فيها أسمى ما في الإنسان من فكر وعقل.[1]

[1] –أ. عبد الكريم غلاب –صراع المذهب والعقيدة في القرآن –لبنان –بيروت –دار الكتاب اللبناني –مكتبة المدرسة –1973م –ط.1 –(408 ص –23 سم) –ص 12 بتصرف.

المبحث الثالث

ثنائية الهداية والعصيان

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الأخلاق الكريمة سبيل إلى العلو في مراتب التقدير

المطلب الثاني: الأخلاق التوحيدية إقرار بلزوم مقاومة الشر، وإقرار بفكرة الجزاء

المطلب الثالث: أمانة التكليف

المبحث الثالث: ثنائية الهداية والعصيان

في القرآن الكريم دروس عملية تجسم المعاني وتقرب الأحداث من عقولنـــا، وتجلي الحقائق أمام أبصارنا، حتى لكأنّنا نرى الخير بأعيننا، ونلمسه بأيدينا فيـــزداد حبنا له، وإقبالنا عليه، وتصور لنا أعمال الشر والعصيان بظلالها الكريهة، ووقائعها المخيفة، فترتاع لها النفوس، وتفزع لها الأفئدة، وتنفر منها الطباع السليمة، وهـــذه الأحداث العملية التي أبرزها القصص القرآني لا تخاطب عقولنا فحسب بل تجســـم أمامنا واقعها المحسوس، فتتأثر بذلك مشاعرنا، وتنفعل معها أحاسيسنا مما يجعلنـــا نعايش هذه الأحداث ونراها أكثر مما نسمعها، فما تراه العين أوقع في النفس، وأقوى تأثيرا على القلب مما تسمعه الأذن، والقصص القرآني وقائع وأحداث لعينـــات مـــن المصلحين، وأصناف من الأشرار المفسدين، يدور بينهم الصراع، ويشـــتد الأخـــذ والجذب بين أهل الخير الذين أنار الله عقولهم، ومحبي الشر الذين عميت بصائرهم عن نور الحق، فتاهوا في بيداء الضلال[1].

لقد تحدث القرآن –إلى جانب ذكره للخير والشر– عـــن القـــوانين التـــي إذا رعاها الإنسان باعتباره فردا وعمل على تحقيقها في جانب الخير، وعلى اجتنابها إذا كانت تعبر عن مجال اجتناب الشر، فإنه يسعد لا محالة، ولقد ضـــمن الله ســـبحانه وتعالى ذلك، وذكر في كتابه الكريم هذه القوانين حتى إذا اتبعهـــا المجتمـــع كـــان صالحا[2].

واختار الله الإنسان بالعقل الذي يهدي السبيل إلى علم ما وراء المحسوس إذا عرف كيف يسخر هذا العقل، وما القيم الأخلاقية إلا ظاهرة من ظواهر العقل وحتى جمال الخلقة التي اختارها الله له إنما لتتناسب مع العقل، خلقه في أحسن تقويم فبهذه المميزات الإنسانية استحق الخلافة عن الله، وكانت عليه مسؤولية الإسهام في بنـــاء

[1] –أ. زنتوت الأخضر –من قصص القرآن درس عملي في محبي الخير ومنكريه– الجزائر –وهران – المطبعة الإسلامية –1990 –د.ر.ط –ص1 بتصرف.

[2] –د. عبد الحليم محمود –القرآن في شهر القرآن – الجزائر –قسنطينة –مكتبة الرحاب –1408هـ/1988م –د.ر.ط –(176ص –24 سم) –ص 170 بتصرف.

العالم، والتخطيط العلمي والحضاري[1]. فذكر قوانين الخلافة في الأرض التي تجسد معنى الهداية وهذا في قوله تعالى: [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا][2].

وذكر قوانين سعة الرزق التي تجسد معنى الهداية أيضا وتنفي العصيان في قوله عز وجل [استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنّات ويجعل لكم أنهارا][3] وقوله [ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم][4].

وذكر قوانين التيسير التي تذكّر الإنسان بعمل الخير وقوانين التعسير التي تنهى الإنسان عن عمل الشر الذي تأباه النفوس السليمة وكل ذلك في قوله تعالى: [فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى][5].

وذكر قوانين الفرج التي تتمثل في اتباع التقوى الذي هو الخير نفسه فقال عز وجل: [ومن يتق الله يجعل له مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه][6].

وذكر من قوانين السعادة ما تجعل المؤمن يحرص على عمل الصالحات التي تتمثل في اتباع الهداية وهذا في قوله سبحانه: [من عمل صالحا من ذكر أو أنثى

---

[1] –الشيخ أحمد الأطرش السنوسي –خلافة الإنسان في الأرض –مجلة الحضارة الإسلامية –الجزائر –وهران – المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية –شعبان 1419هـ/ نوفمبر 1998م– (380ص –24سم) –ع 04 –ص 212.

[2] –النور: جزء من آية 55.

[3] – نوح: 10 –12.

[4] – هود: 52.

[5] – الليل: 5–10.

[6] – الطلاق: من آية 2 –ومن آية 3.

وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون][1] وقوله تعالى: [ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض][2].

[1] – النحل: 97.

[2] – الأعراف: جزء من آية 96.

المطلب الأول: الأخلاق الكريمة سبيل إلى العلو في مراتب التقدير

ظهرت الأخلاق في الإسلام في اكتمالها مزاجا طريفا، موافقا بصفة عامة، لتقاليد العرب في الجاهلية وتعاليم القرآن وعناصر غير عربية ترجع في جوهرها إلى أصول فارسية ويونانية دخلت في التكوين الإسلامي العام أو اندمجت فيه.[1]

ولقد حفل القرآن الكريم بآيات عظام تدل على كرائم الأخلاق فكانت أنماطا أخبارها في قالبه الخالد واختارها لتبقى معه مستمرة استمرار الحياة باقية بقاء الوجود منشورة في صفحات النفوس مضمومة إلى زوايا العقول وملتصقة مع آيات الله في حبات القلوب وهي ترفع صاحبها إلى أعلى مراتب التقدير والجمال بين الناس ولا يعلو على كرم الأخلاق في الوجدان شيء[2]، قال تعالى: [وإنك لعلى خلق عظيم][3].

ويصل كرم الأخلاق القرآنية حدّا يفوق كل خيال ويربو على كل تصور في قوله تعالى: [إذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى][4]، فنرى كيفية مخاطبة الطاغية حتى يعدل عن بطشه باللين[5]، وهذا من هداية الإسلام لعباد الله أن وفق النبي موسى –عليه السلام– إلى حوار فرعون الشديد العنيد باللين والرفق، فوراء هذا النبي الكريم دينا من أكرم الأديان ونفس طيبة مليئة ومتشبعة بالأخلاق، ووراء هذا الحاكم الظالم –فرعون– نفس دافعة للسوء وشهوة حافزة تتمثل في حب التملك والسيطرة وهذا ما لا ترضاه العقول ولا النفوس الكريمة[6].

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية– أصدرها أئمة المستشرقين– إشراف : تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية، النسخة العربية: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، د.عبد الحميد يونس– مصر – القاهرة– دار الشعب– 1969 م– د.ر.ط–(611 ص – 28سم)– مج 2– ص 441.

[2] – د. السيد الجميلي – الإعجاز الفكري في القرآن –(الموسوعة الإسلامية الكبرى) –لبنان –بيروت –دار ابن زيدون –د.س.ط –ط.2 – (112ص –24 سم) – ص 49 –بتصرف.

[3] –القلم : 4.

[4] –طه: 43–44.

[5] –د. السيد الجميلي –الإعجاز الفكري في القرآن –ص 50.

[6] –نفس المرجع –ص 51 بتصرف.

المطلب الثاني: الأخلاق التوحيدية إقرار بلزوم مقاومة الشر، وإقرار بفكرة الجزاء

من النادر أن ينطلق التفكير الأخلاقي بمعزل عن المعتقدات الدينية، وأحد أسباب ذلك أنّ الدين له تأثير قوي على الأحكام الخلقية لدى الأفراد والجماعات.

إن ديانات الآشوريين والمصريين اشتملت على مدونات قانونية دقيقة تنظم السلوك وتوجّه القرار فيما يخص الواجبات الخلقية. وقد تجاوز التشريع الديني مسائل العبادة والطقوس ليشمل العديد من التعاليم الأخلاقية.[1]

ففي الدين الإسلامي يقر القرآن الكريم بمبدأ لزوم مقاومة الشر، فهو يخاطب معتنقيه بقوله: [كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله][2] فمبدأ القرآن إيجابي أساسي يكمل منهج الأخلاق التوحيدية التي تشترك مع الأخلاق اللادينية في إقامة أعمال الإنسان على أساس المنافع الشخصية العاجلة التي صارت أساس المجتمع المدني، غير أن الأخلاق (التوحيدية) تمتاز – بالإضافة إلى احترامها للمنفعة الشخصية– برعاية منافع الآخرين وهي بذلك تدفع الفرد إلى أن ينشد دائما ثواب الله قبل أن يهدف إلى فائدته[3]، وهذا ما نلمسه من قصص القرآن الكريم حين ذكر الله أقواما بعث فيهم أنبياءً كانوا يحثونهم على عمل الآخرة دون نسيان حظهم من الدنيا، فهذا قارون الذي قال الله فيه [وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة][4] ذكر الله تعالى عنه دعوة الصالحين من قومه قولهم [وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك][5]، وهذا نبي الله هود عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله وحده وإلى الاستغفار والتوبة إلى الله حتى يكفل الله لهم المنفعة الشخصية والثواب

[1] الموسوعة العربية العالمية – ص 350.

[2] –آل عمران: جزء من آية 110.

[3] –أ.مالك بن نبي –الظاهرة القرآنية –ترجمة عبد الصبور شاهين –بإشراف ندوة مالك بن نبي –(مشكلات الحضارة) –تقديم: أ.محمد عبد الله دراز، أ.محمود محمد شاكر –الجزائر –دار الفكر –سوريا –دمشق –دار الفكر –1407هـ/1987م –ط.4 –(328ص –23,5 سم) –ص 207 بتصرف.

[4] –القصص: جزء من آية 76.

[5] –القصص: جزء من آية 77.

الأخروي، قال الله تعالى: [وإلى عاد أخاهم هودا، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إن أنتم إلا مفترون. يا قوم لا أسألكم عليه أجرا، إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون. ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين][1].

فإن القرآن جاء يقيم بناءه الخلقي على أساس القيمة الخلقية للفرد، وعلى العاقبة الدنيوية للجماعة، فأما الفرد فإن ثوابه مستحق يوم الحساب ومن أجل هذا يقرر القرآن صراحة القيمة الدينية للفرد في قوله تعالى [ذرني ومن خلقت وحيدا][2] وأما الجماعة فإن جزاءها عاجل، يلفتنا القرآن إلى قصته في هذه الدنيا حين يدعون دائما إلى تأمل العقاب الدنيوي في عواقب الأمم البائدة والحضارات الدارسة، قال تعالى [قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين][3].

بل إن القرآن ليعنف تلك الأمم في آية أخرى فيقول [ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّنّاهم في الأرض ما لم نمكّن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين][4].

كل هذا من ناحية القرآن فأما التوراة والإنجيل فعلى العكس من ذلك؛ فقد صاغت التوراة من أجل هذا الثواب الميثاق الخلقي الأول للإنسانية في وصاياها العشر، وساق الإنجيل توجيهاته في عظة المسيح على الجبل، ولكن الأمر في الكتابين كليهما أمر مبدأ أخلاقي سلبي، فهو يأمر الناس بالكفّ عن فعل الشر في حالة، وبعدم مقاومة الشر في أخرى[5].

---

[1] –هود: 50 – 52.

[2] –المدثر: 88.

[3] –الأنعام: 11.

[4] –الأنعام: 06.

–أ. مالك بن نبي –الظاهرة القرآنية –ص208.

[5] –نفس المرجع –ص 207 بتصرف.

ويرى الماركسيون أنه لا اعتبار لأي أخلاق عندهم لا تتناسب مع مقولتهم بالخبز وحده يحي الإنسان، بغض النظر عن المعطيات الدينية، لأن الإنسان غير مخلد ولا يرتفع شأن الإنسان بحال عندهم إلا بزيادة الإنتاج، كما أنهم ينسقون ذلك مع معتقداتهم بأنه: لا إله والكل مادة، وأن الدين أفيون الشعوب[1].

أما الرأسماليون فقد كان الهدف الأسمى عندهم من حياة الإنسان وعمله هو أن يجمع المال ثم يصنع المال مالا بغير توقف، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية، يجمع ويصنع عن أي طريق كان، ولو كان بالحرب والتخريب، لأن المهم هو تحقيق المال وتكديس والمضاهاة والتمتع[2].

(والأخلاق في عمومها ترجع في نشأتها إلى مصدرين في كل جماعة بشرية لا إلى مصدر واحد، وأنها ترجع إلى مصلحتين لا إلى مصلحة واحدة، وقد تكون إحداهما على نقيض الأخرى فيما تمليه وفيما تستمليه.

قيل أنها ترجع في ناحية منها إلى مصلحة السادة، وترجع في ناحية أخرى إلى مصلحة العبيد، وقد يقولون أخلاق الأقوياء والضعفاء، يبدلان من أخلاق السادة والعبيد.. والمرجّح أن التفرقة بين أخلاق الكرام الأحرار وبين أخلاق اللئام الهجناء، ملحوظ فيها هذا المعنى في اللغة العربية بين العرب الأقدمين، فكانوا يفهمون من وصف الأخلاق بالكريمة أنها أخلاق السادة الأحرار، ومن وصفها باللئيمة أنها أخلاق قوم ليست لهم أعراق وليس لهم خلاق.

ومهما تعددت المصطلحات فالمفهوم واحد أن الأخلاق ترجع إلى أخلاق الأقوياء وأخلاق الضعفاء. وقديما فسّر "هوبس" الفيلسوف الإنجليزي كل خلق حميد بأنه قوة أو دليل على قوة.

---

[1] – د. إسماعيل يحي رضوان عدارية – البناء الروحي والخلقي للإنسان في الشرائع السابقة وفي شريعة الإسلام –مجلة الحضارة الإسلامية – ع 04 –ص 119.

[2] –المرجع السابق – ع 04 – ص 120.

فالصبر قوة لأن الضعيف يجزع ولا يقوى على الصبر والاحتمال، والكـــرم قوة لأن الكريم يثق من قدرته على البذل، ويعطي من هو محتاج إلى عطائه والعدل قوة لأنه غلبة الإنسان العادل على نوازع طمعه ودوافع هواه.

وقس على ذلك كل خلق حميد تفسره على هذا النحو)[1].

بناء على ما سبق، فإن امتداح الخلق الحسن والقيمة المعزوة إليه شائع بين السلفيين والمتصوفة والفلاسفة، وهذا ما يراه بعض المستشرقين.[2]

[1] – أ.عباس محمود العقاد – الأعمال الكاملة: الفلسفة القرآنية – د.ب.ط – دار الهلال – 1988 م–د.ر.ط – (191 ص–23,5 سم)– ص 21 –23.

[2] دائرة المعارف الإسلامية – مج 2– ص 441.

المطلب الثالث: أمانة التكليف

بما أن الإنسان مخلوق مكلف وأن الإسلام لا يعرف الخطيئة الموروثة ولا يعرف السقوط من طبيعة إلى ما دونها، فإنه لا يحاسب أحدا بذنب أبيه [ولا تزر وازرة وزر أخرى][1]، وليس مما يدين المسلم أن يرتد النوع الإنساني إلى ما دون طبيعته، ولكنه مما يؤمن به أن ارتفاع الإنسان وهبوطه منوطان بالتكليف، وقوامه الحرية والتبعة، وهو بأمانة التكليف قابل للصعود إلى قمة الخليقة، وهو بالتكليف قابل الهبوط إلى أسفل سافلين، قال تعالى [إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الإنسان، إنه كان ظلوما جهولا][2] وهذه هي الأمانة التي رفعته مقاما فوق مقام الملائكة، وهبطت به مقاما إلى زمرة الشياطين.[3]

وبهذه الأمانة ارتفع الإنسان مكانا عليا فوق مكان الملائكة، لأنه قادر على الخير والشر، فله الفضل على من يصنع الخير؛ كما أنه بهذه الأمانة هبط الإنسان غرورا وسرفا إلى عداد الشياطين، قال تعالى [وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا][4] وهو في هذين الحالين إنسان قابل للنهوض بنفسه بعد العثرة، قابل للتوبة بعد الخطيئة، محاسب بما جنت يداه غير محاسب بما جناه سواه.[5]

---

[1] –فاطر: 18.

[2] –الأحزاب: 72.

[3] –أ.عباس محمود العقاد –الإسلاميات 1 –المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ –يحتوي على حقائق الإسلام وأباطيل خصومه –التفكير فريضة إسلامية – الديمقراطية في الإسلام –لبنان –بيروت –دار الكتاب اللبناني – 1974م –ط.1 –(561 ص–24 سم) –ص 81 بتصرف.

ينظر :د.جمعة علي عبد القادر–الله يتجلى في خلق الإنسان – حولية كلية أصول الدين– مصر– القاهرة– جامعة الأزهر– مطبعة السعادة– 1408هـ/1988 م– (422 ص– 24 سم)– ع 5– ص 362.

[4] –الأنعام: جزء من آية 112.

[5] –أ. عباس محمود العقاد –الإسلاميات 1 –ص 81 –83 بتصرف.

وكنتيجة حتمية فإنه كلما ازداد تكليف الإنسان والعناية به ورعايته والتنويه بشأنه، كلما تضاعفت مسؤولياته، وحمل تبعات جساما تتناسب وقدره، وتلتقي مع الدور الفعال الذي يقوم به في إدارة الأعمال[1].

و قضايا السلوك من القضايا الرئيسية في الإسلام الذي هو خاتم الأديان بل هو لبّ الرسالة الإسلامية، والأخلاق الإسلامية يبتغى بها وجه الله ثم تبتغى بها الحياة الفاضلة.[2]

ومما سبق يتضح لنا أن ثنائية الهداية والعصيان تتجسد في صراع الخير مع الشر وهي تتضمن ما قصه علينا القرآن الكريم من قصص كان الهدف من ذكرها أو سردها العظة والاعتبار، وعليه فإن الأمم المكذبة التي آثرت حب الدنيا والتشبث بالشهوات ونوازع الذات وإن وصفت بقوة الأجسام وقوة المال فهي أعراض زائلة تدمرها ذنوب الأقوام ومعاصيهم الكثيرة إلى جانب الشرك الذي رتب الله لصاحبه النار.

وهذه الذنوب والمعاصي متعددة بتعدد مخالفة أصحابها للأخلاق الكريمة والأخلاق التوحيدية، وخروج هؤلاء الأقوام عن أمانة التكليف التي أناطها الله لعباده، وهم بذلك يجسّدون وعد الشيطان لربّ العزّة حين طرده الله سبحانه من جنته [قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين][3].

فكانت بداية صراع الخير مع الشر مع بداية خلق آدم عليه السلام وسجود الملائكة له وعصيان إبليس لأمر الله عن السجود، بما كان يحمله هذا العدو اللّدود لآدم –عليه السلام– من حقد دفين نابع عن جهل بحكم الله في خلقه، ولم يكتف إبليس بهذا العصيان بل توعد بنقل هذا الحقد إلى أبناء آدم حين نزولهم إلى الأرض، واستمرت مسيرة هذا الصراع من ذلك العهد مرورا بأولئك الأقوام مع أنبيائهم،

[1] –أ.د. وهبة الزحيلي –الإنسان في القرآن الكريم –مجلة الحضارة الإسلامية –ع 04 –ص 58.

[2] –الموسوعة العربية العالمية– مج 1– ص 350، 351.

[3] –سورة ص: 82 –83.

والتي نجا بعضها من العذاب وبعضها أصابها ما وقته الله لها من الهـــلاك إلـــى أن وصل الصراع إلى هذا الزمان وسيتواصل إلى قيام الساعة.

ولا شك في أن ما طرحناه عامة من ذكر هذا الصراع إنما هو للتلميح أمـــا تفصيل الكلام فيه فيكون مرجعه إلى الفصل الثاني إن شاء الله.

إنّ مسمّى الحضارة يعني عند الكثيرين التطور المادي الذي أحرزته الأمم عبر الحقب التاريخية المتتالية، إلا أنّ البعض يرى أنّ هذا المسمى لا يصلح أن يورد في هذا الباب وإنّما المسمى الحقيقي والفعلي هو المدنية، أمّا الحضارة فهي تجمع ما سبق مع مزاوجتها بالجانب الرّوحي، ولعلّ إقحام البعض لتطوّر الأساليب المادية للحياة في مسمّى الحضارة راجع لخطأ فكري وقع فيه الكثيرون منذ أجيال عديدة وأزمنة طويلة يصعب على المفكرين أنفسهم تغييرها، وبما أنّ التسمية قد غلبت على جلّ الناس ارتأينا إبقاءها في بحثنا وهذا مسايرة للأغلب.

وقد خضع هذا المصطلح لتعريفات عديدة من طرف جمع كبير من المفكرين، وهذا لما تمثله الحضارة من أهمية في حياة الإنسان، وقد تطورت الحضارات عبر التاريخ ولا يعرف على وجه التحديد أي الأمم الإنسانية التي كانت سبّاقة في إحراز لقب الأمّة المتحضرة الأولى، وكان غيرها تابعا لها، أو استقى واستمدّ مظاهر الحضارة.

وقد كتب بعض المفكرين – أمثال ابن خلدون وابن باديس وابن نبي– عن الحضارة، ومنهم من أطال وهذا لأهميّتها.

وقد فصّل البعض الآخر في حضارة الأمم وأولوا أهمية للأمم الهالكة أمثال عاد وثمود وسبأ المبادة بسيل العرم، والحضارة الفرعونية والحضارة البابلية.

و بما أنّ لكل سبب مسبّبا، فقد ربط الله بين الأسباب ومسبّباتها، والأمم التي أنزل الله بها العقاب الدنيوي، لا شكّ أنّها قد اقترفت من الآثام ما كان سببا في هلاكها.

ونحن في هذا الفصل سنبرز في مباحث واسعة أشكال الحضارة وحضارات الأمم وأسباب هلاكها، وهذا في مبحثين: المبحث الأول سيكون مبيّنا للنظرة الشمولية على أخبار القرآن في قيام حضارات الأمم الهالكة، وسيكون في ثلاث مطالب: أحدهما يتعلق بمفهوم الحضارة وآراء الفلاسفة والمفكرين في قيامها وكيفية تطورها والفرق بينها وبين المدنية والثقافة، أما الثانية فتتعلق بدورة الحضارة بين

المفكرين الثلاث ابن خلدون، وابن باديس وابن نبي، وثالثها ستكون مخصصة لما سبق، حيث سنتحدث عن حضارة عاد وثمود وسبأ.

أمّا المبحث الثاني فسيكون في أسباب سقوط الحضارات، وهو في مطلبين: المطلب الأول: سيكون في ديانة الأمم باعتبارها عنصرا مهما في أسباب الهلاك، وسنختار نموذجين أحدها الحضارة الفرعونية ويقابلها موسى –عليه السلام– والحضارة البابلية ويقابلها نوح –عليه السلام–، والمطلب الثاني سيكون مقسّما إلى عناصر تتمثل في أسباب عقائدية وأخرى أخلاقية وثالثة اقتصادية، ومع الجميع سنختار نماذج قرآنية للإيضاح.

المبحث الأول
نظرة شمولية على أخبار القرآن في قيام حضارة الأمم الهالكة
وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : مفهوم الحضارة وتطورها

المطلب الثاني: دورة الحضارة بين ابن خلدون وابن باديس وابن نبي.

المطلب الثالث: حضارة الأمم الهالكة

المبحث الأول: نظرة شمولية على أخبار القرآن في قيام حضارة الأمم الهالكة

إن المدنية التي عايشها الإنسان عبر مختلف عصور التاريخ مرت بفترات متشابهة من حيث تطور الحضارة من الضعف إلى القوة ومن القوة إلى الضعف

والشيبة كما ذكر الله تعالى ذلك في شأن الإنسان؛ وحضارة أي أمة شبيهة بالإنسان تبدأ بنشأة الأمة إلى تكون القوة فيهم ثم تبدأ في الطور الثاني وهي التقدم والتطور وسعة النفوذ إلى أن تستكمل قوتها وتبلغ الذروة ثم تذهب إلى الطور الثالث كعادة أي أمة الابتداء بالضعف والانحلال والتقهقر إلى ذهاب شمسها وأفولها، فإما أن تختفي في عالم السيادة أو أن تزول بحيث تنقرض من عالم الوجود.

والحضارة عرفت مفاهيم عديدة كلها تصبّ في مصبّ واحد وهو التطور المادي والروحي للأمة.

وفي هذا المبحث أقسم البحث إلى مطالب ثلاث وأجزأ كل مطلب بدوره إلى أجزاء، فيكون المطلب الأول في مفهوم الحضارة وتطورها ويكون المطلب الثاني في دورة الحضارة بين ابن خلدون وابن باديس وابن نبيّ وأتناول كل مفكر على حدة. ويكون المطلب الثالث في حضارة الأمم الهالكة فأتناول حضارة العاديين ثم أتناول حضارة الثموديين وآخرها حضارة عاد المبادة بسيل العرم وفي كل حضارة أبرز الجانب المادي في الحضارة لهذه الأمم الثلاث باعتبار أن الحضارة تمس في أكثر أحوالها التطور المادي عندما يهتم بالمادة على أنني أتناول القصص الثلاث من حيث ورودها في القرآن الكريم وأقوال بعض المفسرين في ذلك وأتناول الجانب التاريخي باعتباره مهما في تأكيد النصوص القرآنية وإن كان القرآن أصدق الكتب في اعتقادنا نحن المسلمين.

المطلب الأول : مفهوم الحضارة وتطورها

إن المتتبع لمسار الإنسان على مدار التاريخ يجد أنه قد لمعت حضارات فردية وعلت ثم انهارت ولكن السمات البارزة للحضارة لا تختفي بحيث تنتشر الأفكار والاختراعات من حضارة إلى أخرى، وفي كثير من الأحيان يحدث تطور مشابه مستقل في حضارات مختلفة إذ أن الحضارة تشمل الفن والعادات التقنية وشكل السلطة وكل شيء آخر يدخل في طريقة حياة المجتمع، وبالتالي فإن الحضارة مماثلة للثقافة، لكن هذه الأخيرة تشير إلى وسيلة ما من وسائل الحياة وتشمل أسلوب الحياة البسيطة والمعقدة، وأما الحضارة فتشير فقط إلى أساليب الحياة التي تتصف بنظم اقتصادية وحكومية واجتماعية معقدة، ولذا فإن كل إنسان يعيش في إطار ثقافة ما إلا أنه لا يعيش في إطار حضارة معينة[1].

ومن هذا المنظور نحاول أن نفصل المجمل من خلال العناصر الآتية:

أولا –تعريف الحضارة:

الحِضارة والحَضارة في اللغة هو السكون بالحَضَر كالبدَاوة والبَدَاوة[2].

والحَضَر محرّكة والحضرة والحاضِرة والحِضَارة ويفتح كلها بمعنى واحد هي خلاف البادية، كما أنها الإقامة في الحَضَر والحَضْر[3] –كما ذكرنا آنفا–.

قال القطامي الشاعر مفتخرا ببداوة قومه ومستخفا بأهل الحضر:

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا[4]

وهي في اصطلاح العلماء تطلق على مظاهر الرقي الإنساني في جميع نواحيه الأدبية والمادية والعقلية والروحية والدينية والدنيوية؛ ولعل سبب هذا

---

[1] –الموسوعة العربية العالمية – مج9 –حرف الحاء –ص 423 بتصرف.

[2] –الشيخ الراغب الأصفهاني –المفردات في غريب القرآن –ص 129.

[3] –الشيخ جمال الدين بن منظور –لسان اللسان –تهذيب لسان العرب –لبنان –بيروت –دار الكتب العلمية – 1413 هـ/1993م –ط.1 –(708 ص –24 سم) –ج1 –فصل الحاء –ص 266.

[4] –أ.ماجد أحمد مومني –الإسلام دين الحضارة المثلى– مجلة هدي الإسلام –الأردن– مطابع وزارة الأوقاف – إصدار وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية –1409هـ/ 1989م –(96ص –24 سم)–ع 5–6 – مج33 –ص 49.

الإطلاق ما لوحظ عادة من أن الإنسان يبلغ أسمى مراتب تقدمه ورقيه حينما يكون في الحواضر لا البوادي[1].

والحضارة في إطلاقها وعمومها يراد بها تراث الإنسان كله الذي يصور علاقته بالكون وما وراء الكون، ويمثل رقيّه فيما وصل إليه من علم وعمل وإنتاج في جميع العصور وفي جميع ميادين الحياة: النظرية والعلمية والمادية والروحية والدنيوية؛ فهي تتناول تصور الإنسان للكون والحياة وعقيدته فيها تتناول الأدب والسلوك والتنظيم والتشريع والعمل والإنتاج والإبداع والاختصار والفن والعمارة ومستوى الحياة وحقوق الإنسان... الخ، فهي مظهر الرقي في ذلك كله، والحضارة في تخصيصها بأمة من الأمم أو جماعة من الناس تعني تراث هذه الأمة أو الجماعة الذي يميزها عن غيرها من الأمم أو الجماعات كالحضارة الفرعونية أو اليونانية أو العربية.

وهناك تعريف آخر للحضارة لا يخرج في مفهومه عما أوردناه وهو أن الحضارة عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها إنسانيا وخلقيا وعلميا وأدبيا وفنيا واجتماعيا[2].

ثانيا-آراء المفكرين والفلاسفة في قيام الحضارة:

تولد لدى كثير من الفلاسفة والمؤرخين وعلماء الآثار القديمة تصورات مختلفة وآراء عديدة في شأن قيام الحضارات وانهيارها، يقول وُل ديورانت:" ليس التاريخ إلاّ موكب الدول والحضارات التي تنشأ وتزدهر، ثم تضمحلّ وتفنى، ولكن كلاً منها تخلّف وراءها تراثا من العادات والأخلاق والفنون، تتلقاه عنها الحضارات

[1] -المرجع السابق -مج33 -ص 49.

[2] -د. علي أحمد مدكور -منهج التربية في التصور الإسلامي -لبنان -بيروت - دار النهضة العربية - 1411هـ/ 1990م -د.ر.ط -(543ص -24 سم) -ص 244، 245.

التي تأتي من بعدها فهي كالعدائين في سباق يسلّم كلّ منهم مصباح الحياة إلى غيره".[1]

فهذا جورج هيجل الفيلسوف الألماني في أوائل القرن 19 يشبه المجتمعات بالأفراد الذين ينقلون شعلة الحضارة من واحد إلى الآخر، وفي رأيه أنه خلال هذه العملية تنمو الحضارات في ثلاث مراحل: (1.حكم الفرد –2.حكم طبقة من المجتمع –3.حكم كل الناس)[2].

وهذا الفيلسوف الألماني أوزوالد سبنجلر يعتقد أن الحضارات مثلها مثل الكائنات الحية تولد وتنضج وتزدهر ثم تموت. وفي كتابه "انحدار الغرب" (1918-1922) ذكر أن الحضارة الغربية تموت وسوف تحل محلها حضارة آسيوية جديدة.

كما أن المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي في كتابه "دراسة التاريخ" (1934-1961) يعتقد من خلال نظريته عن التحدي والاستجابة أن الحضارات تقوم فقط حيث تتحدى البيئة الناس، وحينما يكون الناس على استعداد للاستجابة للتحدي، فمثلا الجو الحار الجاف يجعل الأرض غير مناسبة للزراعة يمثل تحديا للناس الذين يعيشون هناك ويمكن أن يستجيب الناس لهذا التحدي ببناء أنظمة ري لتحسين الأرض. ويرى أن الحضارات تنهار حينما يفقد الناس قدرتهم على الابتكار.

ثالثا-كيفية تطور الحضارات:

تعتبر فترة ما قبل التاريخ فترة بدائية عاشها الإنسان وعرفت فيما بعد بالعصر الحجري، وكان الناس يعيشون في جماعات صغيرة ويتنقلون من مكان لآخر بحثا عن الطعام، كانوا يصطادون الحيوانات والأسماك ويجمعون النباتات البرية وهؤلاء القدامى كان لديهم تنظيم اجتماعي بسيط يقوم على الروابط العائلية، وقرابة عام 9000 ق.م بدأ الناس في الشرق الأوسط في زراعة الغلال والحبوب ونباتات أخرى كما استأنسوا الماعز والغنم والماشية. وفي جنوب آسيا في شرقيها

[1] ول وايريل ديورانت- قصة الحضارة- إعداد و ترتيب: أ.محمد عبد الرحيم – لبنان- بيروت- دار الجيل- 1412هـ/1992م- ط1- (1456 ص – 24سم)- فهارس الأول،الثاني- ص 9.

[2] -الموسوعة العربية العالمية -مج9 -حرف الحاء -ص 423 بتصرف.

بدأ الناس في زراعات المحاصيل نحو عام 7000 ق.م، وكان قيام الزراعة خطوة كبيرة في تطور زراعة طعام يكفيهم ويكفي آخرين من أصحاب الحرف والكهنة. وكان النقص في الطعام على فترات من أسباب زيادة التجارة حيث تبادلت القرى فيما بينها الحبوب والفخار وبعض المواد الأولية. وتعلم الناس في الشرق الأوسط نحو عام 3500 ق.م صهر النحاس وصنع أدوات من البرونز وأسلحة، وزاد الطلب على المعدن الخام، واكتسب الكهنة ورؤساء القبائل سلطات أكبر على التجارة، وتحولت القرى في الشرق الأوسط إلى مدن تدريجيا وأصبحت المزارات الدينية والأماكن المقدسة التي ازدهرت أماكن احتفالات، ومراكز للسلطة الاقتصادية والسياسية في المدن الناشئة وتطورت بعض الحضارات بطريقة مستقلة في أماكن متفرقة من العالم، فقد بزغت أقدم الحضارات عام 3500 ق.م في الشرق الأوسط، في وادي دجلة والفرات وفي وادي النيل في مصر والسّودان ووادي السند فيما يسمى الآن باكستان ووادي هيانج في الصين[1].

والذي يبدو من خلال آراء المؤرخين أن المدنية ولدت في الصين، وازدهرت هناك منذ 4000 سنة قبل الميلاد حضارة رفيعة متقدمة أخذت تنتشر بالتدريج صوب الغرب عبر القارة الأسيوية ولكنها لم تصل إلى أوربا الغربية إلا بعد مضي 3000 سنة، وفي حوالي القرن 30 ق.م كانت الحضارة قد بلغت غايتها في الشرق الأوسط حيث وجد مراكزها البالغ الأهمية وهما نهر النيل والفرات وظلت المدنيتان المصرية والبابلية لعدة آلاف من السنين أكبر المدنيات في العالم[2]. وما بين النهرين هو الاسم القديم الذي أطلق على كل المنطقة التي تقع بين نهري دجلة والفرات مهد الحضارة التي عرفت فيما بعد باسم الحضارة البابلية، وتنقسم المنطقة إلى قسمين طبيعيين، الجنوبي منها منخفض جدا ومستوي، والشمالي صخري وجبلي، وعلى هذه الأراضي نشأت امبراطوريتان منفصلتان آشور في الشمال، وبابل في الجنوب

[1] –المرجع السابق–مج9 –حرف الحاء –ص 423 بتصرف.

[2] –مدن ومدنيات –كتاب المعرفة –الشركة الشرقية للمطبوعات شركة تراد كسيم شركة مساهمة سويسرية – جونيف –1987م – (158ص –30سم) –ص 07 بتصرف.

كانتا دائمتي التنافس، فتارة تتغلب بابل وأخرى آشور، وأخيرا استطاعت إمبراطورية بابل مرة أخرى أن تسيطر على منطقة ما بين النهرين الشاسعة[1].

رابعا- الفرق بين الحضارة والمدنية والثقافة:

يجد الباحث عدة مصطلحات يربطها بمفهوم الحضارة ارتباط وثيق إلى حدّ أنّه قد يختلط على غير المتخصص الوقوف على حقيقة الفواصل الدقيقة بينها، فقد يفهم بعضها على أنّه مرادف للحضارة، أو مخالف لها مثل المدنية والثقافة.[2]

و لذلك يمكننا أن نوضح ما يرمي إليه معنى كلّ مصطلح لتتبيّن لنا العلاقة التي تربط كلّ مصطلح بآخر، وعليه فمعنى كل مصطلح كالآتي:

أ). **الثقافة:** مصطلح يستخدمه علماء الاجتماع للإشارة إلى طريقة الحياة الكلية لشعب من الشعوب وتعني عندهم أيضا كلّ ما صنعه وابتدعه من الأفكار والأشياء وطرائق العمل فيما يصنعه ويوجده، وتعني عند البعض المعرفة بصفة عامة.[3]

و يعرفها مالك بن نبي بأنّها الجوّ العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معيّن وسلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر.[4]

كما عرّفها بأنّها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكهم بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه.[5]

---

[1] -المرجع السابق - ص 07 بتصرف.

[2] د. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي-حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم- مصر - القاهرة - مدينة نصر- مكتبة الدار العربية للكتاب-1416 هـ/1996 م - ط1- (217ص -19,5 سم)- ص 27.

[3] نفس المرجع -ص 28، و الموسوعة العربية العالمية -مج 8- ص 38.

[4] أ. مالك بن نبي- تأملات - مشكلات الحضارة- بإشراف ندوة مالك بن نبي- سورية- دمشق- دار الفكر- دار الكتاب- الجزائر- دار الفكر- الملكية للإعلام - 1412هـ/1991م- ط1-(239ص- 23,5 سم)- ص147.

[5] د. بوعزة عبد القادر - محاضرة تمهيدية في مشكلات الحضارة- حولية الجامعة - الجزائر - جامعة وهران- ديوان المطبوعات الجامعية- المطبعة الجهوية- 1998م- (315ص- 24 سم)- ع 5- ص 154.

ب). المدنية: تتوارد كلمتا الحضارة والمدنية على الألسن بتناغم وإيقاع المتلازمين حتى يظنّ السامع أن لا فرق بينهما خصوصا وجهة نظر مادية.[1]

و لكن من الوجهة التخصصية فإن مصطلح المدني يطلق ويراد به الأشكال المادية التي تقام وتنشأ على أساسهم العلمي والثقافة في نواحي الحياة، وبالتالي فجميع الحرف والصناعات التي تنشأ عن علم وثقافة ومعرفة تكوّن المدنية.[2]

ج). الحضارة : سبق وأن تطرقنا إلى تعريف الحضارة لغة واصطلاحا، ويمكن أن نجمل القول هنا بانّ الحضارة هي التقدّم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على حدّ سواء[3]، وبأنّها النتائج الحاصل ضرورة عن حركة مجتمع، حركة شاملة، في مجال الفكر والاقتصاد، وفي رحاب التوازن الروحي والمادي.[4]

وبالتالي فإنّ المدنية هي مقوّمات للحضارة، وحتى يستقيم اسم الحضارة لا بدّ من إضافة التوازن الروحي للمدنية، كما أنّ هذه الأخيرة لا يمكن أن تقوم إلا بوجود الثقافة، وعليه فكلّ مصطلح يدخل في نطاق الآخر.

---

[1] أ.محمد أكرم المرزوقي – كيف نفهم الحضارة؟ –مجلة منار الإسلام– ذو القعدة 1416 هـ/20 مارس 1996م– (130 ص – 24 سم)– س 21– ع 11– ص77.

[2] د. عبد الحكم الصعيدي – حضارات ورد ذكرها في القرآن – ص28.

[3] أ.المرزوقي– – كيف نفهم الحضارة؟ –مجلة منار الإسلام– س 21– ع 11– ص77.

[4] د. أسعد السحمراني –مالك بن نبي "مفكرا إصلاحيا"–لبنان– بيروت – دار النفائس–1406هـ /1986م–ط2– (264ص– 24سم)– ص 144.

المطلب الثاني: دورة الحضارة بين ابن خلدون وابن باديس وابن نبي

الأمم كالأفراد تمر عليها ثلاثة أطوار؛ طور الشباب، طور الكهولة، وطور الهرم، فيشمل الطور الأول نشأتها إلى استجماعها قوتها ونشاطها مستعدة للكفاح والتقدم في ميدان الحياة، ويشمل الطور الثاني ابتداء أخذها في التقدم والانتشار وسعة النفوذ وقوة السلطة إلى استكمالها قوتها وبلوغها غاية ما كان لها أن تبلغه من ذلك بما كان فيها من مواهب وما كان لها من استعداد وما لديها من أسباب، ويشمل الطور الثالث ابتداءها في التقهقر والضعف والانحلال، إلى أن يحل بها الفناء والاضمحلال، إما بانقراضها من عالم الوجود، وإما باندراسها من عالم السيادة والاستقلال، وما من أمة إلا ويجري عليها هذا القانون العام وإن اختلفت أطوارها في الطول والقصر كما تختلف الأعمار[1].

ويدرك الجميع بأن ابن خلدون هو أول من تعرض لدراسة ظاهرة حياة المجتمعات والدول ليصنفها في هذه الأطوار الثلاث وقد تبعه في ذلك بعض مفكري الإسلام في عصر النهضة والإصلاح منهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، (ولما كان مالك بن نبي هو نتاج الحركة الإصلاحية التي بعثها ابن باديس في أنصع صورها وأسمى أفكارها كما يعترف بذلك خلال بعض كتبه وأحاديثه)[2]، فقد سار على منهج ابن باديس في دورة الحضارة، وقد خصصنا هذا العنصر لهؤلاء المفكرين لما امتازوا به من جودة في دراسة مراحل حياة الشعوب والأمم من الزاوية التاريخية

[1] –الشيخ عبد الحميد بن باديس –مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير–الجزائر –قسنطينة– دار البعث – مطبوعات وزارة الشؤون الدينية –1402هـ/ 1982م –ط1 –(493 ص –24 سم) –ص 162.

[2] أ.طارق البشري، أ.محمود محمد سفر – فعالية القيم في الإقلاع الحضاري عند مالك بن نبي –رحمه الله– – مجلة جامعة الخليج العربي منهج في الثقافة الإسلامية – نحو وعي إسلامي بالتحديات المعاصرة –من محاضرات جامعة الخليج العربي في مادة الثقافة الإسلامية –1405–1408هـ/1985–1988م –(376ص – 24 سم) –ج2 –ص 223 بتصرف.

والسننية بطريقة علمية مضبوطة لم يسبقوا إليها، بالإضافة إلى أنهم من أقطاب علماء الإسلام ومفكريه[1].

أولا- آراء ابن خلدون:[2]

يحدّد ابن خلدون الحضارة بقوله هي : "التفنن في الترف، واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنّق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية، ولسائر أحوال المنزل".[3]

ولذلك كانت هذه المظاهر الحضارية تنتقل من أمّة لأخرى تقلّدها فيها، ومن هنا يصعب علينا الفصل بين مصطلح الحضارة من الناحية الاصطلاحية وباقي المصطلحات الأخرى المشابهة له، كالنهضة والتقدم والتطور.[4]

تتمثل حياة الشعوب والدول في نظر ابن خلدون في مراحل وفترات تمر بها حيث تنتقل من طور البداوة والتوحش إلى حياة البذخ والترف ورقة العيش، لتصل في نهاية المطاف إلى سن الشيخوخة والهرم ثم الفناء، وهي تتشابه في ذلك مع

---

[1] -أ. الطاهر عامر – دورة الحضارة بين ابن خلدون و ابن باديس و ابن نبي- مجلة الموافقات – المعهد الوطني العالي لأصول الدين –الجزائر –الجزائر –ذو الحجة 1414هـ/جوان 1994م- (432 ص-27 سم) – ع3- ص 310-311 بتصرف.

[2] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (732-808 هـ/1332-1406 م)، مؤسس علم الاجتماع، ولد في تونس، و ينتمي إلى فرع من قبيلة كندة، امتاز بسعة إطلاعه على ما كتبه الأقدمون و على أحوال البشر، عاش في بيئة مضطربة سياسيا، تقلّد بعض المناصب السياسية، له ملاحضات دقيقة حول قيام و سقوط الدول و أعمارها، ذكر له المؤرخون كتبا في الحساب و المنطق و التاريخ، و أهمها كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرها من ذوي السلطان الأكبر، في سبعة مجلّدات أولها المقدمة التي حققت له الشهرة العارضة. الموسوعة العربية العالمية – مج10- ص135.

[3] العلامة عبد الرحمن بن خلدون – المقدمة- ص 235.

[4] د. إسماعيل زروخي- الدين و حوار الحضارات في فكر مالك بن نبي – مجلة المعيار – الجزائر- قسنطينة- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية كلية أصول الدين للشريعة و الحضارة الإسلامية- الجزائر – غرداية- المطبعة العربية- رمضان 1423هـ/نوفمبر 2002م- (301ص- 24سم)- ع 3- ص 160.

الأطوار التي تعرفها حياة أي فرد من النوع الإنساني، بدءا من فترة الطفولة والشباب إلى الكهولة والشدة ثم الشيخوخة والهرم[1].

ويرى ابن خلدون أن العمر الطبيعي للأشخاص مائة وعشرون سنة وهو نفس العمر الذي تجتازه أي أمة من أمم الأرض وهو إذ ذاك يستند في قوله هذا على ما زعمه الأطباء والمنجمون وما حدث في التاريخ من حياة الأمم، وبناءً على ما جاء من الأدلة والشواهد في القرآن الكريم التي تؤكد صحة مذهبه.[2]

إليك أهم ما جاء في هذه المراحل من كتابه "المقدمة": "إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحسهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه ومن عزة الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتنكسر سورة العصبية ببعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهد اعتزازهم وسعيهم ومراميهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإن ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من وجودها فيهم وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هو فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تبنّقوه (نعموا به) من النعيم وغضارة العيش فيصيرون عيالا على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها وهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورها فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج

[1] –أ. الطاهر عامر – دورة الحضارة– مجلة الموافقات – ع 3– ص 310 بتصرف.

[2] نفس المرجع– ع 3– ص311.

صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجـدة ويسـتكثر بـالموالي ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت"[1].

ثانيا – آراء ابن باديس:[2]

لا نكاد نجد اختلافا كبيرا بين ابن باديس في نظرته للدورة الحضارية عـن نظرة ابن خلدون فهو يذكر الأطوار الثلاثة التي تمر بهـا الأمـم وهـي الشـباب والكهولة والهرم ويشرح الأطوار طورا طورا مبينا بأن (الطور الأول يشمل نشأة الأمة إلى استجماعها قوتها ونشاطها، ويشمل الطور الثاني ابتداء أخذها في التقـدم والانتشار في سعة النفوذ وقوة السلطان إلى استكمالها قوتها، ويشمل الطور الثالـث ابتداءها في التقهقر والضعف والانحلال إلى أن يحل بها الفناء والاضمحلال)[3].

وهو يؤكد سريان هذا القانون العام على جميع الأمم وإن اختلفت أطوارها في الطول والقصر كما تختلف الأعمار، ويعطي مثالا حيا تكرر في العديد من السـور القرآنية وهو تاريخ أمة بني إسرائيل فيقول: (إن بني إسرائيل مـا اسـتخلفوا فـي الأرض حتى قووا واشتدوا وتكونت فيهم أخلاق الشجاعة والنجدة والحمية والأنفـة بعد خروجهم من التيه وذلك هو الطور الأول طور الشباب للأمة الإسرائيلية، وذكر الطور الثاني وهو طور الكهولة لاستكمال القوة وحسن الحال ورغد العيش في مثل قوله تعالى [وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا مـن كـل

---

[1] –العلامة عبد الرحمن بن خلدون –المقدمة –ص 118.

[2] عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس (1308– 1359هـ/1889–1940م)، أسرته قسنطينية مشهورة بالعلم و الثراء و الحاه، و كانت منذ القدم ذات نفوذ، تخرّج من جامع الزيتونة بشهادة التطويع، أسّس جريدة "المنتقد" ثم أصدر جريدة "الشهاب" و له تحقيق كتاب "العواصم من القواصم" لأبي بكر بن العربي، و له نقد لمقدّمة ابن خلدون. د. عمّار الطالبي– ابن باديس حياته و آثاره – الجزائر– الشركة الجزائرية – دار الغرب الإسلامي– ط3– 1417هـ/1977م– لبنان –بيروت– دار صابر– 1997م – د.ر.ط– (506ص– 24,5 سم)– مج1، ص 72–92.

[3] –الشيخ عبد الحميد ابن باديس –مجالس التذكير –ص 163 بتصرف.

مكان][1] وذكر الطور الثالث طور الضعف والانحلال في مثل قوله تعالى [وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا][2]، وإهلاكهم يكون بعد إسباغ النعمة وإقامة الحجة عليهم وتمكن الفساد فيهم وتكاثر الظلم عنهم فإهلاكهم هو نهاية الطور الثالث من أطوار الأمم الثلاث، وإلى خاتمة الطور الثالث وعاقبته جاء البيان في قوله تعالى [وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا[3]])[4].

ثالثا – آراء ابن نبي:[5]

يعرّف مالك بن نبي الحضارة بقوله:"بأنّها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفّر لكلّ عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوّره"، فالفرد يحقّق ذاته بفضل إرادة وقدرة ليستا نابعتين منه، بل ولا تستطيعان ذلك، وإنّما تنبعثان من المجتمع الذي هو جزء منه.[6]

لقد سلك مالك بن نبي في بحوثه ومؤلفاته عن الحضارة مسلك النابش عن جذورها الرابط بينها وبين نفوس أصحابها.[7]

---

[1] –النحل: 112.

[2] –الكهف: 59.

[3] –الإسراء: 58.

[4] –أ. الطاهر عامر – دورة الحضارة– مجلة الموافقات –ع 3 –ص 311–312 بتصرف.

[5] مالك بن نبي (1323–1393 هـ/1905–1973 م)، مفكر جزائري ولد بقسنطينة، أهم مؤلفاته الظاهرة القرآنية لبّيك، شروط النهضة، وجه العالم الإسلامي، الفكرة، الأفرو آسيوية، مشكلة الثقافة، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي...إلخ، و يلاحظ أنّ معظم كتبه كانت حول مشكلة الحضارة، و أسباب التخلف في العالم الإسلامي و النامي، و الآخر الذي يغذي هذا التخلف. الموسوعة العربية العالمية– مج22– ص121.

[6] أ. مالك بن نبي – مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي– ترجمة :د.أحمد شعبو، د.بسام بركة– إشراف و تقديم: المحامي عمر مسقاوي، سورية– دمشق– دار الفكر– الجزائر– الجزائر– الملكية للإعلام –1413هـ/1992م– ط1– (182ص– 23,5سم)– ص 42.

[7] د. محمد سعيد رمضان البوطي– منهج الحضارة الإنسانية في القرآن– كتاب الأصالة ملتقى القرآن الكريم– الجزائر– قسنطينة– دار البعث– 1401هـ/1981م– (286ص– 24سم)– ع 15– ص 108.

لقد درس مالك مفهوم الحضارة من نواح ثلاث:[1]

1). **من حيث تركيبها:** أي من حيث العناصر الأساسية التي تتكوّن منها الحضارة.

2). **من حيث وظيفتها:** أي باعتبار وظيفة الحضارة في المجتمع.

3). **من حيث تاريخها:** أي اتصالها بالمجتمع، كيف تنشأ وترتقي ثم تنحطّ.

لا تكاد تختلف رؤية مالك بن نبي للدورة التاريخية عن العالمين السابقين ابن خلدون وابن باديس ولكنه يعطي نظرة متميزة عن سبب نمو وسيادة الحضارة وهو العقيدة الدينية التي طرحها ابن خلدون في فكرة علاقة القوة بالعصبية الدينية، في حين نجد أنّ ابن باديس يذكر أنّ إقلاع الأمة عن سبب العذاب كفيل برفع الهلاك، وجعل السبب في الإيمان وهو ما يؤكد أنّ ابن باديس يشارك الآخرين في نظرتهما أنّ كل ما يتصل بالعقيدة هو الذي يعطي فرصة للأمة حتى تسير في درب الحياة وهو يعطي مثالا من القرآن قال تعالى: [إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين][2]، وقال تعالى: [فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها][3]، وقال تعالى: [ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض][4].

ولا نذهب بعيدا عما نحن بصدد الحديث عنه وهو ذكر أقوال مالك بن نبي إذ يقول: (أنّ الحضارة لا تنبعث –كما هو ملاحظ– إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها. ويقول في موضع آخر: ومن هنا نستطيع أن نقرر أن المدنيات الإنسانية حلقات متصلة تتشابه أطوارها

---

[1] أ.مصطفى محمد طه–نظرات في الفكر الإسلامي المعاصر: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي– مجلة منار الإسلام– شعبان 1419هـ/ديسمبر 1998م– (110ص– 27 سم)– س 24– ع8 – ص 101 بتصرف.

و ينظر د.محمد سعيد مولاي – إشكالية الحضارة عند مالك بن نبي– مجلة الموافقات– ع 3– ص299 – 301.

[2] –يونس: جزء من آية 98.

[3] –يونس: جزء من آية 98.

[4] –الأعراف: 96.

مع أطوار المدنية الإسلامية والمسيحية، إذ تبدأ الحلقة الأولى بظهور فكرة دينية، ثم يبدأ أفولها بتغلب جاذبية الأرض عليها، بعد أن تفقد الروح ثم العقل).[1]

كما يعرض في موضع آخر فكرة الدين فيقول: وكذلك كان المسلم، فقد بعث الدين فيه روحا محركا للحضارة فلم يلبث بعد مرحلة قضاها في الخلافات والحروب أن عاد إلى حيث هو الآن إنسانا بدائيا.

وهو يجزم مثل سابقيه بأنّ التجارب الدينية العامة تؤكد أطوار الحضارات هذه، ولا تكاد حضارة ما تشذ عن هذه القاعدة[2].

ونجده يشبه دورة الحضارة كدورة الشمس وأنّ لكل أمة دورتها ورغم أنّ العالم الإسلامي أفلت شمسه منذ قرون فإنّ هناك فرصة لتعود إليه مادام الإسلام باقيا ومادام عنصره البشري ما يزال يحتفظ بشيء من فطرته واستعداده للقيام بدوره من جديد كما يدل على ذلك حيويته خلال التاريخ[3].

و الحضارة عند مالك بن نبي سياج حصانة للإنسان تحميه من الهمجية، كما أنّها توضع في مقابل البدائية لا البداوة.[4]

ويرى أنّ هذه الحضارة لا تباع ولا تشترى ولا تصدر ولا تستورد وإنّما هي من تركيب لعناصر الإنسان والتراب والوقت وليس لهذه العناصر من مركب سوى الدين[5].

و يعتبر التراب أحد شروط النهضة، وعناصر الحضارة، في مشروع ابن نبي لحلّ مشكلات الأمّة الإسلامية، وقد تولّدت فكرة التراب لدى مالك حين التحق بمدينة آفلو للعمل في محكمتها حيث لفتت نظره ظاهرة زحف الرّمال على الأراضي الزراعية، وقد بدأ منذ ذلك الوقت يدقّ ناقوس الخطر، ويحذّر من أخطارها على

---

[1] –أ.الطاهر عامر – دورة الحضارة – مجلة الموافقات –ع 3 –ص 313.

[2] –المرجع السابق– ص 313،314.

[3] –مجلة جامع الخليج العربي –منهج في الثقافة الإسلامية –ص 224.

[4] د. عبد الرزاق قسوم– إشكالية الحضارة في فكر مالك بن نبي– مجلة الموافقات– ع 3– ص 291.

[5] –نفس المرجع– ص 224.

الأمن الغذائي للجزائر وللأمّة الإسلامية التي يعاني كثير من أقطارها من الظـــاهرة نفسها، وممن أثار معه هذه المشكلة الإمام ابن باديس وذلك سنة 1928م.[1]

كما يجعل مالك الإنسان مفتاح الحضارة حين يقول:القضية ليست قضية آلـــة يمكن توفير المال بشتى الوسائل لإحضارها، بل قضـــية إنســـان مهيـــأ لتوجيههـــا واستخدامها وبالتالي فإنّ مشكلة التجهيز مرتبطة بقضـــية الإنســـان والأفكـــار، وأنّ المحصول الاجتماعي للآلات المرتبط بفعالية وسلوك الفرد الـــذي يســـتخدمها، وأن تطوّر المجتمع وتقدّمه لا ولن يكون إلا بإعادة الاعتبار للإنسان، ذلك الكائن الـــذي لا يمتلك سواه الدور في صنع وإعمار التاريخ.[2]

أمّا بالنسبة للوقت فيشبّه مالك الزمن بنهر قديم يعبر العالم منذ الأزل ويمـــرّ خلال المدن، يغذّي نشاطه بطاقته الأبدية أو يدلّل نومها بأنشودة الساعات التي تذهب هباء، وهذا الزمن يتحول عند من يقدّره إلى حدّ قدره إلى ثـــروة، وعنـــد مـــن لا يشعر به إلى عدم، وينظر إليه على أنّه عملة نادرة، أنفس من الذهب.[3]

و في هذا الصدد يقول: وهكذا يجب أن نلتفت نحن إلى مختبر التاريخ ليـــدلّنا عن المركّب الذي يتدخل في تركيب العناصر الثلاثة: الرجل، التراب، الوقت، كمـــا يكوّن حضارة، ولا أريد هنا إطالة الكلام على تأثير الدين بصـــفته عـــاملا مركّبـــا للحضارة.[4]

إنّ الحضارة هي نتاج حركة أبناء المجتمع بتوازن معنـــوي، مـــادي، إلـــى أهداف محدّدة وتحقق الدور لهذا المجتمع في تاريخ البشرية[5]، لأنّ مشكلة الحضارة

---

[1] أ. محمد الهادي الحسني – مالك بن نبي: لمحات من حياته و قبسات من فكره– مجلة الوافقات – ع 3– ص 279.

[2] د. السحمراني – مالك بن نبي "مفكرا اصلاحيا"–ص 191.

[3] من زعماء الإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث: 1 مالك بن نبي مصلح حضاري– مجلة جامعة الخليج العربي– ص201.

[4] أ. مالك بن نبي – تأملات ص201.

[5] د. السحمراني – مالك بن نبي "مفكرا اصلاحيا"–ص 46.

لا تحلّ باستيراد منتوجات حضارية موجودة مع الاحتفاظ بالصواب بين الإفراط والتفريط.[1]

وبناء على ما سبق فإنّ رؤية مالك للحضارة تكمن في تركيب أصيل لعناصر التراب والإنسان والزمان ويكون مركبّها الفكرة الدينية وينفي كون الحضارة فيما يعتقده المجتمع من تكديس منتجات الحضارة.[2]

[1] أ. مالك بن نبي – القضايا الكبرى– مشكلات الحضارة– باشراف ندوة مالك بن نبي – سورية– دمشق– دار الفكر– الجزار– الجزائر– دار الفكر – دار الكتاب– الملكية للإعلام– 1412هـ/1991م–ط1–(224ص– 23سم)– ص67 بتصرف.

[2] المرجع السابق– ص 50.

المطلب الثالث: حضارة الأمم الهالكة

ثلاثة عناصر تصنع الغيب؛ حدث في الزمن الماضي، وحدث سيقع في الزمان الآتي، والعنصر الثالث هو المكان يحدث فيه الحدث بعيدا عن الإنسان فلا يعلم به[1]، ويشترك فيه كل من العنصرين السابقين، فما حدث في الماضي في مكان معين لم يكن جميع البشر حاضرين وقت ولا في مكان حدوثه، وما سيحدث في المستقبل في مكان معين لا يكون البشر حاضرين في وقت ولا في مكان حدوثه، ويشتمل الماضي على قصص الأنبياء الأولين والآخرين والأمم الغابرة والتي لا يمكن أبدا أن يكون الرسول » قد افتراها من عند نفسه لأن العقل البشري يعجز عن اختراق حجب الغيب للكشف عما جرى في الأزمنة السابقة، فإن ادعى أحد ذلك فلابد أن يظهر كلامه في شكل خيالي شبيه بالأساطير والخرافات، ونحن عندما نقرأ القرآن ونتأمل قصصه كقصة آدم عليه السلام أو قصة الطوفان أو أي قصة من قصصه لما وجدنا فيه شيئا يشبه الخيال أو يلتبس بالأساطير والخرافات، بل تبدو كل قصة من قصصه حقا، تتوافق مع المنطق والعقل، ونجدها كلها هادفة تزخر بالعبر والمواعظ والأدب، وهناك دليل آخر يؤكد مصدرها الإلهي هو تصديقها للكتب السماوية السابقة وقد أشار القرآن إلى هذا الدليل في آخر سورة يوسف[2] وهي الآية [لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب][3].

كما أنّ هذه القصص تزخر بحضارات نمت وازدهرت ثم اندثرت ولا يزال ذكرها مجسدا في كثير من الآيات القرآنية. وقد احتوى القرآن على العديد منها بمجملها ففصّل منها ما أوجب التفصيل وأوجز ما اقتضى الإيجاز حتى يعطي للحياة البشرية الصورة المتكاملة في تواصلها واستمرارها، وإذا كانت تلك المعاني والدلائل قد جاءت متفرقة في السور القرآنية في مواضع شتى فإنها وردت على هذا النحو

---

[1] –د. مصطفى الصاوي الجويني –(كتب الدراسات الإسلامية): جماليات المضمون والشكل في الإعجاز القرآني –مصر –الإسكندرية –القاهرة–مطبعة أطلس القاهرة –د.س.ط –د.ر.ط –(148 ص –24 سم) –ص 21.

[2] –أ. بغدادي بلقاسم –المعجزة القرآنية –الجزائر –د.س.ط –د.ر.ط –(348 ص– 24سم) –ص 66 بتصرف.

[3] –يوسف: جزء من آية 111.

كي تلازم الظروف والأحداث وتبين الخطوط والأهداف وتعطي الأثر الذي شاءت الإرادة الإلهية أن تعطيه[1].

وسنقتصر في هذا المطلب على اختيار ثلاثة نماذج من الحضارة الماضية وهي حضارة سبأ وعاد وثمود وهذا نتيجة لما أورده القرآن في شأن هؤلاء الأقوام ولارتباط هذه الأمم الهالكة بالتطور المادي الذي ذكره القرآن والذي يدخل تحت مسمى الحضارة.

أولا – حضارة العاديين قوم هود:

اعتنى القرآن الكريم بذكر عاد في أكثر من موضع لكونها لم توجد أمة عتت بقوتها أكثر منها ولأنّها ذات تاريخ قديم ومدنية باذخة، حتى تكون عبرة لغيرها من الأمم الأخرى، فهي تفيد الأمة الإسلامية، كما أنّها تعطي الصورة العادلة عن العرب في الجوانب التي يجب أن تقبل، وتعظهم في المقابل في الجوانب التي يجب أن ترفض، وقد ذكر القرآن نسب عاد في قوله تعالى [ألم تر كيف فعل بعاد إرم ذات العماد][2]، وقص علينا من قصصهم ما تكرر في العديد من السور وقد وجد من المؤرخين من كتب عن تاريخهم، وقد ذكر الله في أمة عاد القوة والصولة وعزة الجانب ونعى عليها الصفات الذميمة التي تنشأ عن القوة[3] فقال تعالى [فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة][4].

1-نسب عاد:

تذهب روايات المؤرخين إلى أنّ قوم عاد أقدم الأقوام العربية البائدة وتقسم العرب من حيث القدم باتفاق الرواة وأهل الأخبار على طبقات: عرب بائدة، وعاربة، ومستعربة أو عرب عاربة ومتعربة ومستعربة، على أنّ هناك من يجعلهم

[1] –أ.سامح عاطف الزين –قصص الأنبياء في القرآن الكريم –مجمع البيان الحديث –لبنان –بيروت –دار الكتاب اللبناني –الشركة العالمية للكتاب –مكتبة المدرسة –دار العالم الإسلامي –الدار الإفريقية العربية –1408هـ/ 1988م –ط.4 – (720 ص –24سم) – ص09.

[2] –الفجر: 6-7.

[3] –الشيخ ابن باديس –مجالس التذكير –ص 430.

[4] –فصلت: جزء من آية 15.

طبقتين فقط: بائدة، وهم الذين كانوا عربا صرحاء خلّصا –نظريا على الأقل– ويتكونون من قبائل طسم وجديس وأميم وعبيل وجرهم والعماليق وحضوراء ومدين وغيرهم، وعرب باقية: ويسمّون أيضا متعربة ومستعربة، وهم ليسوا عربا خلّصا ويتكونون من بني يعرب بن قحطان وبني معد بن عدنان، وهناك تقسيم ثالث يعتمد في الدرجة الأولى على النسب، فهم قحطانية في اليمن، وعدنانية في الحجاز، وأما ابن خلدون فهو يقسّم العرب طبقا للتسلسل التاريخي إلى طبقات أربع، فهم عرب عاربة قد بادت، ثمّ مستعربة وهم القحطانيون، ثمّ العرب التابعة لهم من عدنان والأوس والخزرج ثمّ الغساسنة والمنادرة وأخيرا العرب المستعجمة وهم الذين دخلوا في نفوذ الدولة الإسلامية[1].

ويرجع نسب عاد حسب رأي بعض المفسرين إلى عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح[2].

وما هو جدير بالذكر أنّ العرب البائدة والعرب الباقية لا تعني الضرورة أنّ أقواما قد انقرضوا فلم يبق منهم أحد، أو أنّ أقواما لم يكونوا ثم نشأوا من جديد وإنما ما نعنيه أنّ قوما قد يقل عددهم بالكوارث أو بالذوبان في آخرين لسبب أو لآخر ومن ثمّ يتوقف تاريخهم وتبطل حضارتهم مع أنّ بقاياهم ما تزال موجودة ولكنها بدون قيمة حضارية والتاريخ في حقيقته إنما هو تطور الحضارة.

[1] –أ.محمد بيومي مهران –دراسات تاريخية من القرآن الكريم –ج 1 –في بلاد العرب –ص 241 بتصرف.
ينظر: أ.محمد فريد وجدي– دائرة معارف القرن العشرين– لبنان– بيروت– دار المعرفة– 1971م–ط3– (800ص–24,5سم)– مج6– ص232.

[2] –الإمام عماد الدين إسماعيل بن كثير –تفسير القرآن العظيم –الجزائر –الجزائر –دار الثقافة –1410 هـ/ 1990م –ط1 – طبعة مصححة مأخوذة عن مخطوط دار الكتب المصرية– المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية– وحدة الرغاية– (234 ص – 22,5 سم)– مج7 –ج30 –ص 157. وينظر: الإمام محمد بن علي الشوكاني – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – د.م.ط –عالم الكتب – د.س.ط –د.ر.ط – (543ص –24,5سم) – ج2–ص 217.

2-قصة عاد في القرآن الكريم:

امتاز القرآن الكريم في طريقة عرضه لتاريخ الأمم العربية السابقة بالتنويه بالصفات الإنسانية للأقوام فذكر صفات العرب التي شادوا بها مدنياتهم السالفة واستحقوا بها النهوض بمدنية المدنيات، وبمعيب الرذائل النفسية لهم كالوثنية ونقائصهم الفعلية كالقسوة والقتل، والقرآن وحده هو الذي أنصف العرب فذكر عادا وثمودا وسبأ وغيرها من العرب بتخصيصهم بذكر حاضرتهم المادية المتطورة وبالتفصيل في دعوة أنبيائهم وكفرهم بنعم الله وهلاكهم. قال تعالى يصف قوة عاد [فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة][1].

لقد بلغ من غرور عاد واطمئنانهم إلى قوتهم أن كفروا بربّهم ولم يقدّروه حقّ قدره، وظنّوا أن لا قوة تعلو قوتهم.[2]

فالنظرة التاريخية المجردة في هذه الآية وفيما ورد في موضوعها ترينا أن عادا بلغت من القوة والعظمة مبلغا لم تبلغه أمة من أمم الأرض في زمنها، حتى إن الله جل شأنه لم يتحد قولهم [من أشد منا قوة] إلا بقوته الإلهية التي يذعن إليه كل مخلوق، ولو كانت أمم الأرض إذ ذاك أمة أقوى منهم لكان الأبلغ أن يتحداهم بها، وإن أمة تقول هذه الكلمة بحالها أو مقالها لهي أمة معتدة بقوتها وعظمتها. ومن هذه الآية وحدها نستفيد أنّ عاد كانت أشد الأمم قوة وأنها ما بلغت هذه الدرجة من القوة إلا بمؤهلات جنسية طبيعية للملك وتعمير الأرض، وأن تلك المؤهلات فيها وفي غيرها من شعوب العرب هي التي أعدتهم للنهوض بالرسالة الإلهية. وإنّ القرآن لا ينكر عليهم هذه المؤهلات، وإنما ينكر عليهم لوازمها ولا ينكر عليهم القوة والعظمة، وإنما ينكر عليهم أن يجعلوها ذرائع للباطل والبغي ومحاداة الله بدليل قوله لهذه الأمة [ويزدكم قوة إلى قوتكم][3] فهو يضمن لهم أنهم إن آمنوا وعملوا الصالحات

---

[1] – فصلت: 15.

[2] – أ.د. رجب مصطفى رجب– مفهوم القوة في القرآن الكريم– مجلة منار الإسلام –س 8– ع 24– ص101.

[3] –هود: جزء من آية 52.

يزيد قوتهم تمكينا وبقاء، ومحال أن ينكر القرآن على الناس القوة وهو الداعي إليها والمنفر من الضعف وإنما شرع القرآن بجنب الدعوة إلى القوة أن تكون للحق والخير وللرحمة والعدل، وكذلك قوله تعالى [أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبّارين فاتقوا الله وأطيعون][1] فإن هذه الآية –زيادة على إفادتها لمعنى ما قدمناه– تكشف لنا نواحي من تاريخ هذه الأمة العربية ومبلغ مدنيتها وتعميرها، فهي تدل على أنهم كانوا بصراء بعلم تخطيط المدن والأبنية وهو علم لا يستحكم إلا باستحكام الحضارة في الأمة ونأخذ هذا من قوله تعالى [بكل ريع].[2]

وقد اختلف المفسرون في الريع لما حاصله أنه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة يبنون هناك بنيانا محكما هائلا باهرا[3].

و هذا البناء المحكم الهائل ليس لحاجة يقصدونها، بل هو للعبث ولذلك قال تعالى : [تعبثون]، فعمل عاد هو لمجرّد اللعب وإظهار القوّة، ولهذا أنكر عليهم ذلك، لأنّه تضييع للزمان، وأتعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما هم في غنى عنه، وبما في الشغف به انصراف عن الجدّ في العمل، وصرف للأموال في غير ما خلقت له، من النظر للنفس والأهل والدين.[4]

3–قصة عاد في التاريخ القديم:

يكاد يفتقر التاريخ القديم من ذكر لقصة عاد إلى ما جاء في جغرافية بطليموس وما ذكره الكتاب اليونان والرومان في شأنهم[5]. إلا أن التوراة والإنجيل لم تأت بأي إشارة لهذه الأمة وهو ما جعل كثيرا من المستشرقين يتعجلون الأمر في إنكار عاد وثمود وإنكار الكوارث التي أصابتهم بغير حجة إلا أنهم يحسبون أنّ

[1] –الشعراء: 131.

[2] –الشيخ ابن باديس –مجالس التذكير –ص 431.

[3] –الإمام ابن كثير –تفسير القرآن العظيم –مج.5 –ج19 –ص 117.

[4] –الإمام محمد جمال الدين القاسمي – تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل– تحقيق : أحمد بن علي، حمدي صبح– مصر– القاهرة– دار الحديث– 1424هـ/2003م– د.ر.ط– (719ص– 24سم)–مج7–ج13–ص487.

[5] –أ. محمد بيومي مهران –دراسات تاريخية من القرآن الكريم –ج1 – في بلاد العرب – ص 45 بتصرف.

المنكر لا يطالب بحجة، ولا يعاب على النفي الجزاف، فما لبثوا طويلا حتى تبين لهم أن عادا Oditae وثمودا Thamudida مذكورتان في تاريخ بطليموس، وأنّ اسم عاد مقرون باسم "إرم" في كتب اليونان، فهم يكتبون "أدراميت" « Adramitae » ويؤيدون تسمية القرآن الكريم لها بعاد إرم ذات العماد[1]. ويذهب "تشارلس فورستر" إلى أنّ هناك صلة بين "عادة" زوجة "لامك" وبين "عاد" والد "يابال" الذي كان "أبا" لسكان الخيام ورعاة المواشي، ونسلها من الأعراب، وقوم عاد من الأعراب كذلك ولكنه إنما يذهب كذلك إلى أن القوم الذين ذكرهم بطليموس تحت اسم Oditae إنما كانوا يسكنون في شمال غرب شبه الجزيرة العربية وربما عند موضع "بئر إرم" في منطقة "حسمى" على مقربة من جبل يعرف بهذا الاسم في ديار جذام، بين إيله وتيه بني إسرائيل وأن هذا الموقع ليس ببعيد عن ديار ثمود الذين ارتبط اسمهم باسم عاد[2].

[1] –المرجع نفسه –ج1 –ص 243.

[2] –المرجع نفسه –ج1 –ص 244، 245.

ثانيا – حضارة الثموديين قوم صالح:

لقد جاء ذكر ثمود في القرآن الكريم في مواضع شتى وهذا لشأنهم لأن القوم كانوا ذوو حضارة امتدت فروعها إلى بلدان أخرى وهذا ما تؤكده النقوش الثمودية التي عثر عليها علماء الآثار وتؤكد بصدق وجلاء أن هذه الأمة كانت أعرف بالمدنية فضلا عن البداوة التي كانت من صفات البعض، وبما أن الله سماهم بقوله [وثمود الذين جابوا الصخر بالواد][1] وقرنهم في كثير من السور مع قوم عاد وهو ما يدل على أن القوم كانوا عربا صرحاء وهو ما اتفق عليه المؤرخون الإسلاميون من أنهم عرب عاربة.

1-أصل ثمود:

يرجع البعض نسب الثموديين إلى ثمود بن جاثر بن إرم بن سام ويذهب البعض إلى أن ثمودا إنما هو أخ جديس وطسم وأنهم أبناء عاد بن إرم بن سام بن نوح ويكتفي البعض بإرجاع نسبهم إلى عاد على أنهم بقية من عاد ويجمع المؤرخون الإسلاميون على أن الثموديين عرب بل ويكادون يتفقون على أنهم من العرب العاربة ثم يذهبون بعد ذلك مذاهب شتى وهناك فريق آخر يقول أنهم عرب جنوبيين هاجروا إلى شمال غرب الجزيرة العربية كدأب كثير من القبائل الجنوبية التي اشتهرت بكثرة تنقلاتها ولا أظن أن هذا الفريق من المؤرخين المحدثين قد أصاب كثيرا في رأيه هذا لأن العادة أن يهاجر الناس من مواطن القحط إلى الخصب والنماء[2].

2-قصة ثمود في التاريخ القديم:

لعل أكبر دليل على وجود هذه الأمة -ثمود- ما عثر عليه الأثريون من نقوش ثمودية في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية وهو ما يؤكد أن الثموديين كانوا في يوم ما السكان الأصليين لشمال الجزيرة العربية ولهذا فإن القرآن الكريم ذكر الثموديين في أكثر من آية دون غيرهم من شعوب المنطقة ممن كانوا أكثر منهم

[1] -الفجر: 09.

[2] -د. محمد مهران -دراسات تاريخية – ج1 -ص 265، 268.

قوة سواء في مجال المدنية أو التجارة كالديدانيين، واللحيانيين والأنباط، كما أن القرآن أكثر من ذكرهم أيضا بسبب نبيه صالح عليه السلام ودعوته التي ما آمن بها إلا نفر قليل وبالتالي فإن الغرض من ذكرهم إنما هو العظة والعبرة. وقد عرفت الأمة الثمودية الحضارة بما امتازت به من الزراعة كزراعة أنواع مختلفة من الحبوب وهو ما تشير إليه النقوش الثمودية من خلال الرسوم التي تصور عملية حرث الأرض وهو عمل كثيرا ما تتحدث عنه النقوش أضف إلى ذلك الأسماء المتعلقة بهذه العملية مثل اسم "أكّار" بمعنى فلاح، واسم "عيّان" بمعنى سكة المحراث، واسم "رال" بمعنى قش، وهي تعني زراعة أنواع مختلفة من الحبوب، كما تشير الرسوم المتعددة لشجرة النخيل إلى أنّ ثمارها ربما كانت الغذاء الرئيسي للثموديين، كما عرفوا زراعة العنب وزراعة القطن والبصل والبخور والورود، ولم تقتصر النقوش الثمودية على بلاد العرب بل تجاوزتها إلى بلاد أخرى فوجدت كذلك في سيناء وفي دلتا مصر وفي واد الحمامات بين القصير وقفط وفي الصفا شرق دمشق وفي شمال غرب تدمر وفي صيدا وجبل الرام وأم الرصص قرب ديبان وفي شرق الأردن وفي النقب، وقد عرف الثموديون القراءة والكتابة ومنهم من احترف مهنة الكتابة ومنهم من اشتغل بالتجارة فضلا عن الصيد وقد عثر على ثلاث رسومات في الجبال الداخلية لسفن كان يستعملها القوم في صيد الأسماك[1].

فالقوم كانوا أصحاب حضارة، وليس من شك في أن قصة ثمود أوضح بكثير من قصة عاد، فقد وجد من الكتابات الآشورية ما يتحدث عن الثموديين منذ القرن الثاني قبل الميلاد، كما أن الملك "سرجون الثاني" (722-705 ق.م) يتحدث عنهم لكونه خاض غمار الحرب ضدها وقد دعاهم باسم « Thamudi » « Tamudi » كما أنه يذكر تهجيره لهم إلى السامرة من بين من هجر من الشعوب[2].

هذا وقد جاء ذكرهم أيضا في النقوش السبئية ومن ذلك نقش يرجع إلى نهاية القرن السادس أو بداية القرن الخامس قبل الميلاد ويحكي قصة اثنين من قبيلة ثمود

[1] -أ.محمد مهران -دراسات تاريخية -ج1 -ص 282،287 بتصرف.

[2] -نفس المرجع -ج1 -ص 268، 269 بتصرف.

كانا يباشران العمل في ري نخيلهما، ورغم أنّنا لا نعرف من أي مكان جاء هذا النقش على وجه اليقين، فأغلب الظن أنّه من بلاد سبأ، وقد عثر على نقشين سبئيين في نجران ورد فيهما اسم الإله "صلم" المزعوم الذي كان معبودا ثموديا في منطقة تيماء في العقد الذي استوطن فيه الملك البابلي بانونيد هذه المدينة في الفترة 555-546ق.م بعد حملته المشهورة التي احتل فيها تيماء وديدان وخيبر ويثرب[1].

3-قصة ثمود في القرآن الكريم:

قال تعالى [وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم. واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين][2] وقال في سورة أخرى [كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون فيما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله وأطيعون][3] وقال في سورة أخرى [وثمود الذين جابوا الصخر بالواد] ومن مجموع هذه الآيات نجد أنّ الله تعالى قد وصف قوم ثمود بأوصاف منها أنّهم كانوا يتخذون من سهول الأرض قصورا ومن الجبال بيوتا ينحتونها فرهين وأنّهم جابوا الصخر بالواد، ومن هذا يتبين أنّ القوم كانوا على قدر كبير من الحضارة بحيث اهتموا بالزراعة والعمران.

[1] -المرجع السابق -ج1 -ص 270.

[2] -الأعراف: 73-74.

[3] -الشعراء: 141-150.

لقد سكن ثمود قوم صالح الحجر الكائن في وادي القرى بين المدينة والشام، وعاشوا في أمان بعد أن نالوا الصحة والغنى وبنوا القصور العالية، ونحتوا في الجبال بيوتهم.[1]

وقد ورد في كثير من السور ذكر ثمود ونبيهم صالح والناقة التي بعثها الله آية لهم كما وردت جميعها في سورة هود والنمل والحجر والإسراء وص وفصلت والذاريات والنجم والقمر والشمس.

ثالثا – حضارة سبأ المبادة بسيل العرم:

كانت أرض سبأ من أخصب أرض اليمن وأثراها وأكثرها جنانا وغيطانا وأفسحها مروجا مع بنيان حسن وشجر مصفوف ومياه كثيرة وأزهار متنوعة[2].

وقد جاء ذكر هذه الحضارة في القرآن الكريم في موضع واحد هو سورة سبأ بحيث ذكر الله قصتهم من الآية 15 حتى 19 واشتمل التعريف بهم وبحضارتهم وكفرهم وأخيرا بهلاكهم، وكل هذا يرويه أصحاب الأخبار وإن كانت هناك اختلافات في بعض الروايات في شأن من بنى السد وكذلك سبب تهدمه.

1–قصة سيل العرم في القرآن الكريم:

قال تعالى [لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور، وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور][3].

---

[1] – أ.هشام قبلان –مع القرآن في الدين و الدنيا– لبنان –بيروت –منشورات عويدات –فرنسا –باريس – منشورات البحر المتوسط –1986م –ط.1 –(383 ص –25سم) – ص 264.

[2] –أ.محمد مهران –دراسات تاريخية –ج1 –ص312 بتصرف.

[3] –سبأ: 15 –19.

يقول ابن كثير: كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه السلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد[1].

2-الأخبار في الروايات العربية:

صيغت الروايات التي جاءت عن سيل العرم في الكتب العربية في معظمها إلى مجموعة من الخرافات والقصص التي حفلت بالإثارة في جو أسطوري مجاف للعقل والمنطق غاص بالمتناقضات[2]، غير أنّ المؤكد في الروايات والذي جاء موافقا للقرآن أنّ أرض سبأ عرفت حضارة مزدهرة حين كان سد مأرب يمدهم بالمياه وحين كانت الأرض معروفة بخصوبتها على غرار أرض اليمن وأكثرها جنانا.

وقد امتد الخلاف -السابق ذكره- إلى عدة نقاط نقتصر على البعض منها:[3]

أ- أنّ من بنى السد في رواية هو سبأ وأخرى هو حمير وثالثة إلى أنه لقمان ورابعة إلى أنها بلقيس ومع ذلك فالروايات جميعها بعيدة عن الحقيقة التاريخية وهو أن صاحب الفكرة ومنفذ المشروع إنما كان "سمه علي ينوف" في القرن السابع قبل الميلاد ثم أخذ خلفاؤه من بعده يضيفون إليه الجديد حتى اكتمل في نهاية القرن الثالث الميلادي على أيام "شمر يهرعش"، وهو ما أثبته التأريخ لسد مأرب.

ب- الأسطورة التي تزعم أنّ السدّ تهدم بفعل جرذ له مخالب وأنياب من حديد وهو سبب خيالي، والذي عليه التاريخ أنّ السّد تهدم بتصدعات عديدة كان آخرها في عام 543م.

---

[1] -الإمام ابن كثير -تفسير القرآن العظيم -مج5 - ج22 - ص 324.

[2] -أ. مهران -دراسات تاريخية -ج1 -ص 317.

[3] -نفس المرجع -ج1-ص 318، 331.

ج- النبوءات التي امتلأت بها صفحات الكتب من الإخباريين والمفسرين من أن القوم كانوا يعلمون عن طريق كهانهم أن السد يخرب بفعل فأرة، وهم بذلك يسلمون بأن الكهّان إنما كانوا يعلمون الغيب ونسوا أنّ الله وحده هو عالم الغيب والشهادة [عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا][1].

3-سد مأرب وتهدمه:

ذكرنا آنفا أنّ سبب خصوبة أرض سبأ إنما ترجع لما عرف عليها من وفرة ماء سد مأرب، وهو يمثل أهم خزان للمياه في تلك المنطقة مما عاد بالنفع على تلك البلاد بحيث غنم أصحابها أموالا كثيرة من التجارة، إذ كان السبئيون القدامى يتحكمون في ذلك الدرب التجاري الهام الذي لعب دورا من أكبر الأدوار في تاريخ العالم القديم[2].

وقد عثر على نقش (هاليفي 349) الذي يشير إلى أنّ رجلا يدعى "ذمار على وتار بن يكرب إيل" الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد وقد أمر بتوسيع مدينة "تشق" كما أمر بتحسين وسائل الري وباستصلاح الأراضي المحيطة بالمدينة واستغلالها في الزراعة[3].

ويعتبر الباحثون "يتع أمر بين" وأبوه "سمه علي ينوف" المؤسسيين الأصليين لسد مأرب ويعتبر أكبر عمل هندسي عرفته شبه الجزيرة العربية في تاريخها القديم، وقد كان من أثر الاهتمام بإنشاء السدود وتنظيم الري أن زادت مساحة الأراضي الزراعية وخاصة حول مأرب مما كان سببا في الإعلاء من شأنها وزيادة سكانها ولما كان الرخاء الاقتصادي في سبأ يعتمد على الحياة النباتية -وليس الحيوانية- فإنّ الاهتمام بتنظيم الري إنما كان سببا في الرخاء الذي ساد البلاد إبان تلك الفترة،

[1] -الجن : 26.

[2] -أ. محمد بيومي مهران -دراسات تاريخية -ج1 -ص 329 بتصرف.

[3] -نفس المرجع - 330/1.

وجعل من "مأرب" مدينة مزدهرة، وأوجد الصورة الرومانتيكية لبلاد العرب في أذهان المؤلفين الكلاسيكيين، فأطلقوا عليها "بلاد العرب السعيدة"[1].

[1] –نفس المرجع –332/1.

المبحث الثاني

أسباب سقوط حضارات الأمم الهالكة

وفيه مطلبين

المطلب الأول : ديانة الأمم التي داهمها الهلاك

المطلب الثاني: أسباب الهلاك

المبحث الثاني: أسباب سقوط حضارات الأمم الهالكة

ما من سبب إلا وله مسبب وقد ربط الله بين الأسباب ومسبباتها خلقا وقدرا لمشيئته وحكمته لنهتدي بالأسباب إلى مسبباتها ونجتنبها باجتناب أسبابها[1].

وقد فصّل لنا القرآن في أسباب سقوط حضارات الأمم الهالكة مبرزا الجانب المهم فيها، فكان أهمها انحراف الأمم عن الفطرة الإلهية والتي هي توحيد الله وإخلاص العبادة له، وذكر أن باعث الدمار والهلاك لا يكون فسادا فرديا فحسب بل هو الفساد الجماعي والظلم العام الذي يشمل كل العلاقات الإنسانية الشخصية، والعلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وحتى على مستوى الاعتقاد والإيمان الذي يسوده الظلم وهو الشرك بالله، والتناقض الداخلي بالتظاهر بالإيمان والعمل الصالح واستبطان غيره وهو النفاق، ومعنى هذا أن ظلم الإنسان لنفسه بفساده العقدي والعملي والأخلاقي، ليس مدعاة للهلاك وسببا للدّمار، والسقوط ما دام قاصرا على الأفراد، والأمة محتفظة لكيان استمراريتها وصلاحية ديمومتها وبقاءها، ولكن إذا تجاوز الظلم والفساد مستوى الأفراد إلى مستوى دائرة الأمّة أخذت تلك الأمّة في الهبوط[2].

ونحن حين نعرض قصص بعض النماذج نجد أن القرآن بسرده قصص الأنبياء لم يحدد تاريخا معينا لولادتها أو للأحداث التي حصلت في أيامهم[3]؛ فلم يعلمنا متى وجد آدم ولا المدة الفاصلة بينه وبين نوح، ولا بين هذا الأخير وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر أنبياء الله –عليهم السلام–، ولكن القرآن أعلم بأن قرون كثيرة وطويلة مرت بين الأقوام التي ورد ذكرها منها قوله تعالى [وكم أهلكنا من

---

[1] –الشيخ ابن باديس –مجالس التذكير –ص 165 بتصرف.

[2] –د.محمد هيشور –سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها –الجزائر –دار الغرب للنشر والتوزيع – د.س.ط –د.ر.ط – (314ص –24,5 سم) – ص216 بتصرف.

[3] – أ.هشام قبلان –مع القرآن في الدين والدنيا –ص 253 بتصرف.

القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا][1] وقوله تعالى [وعادا وثمودا وأصحاب الرّس وقرونا بين ذلك كثيرة][2].

وقد حاولنا أن نفصّل في بعض الأحداث التاريخية من ذكر للتواريخ والأنساب اعتمادا على كتب التاريخ وهذا للإيضاح فقط، وسنقسم هذا المبحث إلى مطلبين فيكون المطلب الأول في ديانة الأمم الهالكة لأن الديانة هي أهم الأسباب الموجبة للعذاب، وسنختار نموذجين هما موسى ونوح عليهما السلام لكونهما من أولي العزم من الرسل ويمثلان حضارتين عريقتين عرفتهما البشرية وهي الحضارة الفرعونية والحضارة البابلية، كما سيكون المطلب الثاني مفصلا في أسباب الهلاك والتي تمثل العقيدة والأخلاق والاقتصاد فالشرك بالله والكفر بنعم الله سببا كافيا في مفهوم العقيدة، والفاحشة والكبر أهم الأخلاق السيئة التي نبذها القرآن، والغش والبخل أهم مفسدات الاقتصاد.

[1] –الإسراء : 17.

[2] –الفرقان : 38.

المطلب الأول: ديانة الأمم التي داهمها الهلاك

لقد شغلت القصة القرآنية حيزا كبيرا من كتاب الله تعالى الذي لا يقلّ عن الربع إن لم يزد قليلا، وكل قصة لها أهدافها الكثيرة وغاياتها المتعددة؛ فهي تهدف إلى تربية النوع الإنساني تربية تضمن له خير المسالك ليتبوأ أفضل المدن والممالك وتحول بينه وبين المنزلقات والمهالك[1].

وتعتبر قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل وفرعون من أكثر القصص القرآني تكرارا وهذا لغايات عديدة منها ما اتصل بهذا الشعب المغلوب الذي استضعف من طرف البشر لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ويدعي مع ذلك الألوهية، فأراد الله أن يمن على هؤلاء المستضعفين بأن جعل منهم نبيا، قال تعالى [ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين][2]، وأراد الله إقامة الحجة على فرعون صاحب الألوهية المزعومة.

كما أنّ قصة نوح عليه السلام مع قومه لا تقل أهمية عن القصة السالفة وإن كان لدعوات الرسل الأخرى شأن آخر فيما يتعلق في معبودات الأقوام فهي متنوعة، فمنهم من عبد أصناما ومنهم من عبد الكواكب وقد عبد الأقباط في مصر فرعون وعدّوه إلها إلى جانب الآلهة الأخرى المزعومة، ولاشك أن قوم نوح هم أيضا افتروا على الله فجعلوا للأصنام التي لا تنفع ولا تضر قيمة وشأنا عظيما ورفضوا كل قول يخالف أفكارهم، فهذا نوح عليه السلام لم تنفعه الصيحات المتكررة مع قومه وقد طال عهده بهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده، لا أمل في هؤلاء إلا الفئة القليلة التي آمنت معه وبالتالي قد أقام الله حجته عليهم.

---

[1] –د. فضل حسن عباس –القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته –السلسلة القرآنية من أنوار التنزيل –الجزائر – الجزائر– شركة الشهاب –1989م –د.ر.ط –(453ص –24 سم) –ص 10 بتصرف.

[2] –القصص: 05.

أولا – موسى عليه السلام وفرعون:

ابتدأت قصة فرعون مع موسى قبل مولد هذا النبي الكريم حين رأى فرعون تلك الرؤيا التي كانت سببا في تقتيل أبناء بني إسرائيل، عن ابن عباس وابن مسعود (ض) أن فرعون رأى في منامه أن نارا قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والحدقة والسحرة وسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان[1].

والنبي موسى الكريم هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام[2].

وأما فرعون الذي ادعى الألوهية وقال [يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري][3] وهو الفرعون الذي قال الله فيه [إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين][4] وهو الفرعون الذي قال الله فيه [فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية][5]، وقد اختلفت الآراء في شأن اسمه ومن هو من الفراعنة فقال رأي هو أحمس الأول (1575–1550 ق.م) وهي رواية قال بها المؤرخ اليهودي يوسف بن متى، ورأي ثاني يقول هو تحوتمس الثالث (1495–1536 ق.م) أو ابنه أمنحتب الثاني (1436–1413 ق.م) اعتمادا على نص التوراة، ورأي ثالث يقول هو توت عنخ آمون وهو رأي عالم يهودي اسمه سيجمون فرويد، ورأي رابع يرى بأنّ رعمسيس الثاني (1290–1224 ق.م) هو فرعون موسى، وأشهر من قال به أولبرايت إسفلت

---

[1] –الإمام ابن كثير –قصص الأنبياء – تحقيق محمد أحمد عبد العزيز –الجزائر –الجزائر –دار الحديث – د.س.ط –د.ر.ط – (551 ص –24 سم) –ص263.

[2] –المصدر نفسه – ص 262.

[3] –القصص: جزء من آية 38.

[4] –القصص: 4.

[5] –يونس: جزء من آية 92.

وروكس وأونجر، ورأي خامس يقول هو مرنبتاح (1224-1214 ق.م) على نص التوراة الخاص ببناء مدينتي فيثوم ورعمسيس وعلى ما جاء في لوح إسرائيل، وهناك رأي ذهب إليه الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف بأن فرعون موسى هو سيتي الثاني (سيتي مرنبتاج) وليس مرنبتاح نفسه[1] وهناك آراء أخرى تذهب مذاهب أخرى ونحن نقتصر على ما أوردناه وهذا لطول المقام.

وهناك البعض من استقى هوية فرعون من النص القرآني وهو قوله تعالى [و فرعون ذي الأوتاد]،[2] إنّ فرعون موسى يمتاز عن بقية فراعنة وملوك مصر بولعه في نصب الأوتاد، أي نصب الأعمدة الحجرية الضخمة، وإذا ما نقّبنا في بلاد مصر وتحولنا بين الآثار، لوجدنا أنّ فرعون موسى -رمسيس الثاني- هو الذي نصّب العمدة الحجرية العالية الضخمة في المعابد والساحات والقصور والمقابر وبأعداد هائلة تفوق ما نصبه بقية فراعنة وملوك مصر الشمال والجنوب، وقد عاش -رمسيس الثاني- في الفترة التي عاش فيها موسى عليه السلام.[3]

والذي يهمنا من هذا أنّ الطوب المحروق الذي جاء في الآية الكريمة على عهد فرعون موسى يرجع إلى عصر الفراعين: رعمسيس الثاني ومرنبتاح وسيتي الثاني من الأسرة التاسعة عشر (1308-1084 ق.م)[4]؛ فلقد عثر "بيتري" على طائفة من غير مألوف المصريين من الآجر المحروق بنيت به قبور وأقيمت به بعض من أسس المنشآت فكان عثوره عليها في "نبيشة" و"دفنة" غير بعيد من "بي

---

[1] -د. محمد بيومي مهران -دراسات تاريخية من القرآن الكريم -ج2 -في مصر - مصر - الإسكندرية- دار المعرفة الجامعية 1995 م- د.ر.ط- (452ص-24سم) - ص 264 -329.

و لمعرفة فراعنة مصر القديمة يرجع إلى: أ.د أحمد أمين سليم، د.سوزان عباس عبد اللطيف- دراسات في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور و حتى مجئ الإسكندر المقدوني- مصر- قنال السويس- دار المعرفة الجامعية- 1999م- د.ر.ط-(319ص-23,5سم)- ص251-278.

[2] - الفجر: 10.

[3] أ.رياض عبد الواحد- قصة الأوتاد في النص القرآني- مجلة منار الإسلام - رجب 1420هـ/أكتوبر 1999م -(98ص- 27سم)- س 25- ع 7- ص 62.

[4] -نفس المرجع -212/2 بتصرف.

رعمسيس" (قنيتر) عاصمة هؤلاء الفراعين في شرق الدلتا، وقال بيتري في ذلك إن حرق اللبن قد ظل نادرا إلى عصر الرومان، وهو قول لا يكاد يخالف قول المفسرين من بدء اتخاذ الآجر المحروق على عهد فرعون موسى وهو كذلك من قرائن القرآن الكريم التي نتخذها مطمئنين في تحديد عصر خروج بني إسرائيل من مصر، لأنه كان على أيام الأسرة التاسعة عشر التي بدأت كما أثبتت الحفائر وألمع القرآن الكريم تصطنع في بنائها الآجر المحروق[1].

ويقال: أنّ فرعون موسى كان أول من طبخ الآجر ليبني به الصرح كما يروى لقوله تعالى[فأوقد لي يا هامان على الطين][2] أي اطبخ لي الآجر واتخذه، وإنما لم يقل مكان الطين هذا لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولأنه أشبه بكلام الجبابرة إذ أمر هامان وزيره بالإبقاء على الطين فنادى باسمه بـــ"يا" في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر، وهناك ثلة من المفسرين من تقول بأولية فرعون موسى في البناء بالآجر المحروق، ومن ثمّ فأكبر الظن أنّ المفسرين قد كانوا يستندون إلى طائفة من الخبر الصحيح كانت بين أيديهم[3].

أ- ادعاء فرعون الألوهية: تعتبر العقيدة بالنسبة للإنسان الروح الذي يغذي شرايين البشر، والأمة المصرية عرفت كغيرها من الأمم عقيدة امتزجت في كيانها، وذلك أنهم عُرف عنهم عبادتهم لمجموعة من الآلهة وكان فرعون إلها مزعوما فبقيت الآلهة وقد تصدى موسى عليه السلام لفرعون الذي أوهم نفسه وغيره بأنه الإله فقال لقومه [ما علمت لكم من إله غيري][4] [فقال أنا ربكم الأعلى][5] وهدد النبي الكريم موسى –عليه السلام– [قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنّك من المسجونين][6]،

---

[1] –نفس المرجع –2/212–213.

[2] –القصص: جزء من آية 38.

[3] –د. مهران –دراسات تاريخية –2 مصر –ص 211.

[4] –جزء من آية 38 من القصص.

[5] –النازعات: 24.

المسجونين][1]، وهو مع هذا ينكر على موسى عليه السلام وجود إله غيره فقال [فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين][2]، ومهما يكن من أمر فإنّ هذه الألوهية المزعومة كانت محل اختلاف بين المؤرخين في كيفية مآلها إلى عقيدة الدولة الرسمية وأنّ المصريين أنفسهم كيف آمنوا بأنّ الجالس على العرش إله يحكم بشرا فقال البعض أنها كانت وليدة أسباب انتصاره على منافسيه وقال آخرون بسبب صعاب الوحدة الجغرافية وقال رأي ثالث أن المصري كان يحس بضرورة تحديد الأنواع تحديدا صريحا، فالانتقال من البشري إلى الإلهي سهل، وقال رأي رابع أنها نتيجة لأسباب دينية، وأما الرأي الخامس ناتج عن الأمن الاقتصادي، والرد على هذه الآراء يكون بأن الأسباب العسكرية والعوامل الجغرافية والوحدة الجغرافية والأسباب الدينية والأمن الاقتصادي تعتبر مجتمعة كلها عوامل جعلت تأليه الفرعون عقيدة مجسدة عند المصريين[3].

وقد أشار القرآن الكريم إلى أنّ رضى الرعية بآراء الملوك وهي خاطئة هو سبب دخول الفريقين المستعظمين والمستضعفين في العذاب فقال تعالى [وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون][4]، فالفريق الأول ظالمون لغيرهم ولحقوقهم مغتصبون، والآخرون ظالمون لأنفسهم وعلى ظلمهم ساكتون[5].

و إنّ الماكرين (المستكبرين) والممكور بهم (المستضعفين) في جنس المسؤولية سواء مع تفاوت في الوزر[6]، مصداقا لقوله تعالى [و إذا قيل لهم ماذا

---

[1] –الشعراء: 29.

[2] –القصص: جزء من آية 38.

[3] –د. مهران –دراسات تاريخية –2 مصر –خلاصة الصفحات 214–217.

[4] –الأنعام: 129.

[5] –د. صبحي صالح –الإسلام والمجتمع العصري –سلسلة الإسلام الحضاري (1) –لبنان –بيروت –منشورات دار الآداب –1983م –ط.2 –(272ص –24 سم) –ص 137.

[6] أ. عبد المجيد بن مسعود – مفهوم المكر في القرآن الكريم– مجلة منار الإسلام– صفر 1421هـ/مايو 2000م–(98ص–27سم)– س 26– ع2– ص15.

أنزل ربّكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون].[1]

ب-دعوة موسى عليه السلام: لقد كانت دعوة موسى عليه السلام كغيرها من دعوات آبائه وإخوانه من الأنبياء، فقد لقنه ربه أصل التوحيد واصطفاه لحمل رسالته والقيام بعبادته، قال تعالى [وهل أتاك حديث موسى، إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى. فلما آتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى. وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى. إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري. إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى][2].

هكذا في مفتتح رسالته تملى عليه عقيدة التوحيد ويكلف شخصيا أن يقوم بها في واقع نفسه ويتمثلها في حياته[3]، ثم يكلفه بالدعوة بهذا المبدأ العظيم فيرسله إلى فرعون ويبين له طريق الدعوة وأسلوبها الحكيم الذي يواجه به فرعون قال تعالى [اذهب إلى فرعون إنه طغى. فقل هل لك إلى أن تزكى. وأهديك إلى ربك فتخشى][4] فتخشى][4] ويشد عضده بأخيه هارون عليه السلام مبالغة في إقامة الحجة ويعلمهما الرفق واللين في الدعوة فإنّ ذلك أقرب الطرق إلى هداية من يريد الله هدايته [اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى][5]، فنفذا أمر ربهما ودعواه إلى الله قاصدين هدايته وتزكيته ليكون ممن يخشى الله ويتقي عواقب الشرك والظلم، فلم يستجب لهذه الدعوة الهادئة الحكيمة فبرهن موسى على نبوته وصدق

---

[1] – النحل: 25.

[2] – طه: 9-15.

[3] –د. ربيع بن هادي المدخلي –منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل –المملكة السعودية –المدينة النبوية –مكتبة الغرباء الأثرية –الجزائر –البليدة –دار المعارف العلمية –قصر الكتاب –1414هـ/1993 – ط.2 – (208 ص–24 سم) –ص 38.

[4] –النازعات : 17-19.

[5] –طه: 43-44.

رسالته بآيات كبرى لكن الطاغية فرعون زاد طغيانا وتكذيبا[1] [فكذب وعصى. ثم أدبر يسعى. فحشر فنادى. فقال أنا ربكم الأعلى. فأخذه الله نكال الآخرة والأولى][2].

وهكذا فإنّ فرعون أبى الإيمان بدعوة موسى-عليه السلام- واتبعه في ذلك وزيره هامان وجنودهما، وأما قبط مصر فلم يؤمن منهم إلا القليل قيل ثلاثة وهم امرأة فرعون ولا علم لأهل الكتاب بخبرها ومؤمن آل فرعون الذي خلد الله ذكره في القرآن الكريم في دعوة قومه إلى توحيد الله والإيمان بالنبي موسى عليه السلام، والرجل الناصح الذي جاء يسعى من أقصى المدينة فقال [يا موسى إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين][3]، قاله ابن عباس فيما رواه ابن أبي حاتم عنه[4].

ج-الآيات المرسلة فيهم: شملت الآيات المعجزة التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام عدة آثار مادية وأخرى معنوية فكان أولها الحجة المنطقية وذلك بالمخاطبة بالرفق واللين، وقد استخدم القرآن الكريم فعل "تعقلون" مسبوقا باستفهام إنكاري مقرون بالنفي على لسان موسى وهذا في الآية الكريمة [قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون][5]، فقد تعرض لقضية جدلية منطقية لأن الحجج الحجج والبراهين التي تخللت الحوار دلت على ذلك، فمعناه أنّ السؤال مقرون بالنفي انصب على فعل العقل ليبين أنهم لم يستخدموا أداة الفهم والإدراك، ولو فعلوا لتغير الموقف فنفي الفعل نفي لاستخدام الوسيلة الحقيقية للمعرفة، وكذا إذا انتفى وقوع جواب الشرط انتفى فعل الشرط، وثبت أنهم لم يستخدموا عقولهم في الوصول إلى الحقيقة أو ثبت أنهم لا يفهمون[6].

---

[1] -د. المدخلي -منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله -ص 39.

[2] -النازعات: 21-25.

[3] -القصص: 20.

[4] -الإمام ابن كثير -قصص الأنبياء -ص 306 بتصرف.

[5] -الشعراء: 28.

[6] -د. محمد علي الجوزي -مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة - لبنان -بيروت - دار العلم للملايين - 1983م -ط.2 -(304 ص -24 سم) -ص77-78.

وبناء على ما سبق فإنّ هذه المعجزة العقلية تنبؤ على استخدام موسى وهارون عليهما السلام لما وهب الله لعباده حتى يحكما بعدل، ولكن هذا الجدل الذي أفحما به خصمهما ضاق به فرعون ذرعا فلم يستطع إسكاته أو إخضاعه إليه، واستخدم مع موسى أسلوب التهديد والوعيد [قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين][1] وعلى الرغم من هذا التهديد إلا أن موسى عليه السلام عرض ثاني آية وهي الحجة المادية فقد أبان صدق دعوته بالعصا واليد التي تخرج بيضاء للناظرين، قال تعالى على لسان موسى [قال أولو جئتك بشيء مبين][2]، فأجاب فرعون إلى طلبه تاركا موقف التهديد بالسجن إلى موقف التحدي [قال فأت به إن كنت من الصادقين][3]، وواضح أن جدال فرعون في غير الحق لأنه مرتبط إما بالاختراع أو العجب أو الغضب أو الحقد على موسى أو الاستعلاء عليه، لذلك كان لابد من أن تكون الحجة قوية دامغة تخرس فرعون فلا يستطيع لها صدا أو ردا[4]. قال تعالى [فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا بيضاء للناظرين][5]، ولا شك أنّ هذه هذه المعجزة المادية لم ترد كيد فرعون بل إنه جمع عددا من السحرة ظنا منه أنه سيهزم موسى ولكن الإرادة الإلهية حالت دون غلبة هؤلاء السحرة الذين انتهت معركتهم بالإيمان جميعهم، وقد أيد الله موسى وأخاه بآية ثالثة وهي تسليط السنين والنقص في الثمرات ولكن القوم لم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وهذا وإن كان عقابا لأهل فرعون إلا أنه رحمة من عند الله حتى يؤمنوا، وعلى الرغم من أنهم طلبوا من موسى رفع البلاء على أن يؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل إلا أنهم بمجرد رفع البلاء عنهم سرعان ما يعودون إلى غيهم

---

[1] –الشعراء: 29.

[2] –الشعراء: 30.

[3] –الشعراء: 31.

[4] –د. حسن الشرقاوي –الجدل في القرآن –كتب الدراسات القرآنية –مصر –الإسكندرية –منشأة المعارف – (150ص –24 سم) –ص 81–82.

[5] –الأعراف: 107–108.

وطغيانهم وتكون نهايتهم بعد نفاذ جميع فرص الرحمة أن يأخذهم الله بإغراقهم في اليم.

قال تعالى واصفا استجداءهم موسى في رفع البلاء [ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنّا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل. فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون. فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين][1].

ثانيا –نوح عليه السلام:

هو أول رسل الله إلى الأرض بعد أن تفشت فيهم عبادة الأصنام والأوثان للدعوة إلى توحيد الله، وهذه هي سنة الله في أرضه أن يقيم الحجة على عباده بإرساله أنبياء ورسل يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده؛ كما أنّ نوحا من أولي العزم من الرسل[2].

ولقد ذكر الله سبحانه في سورة نوح أنّ القوم عبدوا خمس معبودات كانت في أصلها صورا لخمس رجال صالحين وهم كما ذكرهم القرآن [وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّا ولا سواعا ولا يغوثا ويعوقا ولا نسرا][3]، ودعوة نوح عليه السلام تناولت الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، والحث على ترك عبادة الأصنام.

أ–معبودات قوم نوح: تعتبر العقيدة النقطة المشتركة أو الفاصلة بين الأمم وهي التي تحرك الشعوب للعمل، وقد شهدت هذه العقيدة تنوعا على مرّ الأزمان وهذا لتنوع أفكار الناس، وقوم نوح عبدوا الأصنام وكانوا يكنون لها من الحب ما لم يقدر على تغييره هذا النموذج البشري الفذ نوح عليه السلام فقد طال عهده بقومه يدعوهم ليلا ونهارا، سرا وجهارا، فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا، قال تعالى على لسان نوح [قال نوح ربّ إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا. ومكروا

---

[1] –الأعراف: 134–136.

[2] –د. محمد مهران –دراسات تاريخية من القرآن الكريم –4 في العراق – مصر– الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية–1995م – د.ر.ط–(212ص– 24سم)– ص 09 بتصرف.

[3] –نوح: 23.

مكرا كبّارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوثا ويعوقا ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا][1]، قيل إنّ جملة: (ولا تذرّن آلهتكم) تشير إلى أنّ لقوم نوح آلهة أخرى هي: الكواكب السيارة، ولماّ كانت هذه الكواكب لا تظهر ملامحها إلا في سواد الليل، اضطر القوم لاتخاذ الأصنام واسطة لتقربهم إلى تلك الآلهة.[2]

قال البخاري: وقال عطاء عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل وأما ياغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمذان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموهم بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبِدت[3].

ب-دعوة نوح عليه السلام: قال الله تعالى [إنّا أرسلنا نوحا إلى قومه أن انذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم. قال يا قومي إني لكم نذير مبين. أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون. يغفر من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون][4].

لقد كانت دعوة نوح عليه السلام دعوة جادة إلى توحيد الله وعبادته وحده، في جهد دائب ما ترك وسيلة تمكنه إلا استخدمها لإقناعهم بدعوته، سرا وجهارا وترغيبا وترهيبا ووعدا ووعيدا، واحتجاجا واستدلالا بالأدلة العقلية والحسية من واقع أنفسهم وحياتهم ومما بين أيديهم من السماء والأرض، وما فيهما من آيات وعبر، وكل هذا

---

[1] – نوح: 21-24.

2 – د.محمد التومي –المجتمع الانساني في القرآن الكريم –تونس– الدار التونسية للنشر –الجزائر –المؤسسة الوطنية للكتاب –1407هـ/1986م –د.ر.ط – (527ص–23سم) – ص 84.

[3] – الإمام ابن كثير –تفسير القرآن العظيم –مج7 –ج29 –ص 70.

[4] –نوح: 1-3.

لم يجد فيهم نفعا ولا دفعهم إلى استجابة، بل أصروا على كفرهم وضلالهم واستكبروا استكبارا. فكانت النتيجة لهذا الإصرار والاستكبار الهلاك والدمار في الدنيا، وفي الآخرة الخلود في عذاب النار[1].

ج-الآيات المرسلة فيهم: لعل أصدق الآيات التي جاء بها نوح عليه السلام هو طول عهدة هذا النبي في دعوة قومه وجداله لهم في قبول الحق وصبره على أذاهم، وتذكيرهم بنعم الله عليهم بخلقهم أطوارا وخلق السماوات والأرض، وجعل السماوات طباقا، وخلق الشمس والقمر فيهن نورا وأوكل الله لكل منهما وظيفته، وكيفية ابتداء الخلق وبعثهم بعد الموت وبين أنّ الاستغفار سبب في غيث السماء والإمداد والبنين والتزود بالجنات التي فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها، فقد استعمل هذا النبي الكريم -الذي عده الله من أولي العزم من الرسل لما لاقاه من الشدائد والمحن في سبيل الله- أسلوب الجدال المنطقي فخاطب عقول القوم التي أودعت فيهم علهم يستجيبون، خاطبهم بواقعهم الذي يعايشونه، بما هو ماثل بين أعينهم ولكن القوم ظلموا بل تجاوزوا الحد أن طلبوا منه العقاب. قال تعالى [قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين. ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون. أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعليّ إجرامي وأنا بريء مما تجرمون][2].

ومما لا شك فيه أنّ هؤلاء القوم طلبوا من نبيهم إنزال العذاب أو الإتيان بالمعجزة إلا نفذ الله فيهم عقابه، فقد ذكر الله في نفس هذه السورة استجابة الله في تنفيذ العقاب بقوم نوح، فأوحى الله إلى عبده بصناعة السفينة وأن عدد المؤمنين بدعوته لن يزيد عن هؤلاء، وأن السفينة ستحمل هؤلاء المؤمنين وأزواجا من الحيوانات، وأن القوم الكافرين سيعمهم الطوفان. قال تعالى [وأوحي إلى نوح أنه لن

[1] -د.ربيع المدخلي -منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله -ص 52 -53.

[2] -هود: 32-35.

يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون. واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون][1].

[1] -هود: 36-37.

المطلب الثاني: أسباب الهلاك

لعل أبرز ما طرحته في المطلب السابق هو حضارتين: الحضارة الفرعونية بمصر التي عايشها موسى عليه السلام والحضارة البابلية بالعراق والتي عايشها نوح عليه السلام، وكلا الحضارتين عرفت ديانة خاصة بها؛ إحداهما عبدت الإله البشري المزعوم فرعون إلى جانب الآلهة المزعومة الأخرى التي كانت تظن فيها القوة على التأثير في الأرض وثانيهما عرفت عبادة الأصنام التي كانت في أصلها صورا لرجال صالحين، وكلا الديانتين تمثل كفرا بالله، وقد أقام الله حجته على هاتين الأمتين.

وما من حضارة قامت في الوجود إلا ويصدق عليها يوما لفظ السقوط.

وقد يرجع البعض من الذين لا دين لهم أنّ الحضارة قد تموت بموت الأشخاص العظماء كما حدث مع فرعون وهامان وجنودهما، وقد تتلاشى بالكوارث الطبيعية مثل ما حصل بالطوفان، ولكن الناظر المتبصر المتبحر في كتاب الله الكريم يجعل من السقوط الحضاري من أسباب الهلاك، وأن الهلاك سببه الكفر والعناد.

إنّ هلاك الأمم لا يحدث إلا بأسباب موضوعية، وقد جاءت الإشارة الصريحة على هذا في قوله تعالى: [و ما كان ربّك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون][1]، إنّ ظاهر النظم يفيد أنّه ليس من سنّة الله في الاجتماع البشري أن تهلك المّة من غير أسباب معقولة.[2]

لقد كان من قوم لوط–مع الشرك– إتيان الفاحشة التي لم يسبق إليها، وفي قوم عاد –مع الشرك–التجبّر والتكبّر والتوسع في الدنيا، وشدّة البطش، وقولهم (من أشدّ منّا قوة؟) وفي أصحاب مدين –مع الشرك –الظلم في الأموال، وفي قوم فرعون –

---

[1] – هود : 117.

[2] –د. محمد علي التومي– وظيفة الإنسان الحضارية – ارتباط تكوين الانسان بوظيفته الحضارية– مجلة جامعة المير عبد القادر للعلوم الإسلامية –الجزائر– عين مليلة– دار الهدى– رمضان 1414هـ/مارس 1994م– ع5– ص 216، 217.

مع الشرك- الفساد في الأرض والعلو، وكان عذاب كلّ أمّة بحسب ذنوبهم وجرائمهم.[1]

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى تلك القرية الآمنة المطمئنة التي كانت في رغد من العيش فكان كفرها بنعم الله سببا في هلاكها، قال الله تعالى [وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون][2]، والقرآن يبين في غير موضع أن الله لم يهلك أحدا ولم يعذبه إلا بذنب[3]، فقال تعالى [وما أصابك من سيئة فمن نفسك][4]، وقال تعالى [وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير][5]، وقال تعالى [وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون. ذكرى وما كنا ظالمين][6]، وقال تعالى [وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنّا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون][7].

وتتمثل أسباب الهلاك إما في أسباب عقائدية تتعلق بالشرك أو بكفر النعمة، أو في أسباب أخلاقية تشمل اقتراف الفاحشة أو الكبر أو في أسباب اقتصادية تتعلق إما بالغش وهو ظلم الناس في أموالهم أو في البخل وحرمان الفقراء من حق الله في المال الذي منّ الله به على الغني وقد قال الله سبحانه وتعالى [وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه][8] فالمال مال الله والناس مستخلفون فيه.

---

[1] -الإمام محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية- التبيان في أقسام القرآن- د.ب.ط-دار الفكر -د.س.ط- د.ر.ط- (280ص- 24سم)- ص17.

[2] -النحل: 112.

[3] -الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية -الحسنة والسيئة -تقديم د. محمد جميل غازي -لبنان -بيروت -دار الجيل -1410هـ/1990م -(136ص -24 سم) -ص 132.

[4] -النساء: جزء من آية 79.

[5] -الشورى: 30.

[6] -الشعراء: 208-209.

[7] -القصص: 59.

[8] -الحديد: جزء من آية 07.

1-**أسباب عقائدية:** مما لا شك فيه أنّ الأسباب العقائدية هي أهم الأسباب التي بها يكون الهلاك، فقد ذكر الله لنا في كتابه أنّ الإقلاع عن سبب العذاب كفيل بارتفاع الهلاك وبالتالي الابتعاد عن السبب ينجي من المسبب، قال تعالى [فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين][1]، فبمبادرة قوم يونس للإيمان وإقلاعهم عن الكفر كشف الله عنهم العذاب[2].

ويقول الله سبحانه وتعالى في شأن الإيمان والتقوى بأنه علاج لحالة الأمة المرضية، وأنّ عكسه سبب في الهلاك [ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض][3]، فبتصديقهم وباتقائهم الشرك وعدهم الله المطر والنبات، وقد يمتحن المؤمنون بضيق العيش ويكون تكفيرا لذنوبهم[4].

أ-الشرك بالله: لقد نص الله في كتابه الكريم أنّ الشرك بالله هو من أعظم أنواع الظلم فقال في سورة لقمان [يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم][5]، قال قال البخاري: عن عبد الله قال: لمّا نزلت [الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم][6] شق شق ذلك على أصحاب » وسلّم وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله »: إنه ليس بذلك، ألا تسمع إلى قول لقمان [يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم][7]، وقد ذكر الله تعالى آية [الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن الأمن وهم مهتدون][8] عقب محاجات إبراهيم عليه السلام لقومه، فبعد أن دعاهم إلى

---

[1] -يونس: 98.

[2] -الشيخ ابن باديس -مجالس التذكير -ص 166.

[3] -الأعراف: جزء من آية 96.

[4] -الإمام القرطبي -الجامع لأحكام القرآن -صححه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش - د.م.ط- د.د.ط- 1380هـ- 1960م-ط2 - (404 ص- 28,5 سم) - مج7 - ص 253 بتصرف.

[5] -لقمان: جزء من آية 13.

[6] - الأنعام: جزء من آية 82.

[7] -الإمام ابن كثير -تفسير القرآن العظيم -مج5 -ج21 - ص 230.

[8] -الأنعام: 82.

التوحيد ونبذ الشرك باستعمال الحكمة قال لهم [وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون][1] فجاء جوابه عن نفسه بأنّ الذي يستحق الأمن هم الذين آمنوا وكان توحيدهم خالصا من كل ظلم ويعني به الشرك[2].

ومن هنا يتبين أنّ سلب الأمن وظهور الرعب والخوف في المجتمع إنما منشؤه الشرك بالله، والله سبحانه لا يزيل نعمة أنعمها على عبده إلا بذنب. ولقد نقل الأستاذ أحمد فريد ما كتبه حامد بن محمد المصلح في أسباب زوال الأمن وظهور الحروب، ومفاده أنما يحصل في هذه الأيام من الحروب الطاحنة التي تزيل الأمن وتذهبه وتجعل الناس يعيشون في خوف ووجل كل ذلك بسبب الذنوب والمعاصي التي تعج بها الأرض وتفج، وكما في قوله تعالى [فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون][3] فكان الكفر بأنعم الله العديدة التي منها الأمن سببا في أن الله أذاقهم لباس الجوع والخوف، ومعنى "لباس" ما يباشر الجسد، وأدنى شيء للإنسان من غيره، والجوع بسبب قلة الأرزاق والمأكولات، والخوف بسبب الفوضى[4].

ويبقى هناك سؤال يتبادر للجميع أنّ الأقوام الذين وقع عليهم الهلاك المدمر هل كان الشرك بالله وحده كفيلا بالعذاب؟ وهو ما نستطيع الإجابة عليه بما أورده ابن كثير في تفسيره في سبب هلاك قوم نوح بالطوفان [جزاءا لمن كان كُفر][5]، فالكفر في حدّ ذاته سبب عظيم في هلاك الأمم، ومن أخر عنه العذاب إلا لحكمة يعلمها الله، وربما جمع الله للأمة الكافرة العذاب في الآخرة.

---

[1] –الأنعام: 81.

[2] –الإمام القرطبي –الجامع لأحكام القرآن –مج7 –ص 30 بتصرف.

[3] –النحل: جزء من آية 112.

[4] –أ. أحمد فريد –تحذير الداني والقاصي من عقوبات الذنوب والمعاصي –جمع وترتيب المؤلف –الجزائر – البليدة –دار الإمام مالك –جدة –الشرفية –مكتبة الصحابة –1416هـ/ 1996م –ط.2 –بتصرف نقلا عن كتاب المعاصي وأثارها على الفرد والمجتمع –ص 147.

[5] –القمر: جزء من آية 14. الإمام ابن كثير –تفسير القرآن العظيم –مج6 –ج27 –ص 278.

ب-الكفر بنعم الله: أخبرنا القرآن الكريم بنماذج بشرية من الذين كفروا بأنعم الله زيادة على الشرك بالله كانت سببا في زوال النعم الحاضرة لدى تلك الأمم وأن الذي تسبب في زوال الحاضر كان كفيلا بأن يقطع الواصل. قال تعالى [لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور][1].

2-أسباب أخلاقية: لقد كرر الله علينا في كتابه الكريم قصة قوم نوح، ولا شك أنّ للتكرار في القصة القرآنية فائدة كبرى تتمثل أهميتها في العبرة والاتعاظ، وقوم لوط لم يقتصروا في قبيح أفعالهم على الكفر بالله وتكذيب نبيهم بل تعدوه إلى فعل اللواط الذي يعتبر من أقبح أنواع المنكر والذي يمثل انتكاسا في الطبيعة البشرية، كما أن قصة هود عليه السلام تؤكد بصدق أنّ الكبر من أعظم أسباب الهلاك.

أ-الفاحشة: لقد حرّم الله في الشرائع السابقة اقتراف الزنا ورتب عليه من العقوبات ما يكون كفيلا بالانتهاء عن هذا الفعل، وجعل الرباط الشرعي وهو الزواج علاجا متينا واقيا من الوقوع في المحظور، وسمّى الله في كتابه الزنا باسمه على غرار اللواط فقد سماه الفاحشة وهذا لقبيح فعل اللواط وأنّ الله إذا كنّى عن شيء باسم آخر فإنما لتنزيه كلامه عن هذا الشيء.

وقد أخبر القرآن في أكثر من موضع عن قوم لوط عليه السلام وعن المنكرات التي كانوا يأتونها وعن هلاكهم الذي جعله الله عبرة لمن يعتبر، قال تعالى [كذبت قوم لوط المرسلين. إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون. إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري إلا على ربّ العالمين. أتأتون الذكران من العالمين. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم، بل أنتم قوم عادون. قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين. قال إني لعملكم من القالين. ربي نجني وأهلي مما يعملون. فنجيناه وأهله أجمعين. إلا عجوزا في الغابرين. ثم

[1] -سبأ: 15-17.

دمرنا الآخرين. وأمطرنا عليهم مطرا، فساء مطر المنذرين. إن في ذلك لآية، وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم][1].

وقوم لوط إذ فشا فيهم الشذوذ الجنسي فقد انعكس على سلوكياتهم كلها فسادا وعبثا وانحلالا، وقد وصفهم الله في كتابه بأنهم قوم مفسدون كما أنهم أيضا مجرمون وهم ظالمون[2]، ويعتبر اللواط سببا عظيما من أسباب الأمراض التي حلّت بالأمم الحاضرة مثل مرض الإيدز الذي هو انهيار في وسائل الدفاع الطبيعية[3]، وهذا المرض ينتقل فيروسه بالانتقال الجنسي الشاذ، وقد اكتشف هذا المرض في سنة 1981م في أربعة مرضى أمريكيين كانوا يمارسون الشذوذ الجنسي وهذا المرض ليس خاصا بالشواذ فهو ينتقل عن طريق اللعاب، أو الحقن الوريدية ولكن ثبت أن حوالي 75 % من المصابين به عندهم شذوذ جنسي[4]. نسأل الله العافية.

ب-الكبر: قال تعالى [وإلى عاد أخاهم هودا، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، أفلا تتقون. قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين. قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين. أبلغكم رسالة ربي وأنا لكم ناصح أمين. أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون][5].

وقال تعالى [وإلى عاد أخاهم هودا، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إن أنتم إلا مفترون][6].

---

[1] -الشعراء: 160-175.

[2] -أ.عبد المنعم قنديل -التداوي بالقرآن -الجزائر -باتنة -دار الشهاب -مصر- القاهرة -مكتبة التراث الإسلامي -(77ص -24سم) -ص 71-72 بتصرف.

[3] -أ. أحمد فريد -تحذير الداني والقاصي -ص 54 بتصرف .

[4] -أ. عبد المنعم قنديل -التداوي بالقرآن -ص 73.

[5] -الأعراف: 65-69.

[6] -هود: 50.

مضى قوم نوح في التاريخ أكثرهم مكذبون طواهم الطوفان وطواهم التاريخ واستبعدوا من الحياة ومن رحمة الله سواء، والناجون استخلفوا في الأرض تحقيقا لسنة الله ووعده [إنّ العاقبة للمتقين][1] ولقد كان وعد الله لنوح [يا نوح اهبط بسلام منّا وبركات عليك وعلى أمم ممّن معك، وأمم سنمتعهم ثم يمسّهم منّا عذاب أليم][2] لقد عادت الجاهلية مرة أخرى كما عادت من قبل بعد أجيال لا يعلمها إلا الله من المسلمين من ذرية آدم[3].

وتحققت نعمة الله في الأمم التي تبعت نوح وقومه فكانت أمة عاد إذ كانوا عمالقة أقوياء وصفهم الله في كتابه [ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد][4]، كانت أجسامهم قوية وبنيتهم ضخمة متينة وفضلا عن هذا كله كانوا مترفين في الحياة يبنون القصور الفخمة الشامخة وعندهم البساتين النظرة والعيون الجارية[5].

وهذه الأجسام التي ابتلوا بعظمها كانت سببا في كبرهم، وكان هذا الكبر سببا في هلاكهم، قال الله تعالى [فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشدّ منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، وكانوا بآياتنا يجحدون][6]،و يقول سبحانه أيضا [أتبنون بكلّ ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلّكم لعلّكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون.قالوا يا هود ما جئتنا ببيّنة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء][7].

---

[1] –هود: جزء من آية 49.

[2] –هود: 48.

[3] –أ. سيد قطب –في ظلال القرآن –طبعة جديدة مشروعة رقم 13 –1407هـ/ 1987م –مج04 –ص 1895.

[4] –الفجر: 6–8.

[5] –أ.محمد علي الصابوني –النبوة والأنبياء –المملكة السعودية –دار الصابوني –1390هـ –ص 226 بتصرف.

[6] – فصلت: 15.

[7] – الشعراء: 128.

و لقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا، قال هود يا قوم اعبدوا الله فأفردوا له العبادة ولا تجعلوا معه إلها آخر فإنّه ليس لكم إله غيرهم أفلا تتقون ربّكم وتخافون عقابه بعبادتكم غيره وهو خالقكم ورازقكم دون ما سواه.[1]

لقد أراد الله سبحانه بمنح هذه القوة أن يختبر عباده هل يشكرون نعمته ويحمدونه أم يكفرون، وقد بعث فيهم نبيا لينذرهم بعد أن بلغ فيهم الكبر مبلغا عظيما.

3-أسباب اقتصادية: نجد أنّ القرآن الكريم حين أملى على العباد أحكاما من حيث أنها تعالج أحوالهم الروحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية معالجة تامة لما وقعوا فيه من أفعال منكرة ذكرهم بقصص أمم سابقة وقعت في نفس الأفعال، فكان الغش ضربا من ضروب هذه الأفعال مارسته الكثير من الأمم وعرف به قوم شعيب وهذا لتفشيه فيهم، وكان البخل ضربا من ضروب الأفعال السيئة الذي سبقت به أمة بني إسرائيل الأمم اللاحقة فكان قارون المثل الذي يضرب به في هذا الفعل.

أ-الغش: يعتبر الاقتصاد الجانب الأمثل في الحياة البشرية، ذلك أنّ الأمم لا يمكن أن تستغني في قضاء حاجاتها عن هذا الشريان الذي يغذي المجتمع، والغش هو أهم المسببات في شلل حركة الاقتصاد، وإذا تعرض الاقتصاد لهذا النوع من المعاملات فلابد أن تنتهي أحوال الناس إلى الفساد.

وقد تعرّض القرآن لظاهرة الغش في المعاملات وجعل تطفيف المكيال والميزان أهم سماتها، وكان أصحاب الأيكة رمز هذه المعاملة ، فبعث الله نبيه شعيبا عليه السلام يعلم قومه توحيد الله وإفراده بالعبادة وينبههم إلى ضرر ما يقومون به من معاملات محرمة، قال تعالى [كذّب أصحاب الأيكة المرسلين. إذ قال لهم شعيب ألا تتقون. إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري إلا على ربّ العالمين. أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين. وزنوا

[1] – الإمام محمد بن جرير الطبري – جامع البيان في تفسير القرآن – وبهامشه تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسين بن حسين النيسبوري- مصر- بولاق – المطبعة الكبرى الأميرية 1327هـ-ط1-(168ص- 28سم)-ج8-ص152.

بالقسطاس المستقيم. ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين. قالوا إنما أنت من المسحّرين. وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنّك لمن الكاذبين. فأسقط علينا كسفا من السّماء إن كنت من الصادقين. قال ربي أعلم بما تعملون. فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة، إنه كان عذاب يوم عظيم. إن في ذلك لآية، وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربّك لهو العزيز الرحيم][1]، وفي آية أخرى [ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ][2]، قال ابن جرير: (ما فَضُل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف)[3] وهذا شبيه بقوله تعالى [قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث][4] يعني أنّ قليلا من الحلال خير لكم من الكثير الحرام، فإنّ الحلال مبارك وإن قلّ، والحرام ممحوق وإن كثر[5].

ب-البخل: يشبه القرآن المال بالوديعة في أيدي الأغنياء، فليس للفرد أن يتصرف بهذه الوديعة كيف يشاء، وهو صريح في أنّ البشر خلفاء في أموالهم لا أصلاء، وإنما المال الذي في أيديهم مال الله، وبالتالي للفقراء حقوق في أموال الأغنياء[6]، قال الله تعالى [آمِنوا بالله ورسوله، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه][7].

والغني حين يعطي للفقير من ماله فإنما يطهّر نفسه من أرجاس التكبر والاستعلاء كما يطهّره من البخل والشح الذي نبذه الله في كتابه وأعطى مثلا عظيما في عاقبة الأغنياء الذين يستعلون على الناس ويكفرون بالنعمة، فكان أعظم مثل

---

[1] -الشعراء: 176-190.

[2] -هود: 85-86.

[3] -الإمام ابن كثير -قصص الأنبياء -ص 192.

[4] -المائدة: جزء من آية 100.

[5] -الإمام ابن كثير -قصص الأنبياء -ص192.

[6] -د. صبحي الصالح -الإسلام والمجتمع العصري -ص 29-30 بتصرف.

[7] -الحديد: رقم 07.

جسده القرآن هو شخصية قارون الباغية التي فصّل الله قصتها وما آل إليه حالها وكانت عاقبتها الهلاك.

قال تعالى [إنّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح، إنّ الله لا يحب الفرحين. وابتغي فيما آتاك الله الدّار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إنّ الله لا يحب المفسدين. قال إنمّا أوتيته على علم عندي، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدّ منه قوّة وأكثر جمعا، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون. فخرج على قومه في زينته، قال الذين يريدون الحياة الدّنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنّه لذو حظّ عظيم. وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا، ولا يلقّاها إلا الصّابرون. فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين. وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون ويكأنّ الله يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده ويقدر، لولا أنْ منّ الله علينا لخسف بنا، ويكأنّه لا يفلح الكافرون. تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادا، والعاقبة للمتّقين][1].

وقد ذكر الله تعالى مذمّة قارون في غير ما آية من القرآن[2] قال الله تعالى [ولقد أرسلنا موسى بآياتنا سلطان مبين. إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذّاب][3] وفي هذه الآيات بيّن الله سبحانه ما كان عليه قارون من الكفر به والكفر بالنعمة وجحودها حينما قال [إنما أوتيته على علم عندي] وبيّن الكبر الذي كان عليه بما أوتي من أموال وما انجرّ عن كل ذلك من الهلاك [فخسفنا به وبداره الأرض].

---

[1] –القصص: 76–83.

[2] –الإمام ابن كثير –قصص الأنبياء –ص 369.

[3] –غافر: 23–24.

نزل القرآن الكريم إلى العرب يأمرهم بالتوحيد ويسفه لهم أحلامهم فيما يقدسونه من أصنام، وتلقى الرسول الكريم **y** ألوانا من العنت وصنوفا من العذاب، إذ راحوا يهاجمونه بضراوة [أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون][1] ويتهمونه بأنه [كاهن][2] وأنه [ساحر][3] وأكثروا فيما قالوا. والقرآن يصفهم بالكذب والافتراء على الرسول الكريم » ثم يهاجمون برهان نبوته ودليل رسالته فادعوا أنّ القرآن [أساطير الأولين][4] وأنّ الرسول [اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا][5] وما سوره [إلا إفك مفترى][6] ومن تم تحداهم القرآن [فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين][7] والكلام كلامهم وهو سيد عملهم قد فاض بيانهم وجاشت به صدورهم[8].

وكان إعجاز القرآن طوال العصور موضوعا للدرس والبحث وكان كل باحث يحاول أن يهتدي إلى سر هذا الإعجاز، وكان الكثير من الكتب التي تناولت الموضوع بالبحث منها الكلامي ومنها البلاغي، ومع كل هذا الجهد الذي بذله العلماء فنعتقد أننا لا نزال نفتقر إلى العمل العلمي الكامل الذي يضع أيدينا على حقيقة الإعجاز في كتاب الله[9]. وهو ما سنجده في هذا الفصل.

---

1 –الصافات: 36.

2 –الحاقة: 42.

3 –الذاريات: 39.

4 – الفرقان: 05.

5 –الفرقان: 05.

6 –سبأ: 43.

7 –الطور: 34.

8 –د/ منير سلطان –إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة –الدراسات القرآنية 5 –مصر –الإسكندرية –جامعة عين شمس –منشأة المعارف –1986م –ط.3 –(292ص –24 سم) –ص 45.

9 –د/ كفافي، أ/الشريف –في علوم القرآن –دراسات ومحاضرات –ص 137.

وسنقوم بتقسيم البحث إلى مبحثين:

سيكون المبحث الأول بعنوان الرؤية الجمالية والفنية القرآنية عند القدامى: وسنقسمه بدوره إلى مطلبين: أولهما بعنوان الكلمة القرآنية وعلماء البيان، وثانيهما بعنوان نظرية النظم وآراء العلماء، وسيكون المبحث الثاني بعنوان الرؤية الجمالية والفنية القرآنية عند المحدثين: وسنقسمه إلى مطلبين: فالأول بعنوان التطبيقات الفنية في القصة القرآنية والثاني بعنوان الإشارات البلاغية.

المبحث الأول
الرؤية الجمالية والفنية القرآنية عند الأقدمين

وفيه مطلبين

المطلب الأول : الكلمة القرآنية وعلماء البيان

المطلب الثاني: نظرية النظم وآراء العلماء:

المبحث الأول: الرؤية الجمالية والفنية القرآنية عند الأقدمين

يتميز البيان القرآني بخصائص تحتاج إلى تفصيل خاص في مجالات النحو والبلاغة والتفسير وعلوم اللغة وغيرها، لتتبين السمات الأسلوبية الدقيقة للنص القرآني[1].

ذلك أنّ القرآن الكريم معجز بلفظه معجز بمعناه، وألفاظ القرآن الكريم مختارة منتقاة توافرت فيها كل شروط الفصاحة، موضوعة بحكمة بالغة ليس بينها ترادف، والمعنى المفرد الذي دلت عليه الكلمة القرآنية لا يوجد في كلام البشر مثلها، مهما تناهت في الفصاحة، فكل كلمة موصوفة بالذروة العليا، كما أنّ معاني القرآن تكفل للمستمع والقارئ كل سبل الإقناع والتأثير، بحيث لا يجد المخاطب فكاكا من التسليم بها، فوجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به، لا مطلق التأليف[2].

وبناء على ما سبق فإنّ تقسيم الإعجاز إلى إعجاز باللفظ وإعجاز بالمعنى أعطى مسوغا علميا لانقسام العلماء في مجال البحث في الكلمة القرآنية.

فقد ذهب مجموعة من علماء البيان إلى أنّ الكلمة القرآنية ذات فصاحة خاصة، وانتقاء اللفظ القرآني يدل على قدرة القائل وعلو بيانه، ولا يمكن بحال من الأحوال استبدال كلمة قرآنية بأخرى وإلا اختل المعنى، ويتزعم هذا الفريق مجموعة من الأدباء منهم الجاحظ والرمّاني والخطّابي والباقلاّني.

كما يذهب الفريق الثاني إلى أنّ النظم هو عمود الإعجاز وجوهره وأنّ الكلمة مفردة ليس لها في أمر الإعجاز وشأنه دخل، كما لم يعد للكلمة ميزة من حيث الفصاحة والبلاغة، ويتزعم هؤلاء مجموعة أخرى من الأدباء منهم عبد القاهر الجرجاني والزمخشري وفخر الدين الرازي.

---

[1] –د/عفت الشرقاوي –بلاغة العطف في القرآن الكريم –دراسة أسلوبية –لبنان –بيروت –دار النهضة العربية –1981م –د.ر.ط –(247ص –24 سم) –ص 15 بتصرف.

[2] –د/صبري متولي –منهج أهل السنة –في تفسير القرآن الكريم –دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية –مصر –القاهرة –دار الثقافة –1986م –د.ر.ط –(469ص –23سم) –ص 329 بتصرف.

ونحن باختيارنا لهؤلاء الأعلام لا نريد حصر ظاهرة الإعجاز وبلاغة القرآن الكريم في هذه النماذج، بل هو ما وصلت إليه أيدينا في البحث من كتـــب تخـــص هؤلاء الأدباء ومؤلفات أخرى تتحدث عنهم.

المطلب الأول: الكلمة القرآنية وعلماء البيان

تعتبر الكلمة أصل الدقة في التعبير، والوضوح في المعنى، والصدق في الدلالة، لأنّ الكلمة إذا تمكنت في موضعها دلت على المعنى كله، فإذا حشرت حشرا أو قصرت قصرا، دلت على بعض المعنى، أو ألجأت إلى غيره[1]، لذلك ذهب مجموعة من علماء البيان القدامى إلى أن للكلمة القرآنية فصاحة في حدّ ذاتها ولا يمكن لغيرها أن تعوضها المعنى الذي اختيرت من أجله.

فنجد الجاحظ يستحسن تعريفا للبلاغة يقول عنه: "وقال بعضهم لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[2].

وهاهو الرمّاني يعيب على من عرّف البلاغة بأنها إفهام المعنى أو على أنها تحقيق اللفظ على المعنى معللا ذلك بأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عييّ، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى لأنه قد يحقق اللفظ المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف. ثم يعرّف البلاغة بأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ[3].

كما ينظر الخطّابي إلى الأسلوب على أساس أنّ الألفاظ قوامه، وهي دعامة بنيانه، حتى أن القرآن الكريم لو حاولت أن تنزع كلمة من جملة لتضع غيرها المرادفة لها لاختل البناء واضطرب[4].

---

[1] –د/ فضل حسن عباس –الكلمة القرآنية وعلماء البيان –مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية –الكويت –جامعة الكويت –ربيع أول 1406هـ/ ديسمبر 1985م–(286 ص –24سم) –س02 –ع 04 –ص 15.

[2] –أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ –البيان والتبيين –لبنان –صيدا –بيروت –المكتبة العصرية –تحقيق د/درويش الجويدي –1420هـ/1999م –ط.1 –(647ص –24 سم) –مج. 1 –ص 78.

[3] –ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي –حققها وعلق عليها محمد خلف الله، محمد زغلول سلام –ذخائر العرب 16 –الرماني –النكت في إعجاز القرآن –مصر –دار المعارف –د.س.ط –د.ر.ط –(212ص –24 سم) –ص69 بتصرف.

[4] –الإمام محمد أبو زهرة –المعجزة الكبرى –ص 94.

كما يرى الباقلاني أنّ للكلمات ذاتها فصاحة خاصة وأنّ تخيرها يدل على قدرة قائلها وعلو بيانه، وأنّ ألفاظ القرآن غرّة في كل كلام، وأنّ لها دخلا في إعجازه[1].

وإليك الآن نستعرض أهم ما جاء من آراء العلماء في شأن الكلمة القرآنية.

أولا – الجاحظ: [2]

على الرغم من أنّ المعتزلة تعسفوا في تفسير الآيات التي لا تنسجم مع مذهبهم فعملوا على درء التعارض القائم بينه وبين النص القرآني، وأنّ الاعتزال تعصب له فريق من الناس من حيث كان الداعي إلى نشأة البيان العربي، فإنّ المعتزلة قد أسهموا بجهد كبير في جمع المتفرق من شعب هذا البيان واللفت إلى خصائصه نظرا وتطبيقا، والجاحظ وهو معتزلي كان من أوائل المعتزلة الذين شاركوا في هذا الجمع، وإن كان سبقه بشر بن المعتمر في رسائله[3].

---

[1] –أبو زهرة –المعجزة الكبرى –ص 91–92.

2– أبو عمرو عمرو بن بحر الجاحظ (150–255 هـ/767–868م) أشهر أدباء القرنيين الثاني والثالث الهجريين، جمع بين العلم والأدب، ويجعله مؤرخو البلاغة العربية أنه مؤسس الدرس البلاغي ، ترك مكتبة ضخمة من الكتب والرسائل،أهم مصنفاته : كتاب الحيوان، البخلاء، ومن رسائله : خيال لصوص النهار ، حيل سراق الليل، رسائل القيان ، والبرصان ن والعرجان، والعميان ومعلمي الصبيان، والترك والتربيع والتدوير . دائرة المعارف الإسلامية (كتاب الشعب) –447ص –مج 10 – ص 376 . الموسوعة العربية العالمية – مج 8 – ص 108

[3] –أ. مصطفى رياح –من أسباب اختلاف المفسرين –مجلة منار الإسلام –الإمارات العربية المتحدة –أبو ظبي –وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف –جمادى الآخرة 1420 هـ/ سبتمبر 1999م –(98ص –27 سم) –ع 6 –س 25 –ص 16.

[4] –د/ سيد أحمد خليل –دراسات في القرآن –لبنان –بيروت –دار النهضة العربية –1969م –د.ر.ط–(171ص –24سم) –ص 152،153 بتصرف.

وتعتبر عقيدة الاعتزال التي اعتنقها الجاحظ بما تتضمنه هذه العقيدة من اتجاهات فكرية وآراء عقائدية، وكذلك حضارة العصر العبّاسي الذي عاش فيه وثقافته، من أهم العناصر الأساسية في نمو مواهب الجاحظ الأدبية.[1]

وهو ينظر إلى المفردة القرآنية من حيث كونها لها خصائص وأسرار، فالقرآن الكريم إنما تختار فيه اللفظة التي تناسب الموضوع الذي جاءت فيه؛ فقد يشترك لفظان أكثر في معنى، ولكن أحدهما يكون أكثر دقة فيذكر في التنزيل، وهكذا فألفاظ القرآن مختارة منتقاة، وإن كان يظن لأول وهلة بأنّ بعضها مترادف إلا أنّ بينها من دقة الفروق ما يخفى عن الكثيرين حتى من ذوي النظر[2].

يقول الجاحظ: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث[3].

ويمكننا استعراض بعض ما جاء في مادتي (الغيث والمطر) في القرآن الكريم ليتبين لنا أنّ ما ذهب إليه الجاحظ كان صحيحا: "والغيث الماء الذي يغاث به الناس ومن ذلك قوله تعالى [إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام][4]، فلفظ الغيث هنا يحمل معاني الخير والعون، ولذلك يأتي في مواضع إظهار النعمة والمن بها على العباد... أما المطر فقد ورد –أسماء وأفعالا– في خمسة عشر موضعا في القرآن الكريم منها أربعة عشر موضعا في العذاب والعقاب

[5] –د/ إبراهيم محمد الشافعي –من أعلام التربية العربية الإسلامية: الجاحظ (ت: 255هـ) –د.م.ط –مكتب التربية العربي لدول الخليج –1409هـ /1988م –(331 ص –24سم) –ص 282 بتصرف.

[2] –د/ فضل حسن عباس –الكلمة القرآنية وعلماء البيان –مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية –س 2 –ع 4 – ص23 بتصرف.

[3] –الجاحظ –البيان والتبيين –مج.1 –ص20.

[4] –لقمان: 34.

صراحة، ومن ذلك قوله تعالى [وأمطرنا عليهم مطرا][1] وقوله [ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء][2]، أما الموضع الخامس عشر وهو قوله تعالى [ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم][3]، ولا يخفى من السياق أن الموضع موضع (أذى من مطر) لا موضع غيث، فالماء إذا زاد عن حده صار هلاكا كالفيضان والسيل، واقتران المطر بالمرض في هذا السياق يزيد الصورة وضوحا فهو موضع شدة ومشقة"[4].

"وأما مادتي الجوع والسغب، فقد ورد الجوع في القرآن في خمسة مواضع منها [فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون][5]، فالجوع وارد في هذا السياق يؤيد كونه عذابا"[6].

وتعدد الألفاظ المتقاربة المعنى، والتي نسميها بالمترادفات تعتبر من مظاهر الثراء اللفظي الذي هو ميزة من أهم ميزات اللغة العربية، التي شرّفها الله بأن اختارها وعاء لمعاني أفضل كتبه المسطورة ألا وهو القرآن الكريم[7].

ويعتبر الجاحظ من أقدم من عَني بتفسير القرآن بالقرآن، فنجده يعقّب على تأويل أبي عبيدة معمر بن المثنى في قوله تعالى [وثمودا فما أبقى][8] في سورة النجم "أنّ ذلك إنما على الأكثر، وعلى الجمهور الأكبر" في حين يرى الجاحظ أنه تأويل

---

[1] –الشعراء: 173

[2] –الفرقان: 40.

[3] –النساء: 102.

[4] –د. سيد خضر –هل في القرآن مترادفات؟ –مجلة منار الإسلام –الإمارات العربية المتحدة –أبو ظبي – وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف –صفر 1420هـ/ مايو1999م –(98 ص –27 سم) –ع 2 –س25 –ص 19.

[5] –النحل: 112.

[6] –نفس المرجع –ع 2 –س 25 –ص 19.

[7] –د. عفيفي محمود عفيفي –أسرار بيولوجية في ألفاظ قرآنية –مجلة منار الإسلام –الإمارات العربية المتحدة –أبو ظبي –وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف –جمادى الأولى 1419هـ/ 1998م –(98ص–27سم) –ع 5 –س 24 –ص 12.

[8] –النجم:51.

بعيد عن الصواب، وقد هداه لذلك صريح قوله تعالى في هذا الاستفهام الذي يراد به النفي [فهل ترى لهم من باقية][1] على حين ورد النص الأول[2].

ثانيا – الرمّاني:[3]

يقرر الرافعي في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" أنّ أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف، إنما هو كتاب "إعجاز القرآن" لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفى سنة 306هـ وهو كتاب شرحه عبد القاهر الجرجاني شرحا كبيرا سماه "المعتضد"، وشرحا آخرا أصغر منه، ولا نظن الواسطي بنى إلا على ما ابتدأه الجاحظ، كما بنى عبد القاهر في "دلائل الإعجاز" على الواسطي، ثم وضع أبو عيسى الرماني المتوفى سنة 382هـ كتابه في الإعجاز[4]، وسماه "النُّكت في إعجاز القرآن" وأعطى فيه جوابا عن سؤال وُجِّه إليه، ولخص الجواب في ذكر وجوه الإعجاز وأنها تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجز، ويوجه المؤلف همه من هذه الجهات السبع إلى البلاغة ويقسمها إلى طبقات[5].

---

[1] –الحاقة: 08.

[2] –د/رابح دوب –البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري –مصر–القاهرة –دار الفجر –1997م –ط.1 – (568ص –24سم) –ص 484، 485 بتصرف.

[3] علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبوا الحسن ، المعروف بالرماني ، له تصانيف مشهورة تزيد على مائة كتاب منها : شرح كتاب سيبويه ، شرح الأصول لابن السراج ، شرح المقتضب للمبرد، الأسماء والصفات ، المبتدئ في النحو وغيره . – الموسوعة العربية العالمية ، مج 11 – ص 278

[2] –مصطفى صادق الرافعي –إعجاز القرآن والبلاغة النبوية –لبنان –بيروت –دار الكتاب العربي – 1410هـ/1990م –ط.8 –(350ص –24 سم) –ص 152 بتصرف.

[3] –ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي –ص 14 من المقدمة بتصرف.

كما يعرّف البلاغة تعريفا جيدا ينّم عن الذوق الجمالي الرفيع الذي يتمتع به الرماني فيقول عنها: "البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[1].

وعلى الرغم من أنّ الرمّاني سلك مسلكا مغايرا في الكتابة عن الإعجاز، فجعل الاستعارة والتجنيس وغيرهما مما كان يعرف بالبديع –جعل ذلك كله من أوجه الإعجاز، إلا أننا نجد أنّ له إشارات بديعة تحدث فيها عن الكلمة القرآنية، ففي حديثه عن الاستعارة وجدناه يفاضل بين الكلمات[2].

فعلى سبيل المثال: "قوله تعالى [عذاب يوم عقيم][3] وعقيم هاهنا مستعار وحقيقته هاهنا مُبير، والاستعارة أبلغ لأنه قد دل على أنّ ذلك اليوم لا خير بعده للمعذبين، فقيل يوم عقيم، أي لا ينتج خيرا، ومعنى الهلاك فيهما إلا أنا أحد الهالكين أعظم"[4]، "وقوله تعالى [وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم][5] العقيم مستعار للريح، وحقيقته ريح لا يأتي بها سحاب غيث، والاستعارة أبلغ لأنّ حال العقيم أظهر من حال الريح التي لا تأتي بمطر، لأنّ ما لا يقع من أجل حال منافية أوكد مما يقع من غير حال منافية وأظهر"[6].

ويرى أبو هلال العسكري في هاتين الآيتين نفس المعنى الذي رجع إليه الرمّاني فيقول: "فالعقيم التي لا تجيء بولد، والولد من أعظم النعم وأجسم الخيرات ولهذا قالت العرب شوهاء ولود خير من حسناء عقيم. فلما كان ذلك اليوم لم يأت بمنفعة حين جاء، ولم يبق خيرا حين مرّ سمّي عقيما. ويمكن أن يقال: إنما سمي عقيما لأنه لم يبق أحدا من القوم، كما أنّ العقيم لا يخلف نسلا، وسمي الريح عقيما

---

[4]–الرماني –النكت في إعجاز القرآن –ص 69.

[2] –د/ فضل حسن عباس –الكلمة القرآنية وعلماء البيان –مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية –س 2 –ع 4 – ص 31 بتصرف.

[3] –الحج: 55.

[4] –الرماني –النكت في إعجاز القرآن –ص 82.

[5] –الداريات: 41.

[6] –الرماني –النكث في إعجاز القرآن –ص 86.

لأنها لم تأت بمطر ينتفع به ويبقى له أثر من نبات وغيره، كما أنّ العقيم من النساء لا تأتي بولد يرجى. وفضل الاستعارة على الحقيقة (في هذا) أنّ حال العقيم (في هذا) أظهر قبحا من حال الريح التي لا تأتي بمطر لأن العقيم كانت عند العرب أكره وأشنع من ريح لا تأتي بمطر، لأنّ العادة في أكثر الرياح ألاّ تأتي بمطر، وليست العادة في النساء أن يكون أكثرهن عقيما"[1].

ولأبي هلال العسكري في قصص هلاك الأمم الكثير من الأمثلة التي ساقها في التدليل على بعض وجوه التشبيه وكذا الاستعارة، ونقتصر فقط على وجه واحد من التشبيه وهو إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة في قوله تعالى [إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر][2] فاجتمع الأمران في قلع الريح لهما وإهلاكهما، والتخوف من تعجيل العقوبة[3].

وبقي أن نشير إلى أنّ أبا هلال يرى أنّ الميزة البلاغية تكمن في اللفظ، وأنّ المعاني موجودة، فهي ملك لكل شاعر وكاتب، ويوافق الجاحظ في ذلك، على أنه لا يهمل المعاني فهو يرى أنّ صاحب البلاغة يحتاج إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ[4].

---

[1] –أبو هلال حسن بن عبد الله العسكري –كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر –تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم –عيسى البابي الحلبي وشركاه –د.م.ط –د.س.ط –ط.2 – (24سم) –ص 278، 279.

[2] –القمر: 20.

[3] –ثلاث رسائل في إعجاز القرآن –للرماني والخطابي والجرجاني –ص 157، 158.

[4] –الدكتورة عائشة حسين فريد –منهج البحث البلاغي –مصر –القاهرة –دار قباء –1977 –ط.1 –(145 ص –24 سم) –ص93 بتصرف.

5– أبوا سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، (319–388 هـ/931–998م) له تصانيف منها : شرح البخاري، معلم السنن في شرح سنن أبي داود وأعلام السنن في شرح البخاري، غريب الحديث، العزلة، إصلاح غلط المحدثين . –الموسوعة العربية العالمية –مج 10– ص . –دائرة معارف القرن العشرين – (804 ص– 24،5 سم) – مج 3– ص 720

ثالثا – الخطّابي:[1]

بيّن في رسالته "بيان إعجاز القرآن" وجوه الإعجاز مستعرضا آراء العلماء في الإعجاز؛ إذ لا نكاد نجد تباينا كبيرا بين مقالته من حيث التقسيم وبين مقالة كل من الباقلاني والرمّاني والزملكاني والسيوطي وغيرهم في ذلك.

غير أنّ الخطّابي أثبت أنّ من سبقه من العلماء من لم يستطع أن يحدد أو يصور الإعجاز، فقال في ذلك: "وزعم آخرون أنّ إعجازه من جهة البلاغة وهم الأكثرون من علماء أهل النظر، وفي كيفيتها يعرض لهم الإشكال، ويصعب عليهم منه الانفصال، ووجدت عامة أهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظن دون التحقيق له وإحاطة العلم به، ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة، قالوا إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم مباينة القرآن غيره من الكلام وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده، وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذي يقع منه التفاضل فتقع في نفوس العلماء به عند سماعه معرفة ذلك، ويتميز في أفهامهم قبيل الفاضل من المفضول منه"[2].

كما أنّ الخطّابي عقد فصولا خاصة مبينا شأن الكلمة ومفرقا بين الكلمة وضريعتها مما يظن أنهما متحدتان معنى، رادا على أولئك الذين يريدون النيل من كلمات الكتاب الخالد[3]. يقول في ذلك: "ثم اعلم أنّ عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أنّ في

---

[1] –إبراهيم الأبياري –تأريخ القرآن –مصر –القاهرة –دار الكتاب المصري –لبنان –بيروت –دار الكتاب اللبناني –1411هـ/1991م –ط.3 –(199 ص –24,5 سم) –ص 180 بتصرف.

[2] –أبو سليمان الخطابي –كتاب بيان إعجاز القرآن –ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن –ص 22، 23.

[3] –د. فضل حسن عباس –الكلمة القرآنية –مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية –س2 –ع4 –ص24 بتصرف.

الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكالنعت والصفة، وكقولك: اقعد واجلس، وبلى ونعم، وذلك وذاك، ومن وعن، ونحوهما من الأسماء والأفعال والحروف والصفات، والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك، لأنّ لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا يشتركان في بعضها"[1].

ونجد الخطّابي يتناول فصلا يستعرض فيه أهم المطاعن التي وُجِّهت للكلمات القرآنية رادا عليها بعد ذلك. فمن الأمثلة التي أوردها في هذا الشأن "كقوله تعالى [هلك عني سلطاني][2] وإنما يستعمل لفظ الهلاك في الأعيان والأشخاص كقوله: هلك زيد، وهلك مال عمرو ونحوهما، فأما الأمور التي هي معاني وليست بأعيان ولا أشخاص فلا يكادون يستعملونه فيها. ولو قال قائل: هلك عن فلان علمه أو هلك جاهه على معنى ذهب علمه وجاهه لكان مستقبحا غير مستحسن"[3] ويرد قائلا: "وأما قوله سبحانه [هلك عني سلطاني] وزعمهم أنّ الهلاك لا يستعمل إلا في تلف الأعيان فإنهم ما زادوا على أن عابوا أفصح الكلام وأبلغه، وقد تكون الاستعارة في بعض المواضع أبلغ من الحقيقة"، ثم بين الخطابي الفرق بين الذهاب والهلاك فيقول: "وذلك أنّ الذهاب قد يكون على مراصدة العود، وليس مع الهلاك بقيا ولا رجعى"[4].

ويرى الأستاذ سميح عاطف الزين[5] أنّ الهلاك على ثلاثة أوجه: افتقاد الشيء عنك وهو عند غيرك موجود كقوله تعالى [هلك عني سلطاني]، وهلاك الشيء باستحالة وفساد كقوله [ويهلك الحرث والنسل][6]، والثالث الموت كقوله [إن امرؤ

[1] –الخطابي –كتاب بيان إعجاز القرآن –ص 26.

[2] –الحاقة: 29.

[3] –الخطابي –كتاب بيان إعجاز القرآن –ص 35.

[4] –الخطابي –كتاب بيان إعجاز القرآن –ص 40.

[5] –سميح عاطف الزين –تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم –مجمع البيان الحديث –لبنان –بيروت –دار الكتاب اللبناني –مكتبة المدرسة –1404هـ/1984م –ط.2 –ص896، 897.

[6] –البقرة: 205.

هلك][1]، والرابع بطلان الشيء من العالم وعدمه رأسا وذلك المسمى فناءا، المشار إليه بقوله [كل شيء هالك إلا وجهه][2]، ويقال للعذاب والخوف والفقر: الهلاك وعلى هذا قوله [وكم أهلكنا من قرية][3].

رابعا –الباقلاّني: [4]

اختار الباقلاّني كغيره ممن سبقه من العلماء ومن عاصره الحديث عن أوجه الإعجاز والتفصيل فيها، ويقرر في كتابه "إعجاز القرآن" أنّ القرآن معجز بأسلوبه ونظمه البليغ وألفاظه وأثره في النفوس.

وهو مع هذا لم يسلك مسلك الخطابي من حيث التوسع في شرح مفهومات البلاغة وخصائص النظم والتأليف، بل شغل نفسه بمسائل كلامية عقلية هي غير قادرة على الوفاء بإيضاح معنى الإعجاز وأسراره على حد تعبير الأساتذة محمد كفافي وعبد الله الشريف.

وكتاب الباقلاني وإن كان فيه الجيد الكثير، وكان الرجل قد هذبه وصفاه وتصنع له، إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره ولم يتحاش وجها من التأليف لم يرضه من سواه، وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ "لم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى"، فإنّ مرجع الإعجاز فيه إلى الكلام، وإلى شيء من

---

[1] –النساء: 176.

[2] –القصص: 88.

[3] –القصص: 58.

3– أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (338–403 هـ/950–1013م) ، صنف تصانيف كثيرة في علم الكلام وغيره، وكان موصوفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، مؤلفاته كثيرة منها : شرح الإيبانة، شرح اللمع، الإمامة الكبرى والإمامة الصغرى، التبصرة بدقائق الحقائق، أمالي إجماع أهل المدينة.

– المقدمات في أصول الديانات ، إعجاز القرآن ... ، دائرة المعارف الإسلامية –604 ص –مج 6 –ص 106. دائرة معارف القرن العشرين – 800 ص –مج 2 –ص 285 ، موسوعة العربية العالمية– 482 ص – مج 4 – ص 104.

[4] –د.محمد عبد السلام كفافي، أ.عبد الله الشريف في علوم القرآن –دراسات ومحاضرات –لبنان –بيروت –دار النهضة العربية –1981 –د.ر.ط –(363ص –24 سم) –ص144 بتصرف.

المعارضة البيانية بين جنس وجنس من القول، ونوع وآخر من فنونه، وقد حشر إليه أمثلة من كل قبيل من النظم والنثر، ذهب بأكثره وغمرت جملته، وعدّها في محاسنه وهي من عيوبه[1].

وللباقلاّني رأي في الكلمة ودورها في التعبير، وهو يعتمد على اعتبار اللفظ جزءا من النظم يوجهه المعنى، وأداة للتعبير، لا ينظر إليه نظرة جزئية على ضوء البديع فيحكم عليه بالفصاحة، أو الابتذال أو بغير ذلك من الأحكام، وهو يقترب في رأيه هذا من آراء النقاد المحدثين في اللفظ فلا يهمه من اللفظ غير "دقة أداء المعاني" ولا يهتم بعد ذلك بالرونق والمظهر، مهما تغير أو تلون في صيغ وأشكال مختلفة[2]. يقول في هذا الشأن: "إنه قد علم أنّ تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة، والأسباب الدائرة بين الناس، أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعاني مبتكرة، وأسباب مؤسسة مستحدثة، فإذا برع اللفظ في المعنى البارع، كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر والأمر المتقرر المتصور"[3]. ثم يقول في موضع آخر موضحا هذا المعنى: "وهو أنّ الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما يبن شعر، فتأخذها الأسماع، وتتشوف إليها النفوس، ويرى وجه رونقها باديا غامرا سائر ما تقرن به، كالدرة التي ترى في سلك من خرز، وكالياقوتة في واسطة العقد. وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غرة جميعه، وواسطة عقده، والمنادى على نفسه بتميزه وتخصصه، برونقه وجماله، واعتراضه في حسنه ومائه"[4].

---

[5] –مصطفى صادق الرافعي –إعجاز القرآن والبلاغة النبوية –ص152.

[2] –الإمام أبو بكر الباقلاني –نكث الانتصار لنقل القرآن –كتب الدراسات القرآنية 1 –تح: د. محمد زغلول سند –مصر –الإسكندرية –منشأة المعارف –د.س.ط –د.ر.ط –(24 سم) –ص 41 بتصرف.

[3] –أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني –إعجاز القرآن –دخائر العرب 12 –تح: السيد أحمد صقر –مصر – القاهرة –دار المعارف –1963م –د.ر.ط –(393ص –24 سم) –ص 42.

[4] –الباقلاني –إعجاز القرآن –ص 42، 43.

ويعرض الباقلاني كمّا هائلا من الأمثلة من آيات القرآن ليبين فيها الإعجاز بالنظم والبلاغة، من حيث الانتقال من غرض إلى غرض، ومن موضوع إلى موضوع، ومن حيث الخلوص من شيء إلى شيء، فمن احتجاج إلى وعيد، ومن إعذار إلى إنذار ومن فنون من الأمر شتى مختلفة تختلف بشريف النظم ومتباعدة بعليّ الضم[1]، حتى يصل إلى قوله تعالى [كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار][2]، ويبدأ الباقلاني في التحليل بعد شدة إعجابه بالآية الكريمة وخاصة [وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه]، ويذكر أنّ أية كلمة مهما كانت لا تحل محل [ليأخذوه][3] فيقول: "وهل تقع في الحسن موقع قوله [ليأخذوه] كلمة؟ وهل تقوم مقامها في الجزالة لفظة؟ وهل يسد مسدها في الأصالة نكتة؟ لو وضع موضع ذلك "ليقتلوه" أو "ليرجموه" أو "لينفوه" أو"ليطردوه" أو "ليهلكوه" أو "ليذلوه" ونحو هذا ما كان ذلك بديعا ولا بارعا، ولا عجيبا ولا بالغا[4].

ويعقد الباقلاني مقارنة بين فنون البيان في القرآن الكريم وفي كلام العرب وينتهي إلى نتيجة يقصدها، وهي أنّ فنون البيان في القرآن الكريم أبلغ منها في كلام العرب أجمع... فالاستعارة في القرآن أبلغ، والتشبيهات في القرآن أبلغ، والتجانس في القرآن أبلغ.. الخ، ونحن نلاحظ تأثره هنا بما سبق أن قاله الرماني في هذا الموضوع، بل إن تعريفه للاستعارة هو عين تعريف الرمّاني وكلامه في التجانس لا يكاد يخرج عن نص عبارته[5].

---

[1] –د.رابح دوب –البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري –ص 548.

[2] –غافر: 5–6.

[3] –المرجع السابق –ص 548.

[4] –الإمام الباقلاني– إعجاز القرآن –ص 197.

[5] –د. رابح دوب –البلاغة عند المفسرين –ص 536.

المطلب الثاني: نظرية النظم وآراء العلماء

استطاع العرب كغيرهم ممن سبقهم من الهنود واليونان أن يقيموا لأنفسهم نظرية في النظم تعتمد على طبيعة العربية وإعرابها وما فيها من تنكير وتعريف، واشتقاق وجمود، ثم تنوع الجملة فيها إلى اسمية وفعلية، وجملة ذات وجهين وهي التي يكون خبرها جملة فعلية، ثم طبيعة الإسناد في العربية واعتماده على التقديم والتأخير وأثر ذلك في المعنى[1].

وبما أنّ القرآن الكريم يتميز بمشابهته للنصوص الأخرى من حيث تضمنه لموضوعات مختلفة وأغراض متباينة كالوعظ والقصص والإنذار والوعيد، وهو في هذا يمكن أن يشبه القصيدة من حيث بدأها بالنسيب أو الوصف وتضمنها للاعتذار أو الهجاء أو المديح أو الفخر، كما يتميز بخصيصة ثانية تميزه عن غيره من النصوص هي "النظم العجيب" أو "تأليف البديع" الذي لا يتفاوت ولا يختلف[2]، فإنّ فكرة النظم جعلت العلماء الأقدمين يصلونها مباشرة بفكرة الإعجاز وهو ما تناوله أكثر الأدباء والمفسرين وقد اخترنا مجموعة منهم للمثال لا للحصر.

ولعل أبرز لغوي اهتم بفكرة النظم وكانت جهوده عاملا كبيرا لبناء جهود غيره من العلماء والمفسرين كان عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن معرفة أسرار الإعجاز ممكنة، وأن دراسة البيان هي الوسيلة لهذه المعرفة[3].

ولا نشك في تقرير أنّ المعنى ومعنى المعنى أو بعبارة أكثر وضوحا المعنى الأول والمعنى الثاني كان غاية هذه النظرية[4]، وأنّ الزمخشري جاء ليطبق نظرية سابقه ثم أتى بعده فخر الدين الرازي ليلخص بلاغة الشيخين.

---

[1] –د. السيد أحمد خليل –دراسات في القرآن –ص 156، 162، 163 بتصرف.

[2] –د. نصر حامد أبو زيد –مفهوم النص دراسة في علوم القرآن –لبنان –بيروت –المركز الثقافي العربي – 1998م –ط.4 –(24 سم) –ص 149 بتصرف.

[3] –د. علي العماري –حول إعجاز القرآن –مجلة الأزهر –هدية مجلة الأزهر المجانية ––مصر –القاهرة – شوال 1419هـ – د ر ط – (83ص– 20سم) –ص 13.

[4] –د. السيد أحمد خليل –دراسات في القرآن –ص 163.

أولا –عبد القاهر الجرجاني:[1]

يقرّر الجرجاني بأنّ الكلمة ليست ذات شأن يذكر، وليس لها في قضية الإعجاز شأن[2]؛ فالكلمة عنده ليس لها في انفرادها إلا مزية الرقم الثابت أما المزية الحقة ففي اجتماعها مع غيرها في صورة بيانية[3].

ولقد قال عبد القاهر في هذا المعنى "وهل يقع في وهم وإن جُهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية أو أن تكون حروف هذه أخفّ، وامتزاجها أحسن، ومما يَكُدّ اللسان أَبْعَدَ، وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه: قلقة ونابية ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلِق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفقًا للتالية في مؤداها؟"[4].

وقد ألّف عبد القاهر الجرجاني كتابه "أسرار البلاغة" أولا ثم ألّف كتابه "دلائل الإعجاز" ثانيا والغاية التي يقصدها من أسرار البلاغة هي تحقيق أسرار المعاني، وأنّ ضروب البيان ترجع إلى ائتلاف المعنى، أكثر مما ترجع إلى سحر

---

[1] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد (400–471 هـ/1010–1078م) يعد كتابه دلائل الإعجاز قمة مؤلفاته، ومن مؤلفاته أيضا : المغني والمقتصد، الإيجاز، التكملة، التذكرة، المفتاح، العمدة في التصريف، الرسالة الشافية، كتاب شرح الفاتحة، الموسوعة العربية العالمية –مج 8 – ص 264

[3] –د. فضل حسن عباس –الكلمة القرآنية وعلماء البيان –مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية –س2 –ع4 – ص 34 بتصرف. وينظر: –د. محمد عباس –أدبية التفسير عند عبد القاهر الجرجاني –حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية الجزائر –وهران –جامعة وهران –1996م –(205 ص– 24 سم) – ع3 – ص 12.

[4] –محمد عبد الواحد حجازي –أثر القرآن الكريم في اللغة العربية –مصر الإسكندرية –دار الوفاء –1998م – د.ر.ط –(155ص –24سم) –ص 145.

[5] –الإمام عبد القاهر الجرجاني –دلائل الإعجاز –تحقيق د. محمد رضوان الداية، د. فايز الداية –د.م.ط –دار بن قتيبة –1403هـ/1983م –ط.1 –(466 ص –24 سم) –ص 39.

اللفظ، وأنّ المعنى هو الذي يتطلب كل شيء، والغاية التي يقصدها من دلائل الإعجاز هي إثبات أنّ المزية والبلاغة التي بها كان الإعجاز هي النظم لا في اللفظ والمعنى[1].

وبناءً على ما سبق فإنّ عبد القاهر يقرر في كتابه الأول أن الميزة البلاغية تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذا أُلّفت على ضرب خاص من التأليف وترتيب معلوم، وأنكر أن يكون للفظ مزية في ذاته[2]، ويقرر في كتابه الثاني أنّ الإعجاز يرجع إلى نظمه فقط، وهذا ما نجده مقررا كذلك في كتابه "الرسالة الشافية"، ويقول في هذا المعنى من كتابه الثاني عن "ماذا أعجز العرب؟: فخبرونا عنهم عن ماذا عجزوا؟ أعن معاني في دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟ فإن قلتم عن الألفاظ فماذا أعجزهم من اللفظ أم ما بهرهم منه؟ فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانه، ولفظة ينكر شأنها أو يرى أنّ غيرها أصلح هناك، أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور ونظاما والتئاما وإتقانا وإحكاما. لم يدع في نفس بليغ منهم ولو حكى بيافوخه السماء موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدّعي وتقول وخلدت القُروم فلم تملك أن تصول"[3].

وفي رأي كثير من الباحثين أنّ عبد القاهر قد وضع بكتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" نظرية النظم العربي التي لا تزال إلى حد كبير تسيطر على

---

[1] –د.محمود السيد شيخون –البلاغة الوافية –مصر–القاهرة –مكتبة الكليات الأزهرية –1988م–د.ر.ط–ص15

[2] –الإمام عبد القاهر الجرجاني –أسرار البلاغة في علم البيان –تح: السيد محمد رشيد رضا، الشيخ أسامة صلاح الدين منيمنة–لبنان –بيروت –دار إحياء العلوم –1412هـ/1992م –ط.1 –(518ص–24سم) –ص10.

[3] –الإمام عبد القاهر الجرجاني –دلائل الإعجاز –ص 36، 37.

التفكير البلاغي عند كثير من المعاصرين، فقد فسّر نظرية النظم وخصوصا في كتابه دلائل الإعجاز تفسيرا يردها فيه إلى فكرة المعاني الثانية أو إلى المعاني الإضافية التي تلتمس في ترتيب الكلام وهي فكرة كانت جديدة في ذلك الوقت. وقد يقال أنّ هناك ملاحظات ومصطلحات مما ذكر تناثرت في أعمال من سبقوه، غير أنّ هذا ينبغي أن لا يضللنا فنغمطه حقه ونزعم بأنه إنما جمع ملاحظات سابقيه، فالحق أنه ابتكر هذه النظرية، وتبعه من بعده من سار على خطاه[1].

ونرى الجرجاني يفصّل في الحديث عن النظم فيفرق بين نظم الحروف والكلمات فيقول: "إنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحرّاه. وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم تعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق. وكذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها ببعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح[2].

ثم يقرّر أنّ المعاني هي الأساس الذي يجب أن يراعى عند نظم الكلام، ثم تأتي الألفاظ لتستوعب هذه المعاني[3]. وفي هذا يقول: "لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني، وتعمل الفكر هناك فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم

[1] –د. عفت الشرقاوي –بلاغة العطف في القرآن الكريم –دراسة أسلوبية –ص 20–21. وينظر: د. جودة محمد المهدي –الواحدي ومنهجه في التفسير –مصر –القاهرة –وزارة الأوقاف –المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية –لجنة التعريف بالإسلام –ص 43.

[2] –الإمام عبد القاهر الجرجاني –دلائل الإعجاز –ص 42، 43.

[3] –د. محمود السيد شيخون –الإعجاز في نظم القرآن – مصر –القاهرة –مكتبة الكليات الأزهرية –1398 هـ/1978م –ط.1 –(121ص –24 سم) –ص 38.

تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها ولاحقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[1].

وفي كتاب "الرسالة الشافية" أثبت عبد القاهر حقيقة الإعجاز عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن، وفي هذا يقرّر أنّ العبرة بعجز العرب المعاصرين للرسول » دون المتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمانه، وعلى هذا الأصل ينتقل عبد القاهر إلى النظر في دلائل أحوال العرب وأقوالهم حين تُلي عليهم القرآن وتحدوا إليه؛ أما الأحوال فدلالتها من حيث كان المتعارف من عادات الناس أن لا يسلموا لخصومهم الفضيلة وهم يجدون سبيلا إلى دفعها، وأما الأقوال فكثيرة يروي منها حديث ابن المغيرة، وحديث عتبة بن الربيعة، وحديث أبي. وينتهي من هذا إلى القول بأنه على أساس دلالة الأحوال والأقوال وجب القطع بأنّ القرآن معجز ناقد للعادة، وأنه في معنى قلب العصا حية وإحياء الموتى في ظهور الحجة على الخلق كافة[2]، يقول في هذا الكتاب: "فإن قلت فكيف الكلام عليهم إذا ذهبوا في الصرفة إلى الوجه الآخر فزعموا أنّ التحدي كان أن يأتوا في أنفس معاني القرآن بمثل نظمه ولفظه وما الذي دل على فساده؟ فإنّ على فساد ذلك أدلة منها قوله تعالى [أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات][3] وذاك أنّا لا نعلم أنّ المعنى: فأتوا بعشر سور تفترونها أنتم، وإذا كان المعنى على ذلك فبنا أن ننظر في الافتراء إذا وصف به الكلام، إلى المعنى يرجع أم إلى اللفظ والنظم، وقد عرفنا أنه لا يرجع إلا إلى المعنى، وإذا لم يرجع إلا إلى المعنى كان المراد إن كنتم تزعمون أني قد وضعت القرآن وافتريته، وجئت به من عند نفسي، ثم زعمت أنه وحي من الله فضعوا أنتم أيضا عشر سور وافتروا معانيها كما زعمتم أني افتريت معاني القرآن، فإذا كان المراد كذلك كان تقديرهم أنّ التحدّي كان أن يعمدوا إلى أنفس معاني القرآن فيغيروا

[1] –الإمام عبد القاهر الجرجاني –دلائل الإعجاز –ص 45.

[2] –ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، المقدمة –ص 15، 16.

[3] –هود: 11.

عنها بلفظ ونظم يشبه نظمه ولفظه، خروجا عن نص التنزيل وتحريفا له. وذاك أن حق اللفظ إذا كان المعنى ما قالوه أن يقالوا إن زعمتم أني افتريته فأتوا أنتم في معاني هذا المفترى بمثل ما ترون من اللفظ والنظم"[1].

ومع مجمل ما أوردناه من كلام عبد القاهر في هذه النظرية، تبقى نظرية الإمام الجرجاني مركز اهتمام الباحثين والنقاد في القرون السابقة؛ (كما أصبحت مركز اهتمام الباحثين والنقاد في العقود الأخيرة، ويكفي البرهنة على ذلك أن نحصي العدد الهائل من الرسائل الجامعية والمؤلفات والأبحاث التي تطالعنا بها الجامعات في هذا الموضوع، ويكفي أن ننظر في كل الأبحاث المتعلقة بالنقد واللسانيات المعاصرة لننظر كيف يفرض الإمام نفسه خلفية ومرجعية لا تتجاوز، ومما يلفت الاهتمام ويكثر التساؤل ويبين أنّ للمناهج النقدية دخلا في اكتشاف منهج عبد القاهر النقدي، قلت: مما يبرهن على ذلك أنّ علماء العربية وأدبائها حتى أوائل هذا القرن لم يفهموا دلائل الإعجاز على أنه كتاب يتضمن كثيرا من المنابع المعرفية التي ينهل منها النقاد واللسانيون، فلقد هاجم أمين الخولي الكتاب ورأى أنه يبحث قضية كلامية بحتة. يقول: وهذه القضية التي يبتدأ فيها ويعيد والتي دفعه إلحاحه فيها وطول معاودتها إلى أن يفسد ترتيب الكتاب فلا يفرغ فيه من مسألة النظم وقول فيها إلا عدت فرأيتها في مكان آخر إلى أن يقول هذه القضية في النظم على ما يرجح عندي قضية كلامية)[2].

وبناء على ما سبق فالرجل قد أجهد نفسه بل ربما أحدث لبعض قرائه ملالا وسآمة، وهو يدور حول هذا المعنى، بل لقد أصبح ذلك جزءا من نظريته، وهي أنه تقوم على النظم وحده، دون أن يكون للكلمات المفردة شأن في تزيين ذلك النظم. يقول الدكتور محمد مندور "فرّع عبد القاهر كل آرائه، وجماعها مسألتان: إحداهما:

---

[1] –الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن –ص 136، 137.

[2] –أ.د. بكري عبد الكريم –أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث –مجلة الحضارة الإسلامية –عدد خاص بالملتقى الدولي "الإسلام والدراسات المستقبلية" –رمضان 1420هـ/ ديسمبر 1999م –ع 6 –(548ص –24سم) –ص 31، 32.

إنكاره لما رآه الجاحظ من أهمية فصاحة الألفاظ، باعتبار تلك الفصاحة صفة في اللفظ ذاته، ثم ثورته على المذهب العسكري الذي يردّ جودة الكلام إلى محسنات لفظية تقف عند الشكل. ثانيتها: تعليقه جودة الكلام بخصائص في النظم[1].

وبالتالي، فالجرجاني يهمل اختيار اللفظ كما يهمل الفاصلة، أن يكون لهم في الإعجاز شأن وفي التحدي شأو[2]، والدارس يلمح ذلك بتحليله لبعض النصوص القرآنية؛ فهو حينما يتكلم عن قوله تعالى [وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي][3]، يقول: "فتجلى لك من الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة؟ وهكذا، إلى أن تستقرها إلى آخرها، وأنّ الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها. إن شككت فتأمل ! هلا ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟ قل "إبلعي" واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. ويف بالشك في ذلك ومعلوم أنّ مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت، ثم في أن كان النداء بـ"يا" دون "أيَّ" نحو يا أيتها الأرض، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: ابلعي الماء، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل وغيض الماء "فجاء الفعل على صيغة" "فُعِلَ" الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر، وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى [وقُضي الأمر] ثم ذكر ما هو فائدة الأمور وهو [استوت على الجودي] ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة بـ"قيل" في الفاتحة"[4].

---

[1] –د. فضل حسن عباس –الكلمة القرآنية وعلماء البيان –مجلة الشريعة –ع 2 –س 4 –ص 36 بتصرف.

[2] –ينظر د. كفافي، أ. الشريف –في علوم القرآن دراسات ومحاضرات –ص 218.

[3] –هود: 44.

[4] –الإمام عبد القاهر الجرجاني –دلائل الإعجاز –ص 39–40.

ففي تحليل عبد القاهر لهذه الآية الكريمة نراه يحدثنا عن النظم فحسب، عن نداء الأرض والسماء، وعن بناء الأفعال في الآية الكريمة للمجهول، إلى غير ذلك مما لا دخل فيه للكلمات، فليس هناك مزية إذن لاختيار هذه الكلمات: ابلعي، أقلعي، غيض، استوت، بعدا. لو أنها أبدلت بغيرها مع بقاء النظم على حالة، لبقي أمر الإعجاز على ما هو عليه[1].

ومن النماذج التطبيقية للصور البيانية التي جاءت في كتابه أسرار البلاغة ما يلي: قوله تعالى [ومزقناهم كل ممزّق][2] يعد استعارة من حيث أنّ التمزيق للثوب في أصل اللغة(يعني تفريق الأجزاء المتناسقة عن بعضها البعض ،كتمزيق الثوب إلى أجزاء متفرقة) [3] إلا أنه على ذلك راجع إلى الحقيقة من حيث أنه تفريق على كل حال، وليس يحسن غيره، إلا أنهم خصوا ما كان مثل الثوب بالتمزيق كما خصوه بالخرق، وإلا فأنت تعلم أنّ تمزيق الثوب تفريق بعضه من بعض[4].

لقد حاول عبد القاهر أن يظهر روعة في استعمال الصورة البيانية، كالاستعارة والمجاز مع أنها ليست من النظم، وكان يمكنه أن يصنع الصنيع نفسه في اختيار الكلمات والفواصل، وهذا ما يؤكده محمد رجب البيومي في حديثه عن عبد القاهر، وتعويله على الإسناد وحده دون الكلمات: "وما نقوله في ذلك –أي في اختيار الألفاظ– نقوله في المقاطع والفواصل وإن شئت فانظر مثلا إلى قول الله عزّ وجلّ[5] [ذرني ومن خلقت وحيدا، وجعلت له مالا "مبسوطا" وبنين "حاضرين" ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن "أكثر"]، فإنك إذا فعلت ذلك، لم تخرج عن قضية النظم النحوي كما عناه عبد القاهر. ولكنك تغفل أثر المقطع والفاصلة، فتهبط بالكلام من

---

[1] –د. فضل عباس –الكلمة القرآنية –مجلة الشريعة –ص 36 بتصرف.

[2] – سبأ: 19.

[3] –سميح عاطف الزين ، الأمثال والمِثل والتمثّل والمُثُلات في القرآن الكريم –مجمع البيان الحديث –لبنان – بيروت –دار الكتاب اللبناني–1407هـ /1978م –ط.1 –(672ص –24 سم) –ص18.

[4] –الإمام عبد القاهر الجرجاني –أسرار البلاغة في علم البيان –ص78–79. وينظر سميح عاطف الزين – الأمثال والمِثل والتمثّل والمُثُلات في القرآن الكريم – ص18.

[5] – المدثر: 11.

مستوى إلى مستوى وذلك ما كان ينبغي أن يلتفت إليه هذا الدارس الحصيف، وما أحراه أن يدخل في اختيار اللفظ وجمال المقطع وترتيب النظم بحيلة فكرية، كما أدخل الاستعارة فيريح"[1].

ثانيا –الزمخشري:[2]

عاشت نظرية النظم في بيئة المفسرين المتأدبين على الرغم مما أملته عليهم ميولاتهم لمذهب أو اتجاه اعتقادي خاص، وهذا ما وجدناه عند الزمخشري[3]، الذي يصنّفه بعض

العلماء من مثلي مدرسة التفسير العقلي[4].

لقد عرف الزمخشري بحرصه الشديد على الانتصار لهذه النظرية التي طبقها تطبيقا عمليا على جميع السور القرآنية موضحا أسرار النظم القرآني ولطائفه الدقيقة[5]. ولقد كان أول من طبق رأي عبد القاهر الجرجاني في إعجاز القرآن الجمالي[6] تطبيقا يشهد له بالبراعة، وعرض للأسلوب من وجهة نظر الجرجاني، من من حيث الاهتمام بطرق التعبير وعلاقات النظم وصلات الألفاظ، نافذا إلى استكمال كثير من شعب المعاني الإضافية وهو يَرُوعنا بتحليلاته وملكاته العقلية، وحذقه

---

[3] –د. فضل عباس –الكلمة القرآنية –مجلة الشريعة –ص 37 بتصرف.

[2] هو أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله (467– 538هـ/1074– 1143م) ألف تصانيف عديدة في صنوف المعرفة المختلفة منها كتاب الفائق في تفسير الحديث ، ونصوص الأخبار وتشابه أسامي الرواة، ومعجم الحدود، والمنهاج في الأصول. دائرة معارف القرن العشرين –مج 4 – ص142. – الموسوعة العربية العالمية –مج 11 – ص 605 ، 606 .

[3] –د. السيد أحمد خليل –دراسات في القرآن –ص 164 بتصرف.

[4] ينظر: أ.د.محمد إبراهيم الفيومي–المنهج الأدبي والتفسير النقلي –مجلة الأزهر –مصر– القاهرة –مجمع البحوث الإسلامية –جمادى الآخرة 1420هـ/سبتمبر أكتوبر 1999م –(960ص–27سم) –ج6 –س72 – ص850.

[5] –د.عائشة فريد –منهج البحث البلاغي –ص 110 بتصرف.

[6] –د. الشحات السيد زغلول –من مناهج التفسير –مصر –الإسكندرية –دار المعرفة الجامعية –1996م – د.ر.ط –(252ص –24 سم) –ص 137 بتصرف.

بأساليب العربية وأسرارها وخصائصها المعنوية والبيانية بما أوتي من الفطنة ودقة الحس ورهافة الشعور، ولا أبعد عن الصواب إذا قلت: إنّ عناية الزمخشري بهذا الجانب قد فاقت عناية عبد القاهر فكانت أتم وأوسع، فهو إن فسّر أديب ذواقة للمعنى وجماله، وللأسلوب وحلاوته، وإن عرض للنحو لا يعرضه قواعد جافة وإنما يعرضه عرضا من يقدّر الجمال معنى ولفظا، وإن تصدى لقراءة ورجحّها على غيرها، فإنها تحفظ على الأسلوب القرآني سلاسة ألفاظه وعذوبة معانيه. يقول الدكتور محمد أبو موسى في كتابه البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص5: "وإذا كان الزمخشري قد طبق كثيرا مما قرره عبد القاهر الجرجاني قد أضاف أصولا بلاغية هامة لم يعرض لها عبد القاهر ونمىّ كثيرا من المسائل[1].

لقد كان الرجل خير من توسع في تطبيق هذه النظرية في تفسيره، فأعطاها شيئا من حيوية التذوق اللغوي كما أضاف إلى معالمها كثيرا من التفاصيل التي تدل على تعمقه في هذا الفن، وفي كتابه المشهور "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" يجد القارئ الآثار التطبيقية لنظرية عبد القاهر واضحة جلية في استقصاء دقيق، وهو ينبه من جانبه مرة أخرى إلى مكانة علوم البيان في تفسير الإعجاز وهو ما نجده في الكشاف، الذي من خلاله استطاع أن يقدم صورة جيدة لتفسير القرآن تفسيرا بيانيا، إذا قيست بما كان سائدا آنذاك من كتب التفسير ومناهجها، وذلك على الرغم من ميوله الاعتزالية، وأعانه على ذلك ذوقه الأدبي المرهف الذي يقيس الجمال البلاغي قياسا دقيقا، وهو بهذا التطبيق الواسع العميق، يفوق عبد القاهر صاحب النظرية ومبتدعها الأول، ويحظى بإعجاب علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم وفرقهم، وربما رجع إليه الفضل في مزيد من الربط المفصل بين قضايا الإعجاز وفكرة النظم[2]، كما يرجع إليه الفضل أيضا في الأثر الذي تركه الكشاف بين المفسرين وبين مواطنيه من المشارقة ما هو واضح بين؛ أما أثره بين

[1] –د. محمود جمعة أمين –الفكر الأدبي في كشاف الزمخشري –مجلة الأزهر –شوال 1413هـ/أبريل 1993م –(1648ص –27سم) –ج10 –س 65 –القسم الثاني –ص 1612.

[2] –د. عفت الشرقاوي –بلاغة العطف في القرآن الكريم –ص 35–37 بتصرف.

المفسرين، فإنّ كل من جاء بعده منهم –حتى من أهل السنة– استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة كانوا لا يلتفتون إليها لولاه، فأوردوا في تفسيرهم ما ساقه الزمخشري من ضروب الاستعارات، والمجازات، والأشكال البلاغية الأخرى، واعتمدوا ما نبه عليه من نكات بلاغية تكشف عمّا دقّ من براعة نظم القرآن وحسن أسلوبه، وأما أثره بين مواطنيه من المشارقة، فإنهم أخذوا عنه هذا الفن البلاغي وبرعوا فيه، حتى سبقوا من عاداهم من المغاربة[1]، يقول ابن خلدون في هذا الشأن: ".. وبالجملة، فالمشارقة على هذا الفن أقوم من المغاربة. وسببه –والله أعلم– أنه كمالي في العلوم اللسانية، والصنائع الكمالية توجد في العمران، والمشرق أوفر عمرانا من المغرب – كما ذكرنا– أو نقول لعناية العجم –وهم من معظم أهل المشرق– بتفسير الزمخشري وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله"[2].

والزمخشري –وإن ذكر علمي المعاني والبيان– ليس هو أول من ابتدع تقسيم علوم البلاغة إلى معاني وبيان وبديع، لأننا وجدناه لم يلتزم بهذا الفصل في تفسيره وبيانه للأوجه البلاغية في كثير من آيات القرآن الكريم، بل كان أحيانا يذكر ألوانا هي من صميم البيان ثم يعقب عليها بقوله "وهذا من الصنعة البديعية"[3]، ومن الأمثلة التي ساق فيها كلمتي علم المعاني والبيان قوله "ثم إنّ أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق مسلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه، وإجالة النظر فيه كل ذي علم، كما ذكر الجاحظ في كتاب: "نظم القرآن" فالفقيه، وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم، وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص

---

[1] –د. محمد حسين الذهبي –التفسير والمفسرون –مصر –القاهرة –دار أم القرى –مكتبة وهبة – 1409هـ/1988م –ط.4 –(463ص –24 سم) –ج1 –ص 416، 417.

–وينظر د. محمد إبراهيم الفيومي –تفسير الزمخشري إمام مدرسة التفسير بالرأي –مجلة الأزهر –ربيع الأول 1420هـ/ يوليو 1999م –(480ص –27سم) –ج3 –س 72 –ص 366.

[2] –العلامة ابن خلدون –المقدمة –ص159.

[3] –د. عائشة فريد –منهج البحث البلاغي –ص 110–111. وينظر: د.عبد الفتاح أحمد لاشين –البديع في ضوء أساليب القرآن – مصر القاهرة – دار الفكر العربي – أميرة للطباعة – 1419هـ/ 1999م – ص 14.

والأخبار، وإن كان من "ابن القريّة" أحفظ، والواعظ، وإن كان من "الحسن البصري" أوعظ، والنحوي، وإن كان أنحى من "سيبويه"، واللغوي، وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني، وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانّهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله"[1].

وقد ألّف الزمخشري كتابا آخر أسماه "أساس البلاغة" ويبدو فيه جاحظي المذهب من حيث التمرّس بالنصوص العالية والاستهداء ببلاغة المجاز، من دون البحث في: القواعد والقوانين التي تكفل ذلك، مع الاهتمام بصفات الألفاظ والمعاني، ووجوب مطابقة الكلام لسامعيه، ليكون فيه فصل الخطاب، والأخذ بالألباب[2]، ويوضّح في هذا الكتاب حين يقول: "ومن خصائص هذا الكتاب تخيّر ما وقع في عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المُفْلِقِين، أو ما جاز وقوعه فيها، وانطواؤه تحتها، من التراكيب التي تملح وتحسن، ولا تنقبض عنها الألسن، لجريها رَسْلات على الأسَلات، ومرورها عذْبات على العَذَبات: ومنها التوقيف على مناهج التركيب والتأليف، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف بسوق الكلمات متناسقة، لا مُرسَلة بددا، ومتناظمة لا طرائق قِددا، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية إلى مراشد حُرِّ المنطِق، الدالة على ضالة المِنطيق المُفلِق، ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب، والكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة، والكناية عن التصريح"[3]. ثم يأتي بعد ذلك في كلامه الإشارة إلى فكرة النظم التي وضعها عبد القاهر بمعناها

[1] –أبو القاسم جار الله الزمخشري –الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل –ويليه الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لأحمد بن حجر العسقلاني –لبنان –بيروت –دار المعرفة –د.س.ط –د.ر.ط –(375ص –28سم) –ج.1 –ص 17.

[2] –د. الشرقاوي –بلاغة العطف في القرآن الكريم –ص 39 بتصرف.

[3] –الإمام الزمخشري –أساس البلاغة –تح: أ. عبد الرحيم محمود –لبنان –بيروت –دار المعرفة –د.س.ط – د.ر.ط –(514ص –24 سم) –ص ك، ل من المقدمة.

النحوي والبياني، ولكن في المرتبة الثانية[1]، فيقول في نفس الكتاب: "فمن حصّل هذه الخصائص، وكان له حظ من الإعراب الذي هو ميزان أوضاع العربية ومقياسها، ومعيار المواضع وقسطاسها، وأصاب ذروا من علم المعاني، وحظي برش من علم البيان، وكانت له قبل ذلك كله قريحة صحيحة، وسليقة سليمة فحل نثره، وجزُل شِعره، ولم يطل عليه أن يناهز المقدمين، ويخاطر المُقرَمين"[2].

وقد استدرك العلاّمة ابن حجر العسقلاني على "الأساس" بما رأى أنه صواب في رأيه، وألّف في ذلك "غراس الأساس" الذي قام الباحث توفيق محمد شاهين بتحقيقه وتقديمه للطبع سنة 1408 هـ، وذكر فيه أنّ لأساس البلاغة ميزات منها: تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة، والكتابة عن التصريح، كما ذكر الإمام الزمخشري في مقدمة كتابه هذا كما أنّ من ميزاته التمكن من اجتناب الإسهاب، وارتكاب الإيجاز، كما قال العلاّمة في مقدمة كتابه " غراس الأساس " تقريظا لأساس البلاغة للزمخشري : وكتاب الغراس لابن حجر استدراك على "أساس البلاغة" في أدب العلماء واعتراف للسابق بالفضل والسبق، بغية الفائدة، والنقد البناء، لا للفخر والمباهاة، كما يفعل هواة الفخر والتجريح. فقال: "ما أذكره في هذا المختصر "غراس الأساس" هو ما جرى في الاستعمال المجازي.. وما سكت عنه فهو من الحقيقة، وإن عده "الأساس" من المجاز[3].

ومن الأمثلة التي توضّح انتفاع الزمخشري بعلم البيان استدلالاته عن الآيات القرآنية نختار نموذجين: النموذج الأول من أساس البلاغة: نختار كلمة السياحة التي أعقب فيها ابن باديس على بعض المفسرين حين قالوا أنّ السائحين والسائحات بمعنى الصائمين والصائمات فقال: "الحق أنّ السائحين هم الرحالون والرواد للاطلاع والاكتشاف والاعتبار، والقرآن الذي يحث على السير في الأرض والنظر

[1] –د. الشرقاوي –بلاغة العطف في القرآن –ص 39–40.

[2] –الإمام الزمخشري –أساس البلاغة –ص ل من المقدمة.

[3] –د. توفيق محمد شاهين –أساس البلاغة للإمام الزمخشري رحمه الله –مجلة الأزهر –صفر 1413هـ/ أغسطس 1992م –(288ص –27سم) –ج2 –س 65 –ص 235.

في أثر الأمم الخالية، حقيق بأن يحشر السائحين في زمرة العابدين والحامدين والراكعين والساجدين، فربما كانت فائدة السياحة أتم وأعم من فائدة بعض الركوع والسجود"[1]؛ يقول الزمخشري "ساح الماء على وجه الأرض سيحا ومن المجاز ساح الرجل في الأرض سياحة، ورجل سائح وسيّاح [فسيحوا في الأرض][2] وشبّه الصائم به فقيل له سائح"[3].

النموذج الثاني من الكشاف: علّق على قوله تعالى [فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليمّ ما غشيهم][4] فقال: "[ما غشيهم] من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله وقرئ [فغشاهم من اليمّ ما غشّاهم] والتغشية التغطية وفاعل غشاهم إما الله سبحانه أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورّط جنوده وتسبّب لهلاكهم"[5] ومن هنا نرى أنّ الزمخشري أولى عنايته إلى "اللفظ" بالقدر الذي أولاه إلى "المعنى" فنظر إلى "المفردة القرآنية" مبينا قيمتها في موضعها إيمانا منه بأنّ دراسة المفردات من أوجب ما يجب على دارس الأدب بصفة عامة، ودارس القرآن الكريم ومفسّر نصوصه بصفة خاصة، لأنها مفتاح النص وزمام ما فيه من دقيق المعاني وخفي الإشارات[6].

كما يجعل الزمخشري للعقل دورا مهما في عملية الإيمان ومصدر أساسي للمعارف الدينية، ومعيار تفهم به الحقيقة الدينية، فهو يتبنى منهج التحسين والتقبيح

---

[1] –الإمام ابن باديس –مجالس التذكير –ص 513.

والآية هي [التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون] الآية 112 من سورة التوبة.

[2] –التوبة: 2.

[3] –الإمام الزمخشري –أساس البلاغة –ص 226.

[4] –طه: 78.

[5] –الإمام الزمخشري –الكشاف –ج.2 –ص 442.

[6] –د.محمود جمعة أمين –الفكر الأدبي في كشاف الزمخشري –مجلة الأزهر —ذو الحجة 1413هـ/ يونيه 1993م –(1984ص –27سم) –ج12 –س 65 –القسم 4–ص 1925.

العقليان اللذين قال بهما المعتزلة؛ لأنهم ينقادون هم بدورهم إلى مجرد العقل[1]، بل يجعلون الأنبياء أنفسهم يقيمون الحجة على صدق رسالتهم الإلهية بأنهم أرسلوا من الله للنظر في أدلة العقل والاستدلال[2]. وهذا معنى الآية التي جاء بها الرسول »[وجئتكم بآية من ربكم][3] فالله سبحانه يبعث الرسل إلى الكافرين منبهين من الغفلة وباعثين على النظر، ويضيف الزمخشري إلى هذا المعنى –بمناسبة الآية 165 من سورة النساء[4]– أنّ ذلك كما ترى عند علماء أهل العدل والتوحيد (أي المعتزلة)، فالرسل يتممون فقط عمل العقل الذي يجب أن يؤديه أيضا قبل ظهورهم[5].

ثالثا –فخر الدين الرازي:[6]

إنّ من يراجع قائمة مؤلفات الرازي، التي ناهزت المائة وعشرين مؤلفا يستطيع أن يتمثل مدى اتساع معارفه، ومدى تنوع العلوم التي مهر فيها.ولعل السبب في اتساع معارف الرازي يرجع إلى اتساع اطلاعه ، وكذا معاصرته لعدد كبير من العلماء والمفكرين أمثال : ابن رشد ، وابن الطفيل ، ومحي الدين بن عربي الصوفي ، عبد القادر الجيلاني ، وسلطان العلماء عز الدين عبد السلام وغيرهم كثير.[7]

---

[1] –ينظر: د. عز الدين إسماعيل –نصوص قرآنية في النفس الإنسانية – لبنان – بيروت – دار النهضة العربية – 1975 م – د. ر. ط –(230 ص– 24 سم) – ص 88.

[2] –أ.د.محمد إبراهيم الفيومي –تفسير الزمخشري إمام مدرسة التفسير بالرأي –مجلة الأزهر –ج.3 –س 72 –ص 368 بتصرف.

[3] –آل عمران: 50.

[4] –[رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما].

[5] –د. فيومي –تفسير الزمخشري إمام مدرسة التفسير بالرأي –مجلة الأزهر –ج3 –س 72 –ص 368.

[6] – فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، (544–606هـ/1150–1210م) كان عالما في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وغيرها أبرز مؤلفاته: تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، وكتاب لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، وشرح كتاب المفضل للزمخشري في النحو، وإبطال القياس، والفراسة. دائرة معارف القرن العشرين –مج 4 –ص 142، الموسوعة العربية العالمية –مج 11 – ص 59.

2– أ . يوسف تيتوح – الإمام فخر الدين الرازي متكلما – مجلة الموافقات – ع 3 – ص 158 .

ويذكر بعض الباحثين أنّ استيعابه الموسوعي للثقافة الإسلامية، بمرتكزاتها اللغوية والفقهية والكلامية قد أعطاه هذا التبحر الفكري الذي بدت معه المقاربة التأويلية على حظ من الحياة والموضوعية، قليلا ما تجنح نحو السجال التجريبي[1].

ولعل أبرز من قام بتلخيص نظرية عبد القاهر والزمخشري هو فخر الدين الرازي، الذي وضع بلاغة الشيخين في وسط أبواب وفصول وتقسيمات وتفريعات في كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز".[2]

فقد استهلّ الرازي الكتاب بالثناء على علم البيان خاصة ثم نوه بالشيخ عبد القاهر وكتابيه الدلائل والأسرار وأشاد به في استنباط أصول علم البيان، لكنه يرى أن الشيخ عبد القاهر أهمل رعاية ترتيب الأصول والأبواب، وأطنب في الكلام كل الإطناب، فواضح أنّ الكتاب اختصار لما كتبه الشيخ عبد القاهر في صورة تنضبط فيها القواعد البلاغية، وتنحصر فروعها وأقسامها حصرا دقيقا، وقد رتب كتابه على مقدمة وجملتين [3].

ومن الطريف في كتاب الرازي ما أورده من عرض لهذه القضية ومناقشة مخالفيه، وحيثما نمعن النظر فيما كتب نجد أنّ الرجل لم يأل جهدا أن يقيم الحجج مفيدا من كل ما قرره علماء المنطق والفلسفة والكلام، حتى جاء على شبه مخالفيه –كما يقول– فردّها واحدة واحدة، ردا يدل على بضاعة غير مزجاة في قضايا المنطق والفلسفة[4].

كما أنّ الرازي لم يقتصر على ما كتبه عبد القاهر والزمخشري، بل امتدت يده إلى آخرين أمثال علي بن عيسى الرّماني الذي راح يناقشه في بعض ما كتب،

---

[1] – د . عشراتي سليمان – التدليلية في التفسير الكبير للفخر الرازي – مجلة الحضارة الإسلامية – الجزائر– وهران– المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية – رجب 1418هـ/ نوفمبر 1997م –(271 ص– 24 سم) –ع 3 –ص 112.

[2] – د. عائشة فريد – منهج البحث البلاغي – ص 112 ، 113 بتصرف

[3] –نفس المرجع –ص 112.

[4] – د . فضل حسن عباس – الكلمة القرآنية – مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية –س 2 –ع 4 –ص 39 بتصرف.

يقول في كتابه نهاية الإيجاز ص81: (قال علي بن عيسى: الاستعارة استعمال العبارة لغير ما وضعت له في أصل اللغة). وهذا باطل من وجوه أربعة: الأول أنه يلزم أن يكون كل مجاز لغوي استعارة وقد أبطلناه. والثاني يلزم أن يكون الأعلام المنقولة من باب المجاز. والثالث استعمال اللفظ في غير معناه للجهل بذلك يجب أن يكون مجازا. والرابع أنه لا يتناول الاستعارة التخييلية. والأقرب أن يقال: الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه[1].

ونراه يعلن في فاتحة كتابه أنه سيعنى بتنظيم ماصنعه عبد القاهر في كتابه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) ، وقد نوّه بعمل عبد القاهر وبراعته في استنباط أصول هدا العلم وقوانينه وأدلته وبراهينه ، ويقول(ولما وفقني الله لمطالعة هذين الكتابين ، التقطت منهما معاقد فوائدهما ، ومقاصد فرائدهما ، وراعيت الترتيب مع التهذيب والتحرير مع التقرير ، وضبطت أوابد الاجمالات عن كل باب بالتقسيمات اليقينية وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية ، مع الاجتناب عن الإطناب الممل والاحتراز عن الاختصار المخل) ، كما نجد أنه يلمّ بأطراف من آراء الزمخشري ، كما يردّ طائفة من الألوان البديعية[2].

[1] –ثلاث رسائل في إعجاز القرآن –تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام –ص 165 من الخاتمة.

[2] د. منير سلطان – إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة – ص 207

المبحث الثاني
الرؤية الجمالية والفنية عند المحدثين

وفيه مطلبين

المطلب الأول : التطبيقات الفنية في القصة القرآنية

المطلب الثاني: الإشارات البلاغية في القصة القرآنية:

المبحث الثاني: الرؤية الجمالية والفنية عند المحدثين

إنّ ما نريده بجمال القرآن اللغوي، تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في وصف حروفه وترتيب كلماته، ترتيبا دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم، ولقد وصل هذا الجمال اللغوي إلى قمة الإعجاز، بحيث لو دخل في القرآن شيء من كلام الناس لاعتلّ مذاقه في أفواه قارئيه، واختل نظامه في آذان سامعيه[1].

ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي، وذاك النظام الصوتي، أنهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية، كانا سورا منيعا لحفظ القرآن من ناحية أخرى. وذلك أنّ من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي، أن يسترعيا الأسماع ويثيرا الانتباه، ويحركا داعية الإقبال في كل إنسان، إلى هذا القرآن الكريم.

وبناء على ما سبق فقد تناول العلماء المفسرون منهم والأدباء ظاهرة جمال القرآن اللغوي وقام كل إنسان منهم بالبحث في الآيات القرآنية وقد قام فريق منهم بالتفصيل وقام فريق آخر بالإجمال.

فكان الشيخ الطاهر بن عاشور وابن باديس وأبو زهرة من الفريق الذي فصل الآيات القرآنية بحكم كونهم مفسرين، وكان الأستاذ مصطفى الصادق الرافعي ومحمد الغزالي من الفريق الذي أجمل فاكتفي بالإشارات البلاغية في الآيات القرآنية التي تتناول هلاك الأمم.

[1] –الشيخ الزرقاني –مناهل العرفان في علوم القرآن –ج.2 –ص 559

المطلب الأول: التطبيقات الفنية في القصة القرآنية

نشأت الدراسات العربية بفروعها المختلفة متعلقة بالقرآن الكريم فكان القرآن هو المحور الذي دارت حوله تلك الدراسات المختلفة سواء منها تلك الدراسات التي تتعلق تعلقا مباشرا بتفسير القرآن الكريم وتوضيح آياته وتبيين معناه، واستنباط أحكام الشريعة منه، أو تلك التي تخدم هذه الأغراض جميعها بالبحث في دلالة اللفظ واشتقاق الصيغ وتركيب الجمل، والأسلوب والصور البيانية، واختلافها باختلاف المقام[1]. وكان ممن قام ببعض تلك الدراسات –وهي تفسير القرآن الكريم مع استعمال الصور البيانية– الشيخ الطاهر بن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير" والذي طبّق فيه أغراض اللغة ومنها الصور البيانية متناولا الآيات القرآنية المتعلقة بالأمم الهالكة، وقد سار على نهجه ولكن بإيجاز الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي خصّص فصلا في الحديث عن العرب في القرآن، ولم يختلف أبو زهرة عنهما في استخراج تطبيقات الصور البيانية من القصة القرآنية وذلك في بعض الآيات المتعلقة بالأقوام الهالكة وهو ما سنعرفه بالتفصيل لاحقا.

أولا –الطاهر بن عاشور:[2]

يعتبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فقيها أديبا ومؤرخا، كما عرف بكونه مفسرا وهذا من خلال كتابه المشهور "التحرير والتنوير".[3]

---

[1] –طه عبد الرحمن –القرآن الكريم وتأثيره في الدراسات العربية –مجلة منار الإسلام –1416هـ/1996م – (130 ص –24سم) –ص30.

[2] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (1296–1394هـ/1879–1973م) تلقى العلم بجامع الزيتونة، تناوبته وظائف التدريس و القضاء ، مؤلفاته و مقالاته ومحاضراته وفتاويه جاوزت الحصر، وكانت مجلة الهداية إحدى المنابع التي خصّها الطاهر بنتاجه الحافل، وأشهر مؤلفاته تفسيره التحرير والتنويه، شارك في إنشاء مجلة السعادة العظمى سنة 1952 م، شارك في الموسوعة الفقهية التي تشرف عليها وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالكويت بمبحث قيم. أ. خالد أحمد الشامي – بيان موقف شيخ الإسلام– الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور من الشيعة من خلال تفسيره التحرير و التنوير – تونس مركز إحياء تراث آل البيت – 1429هـ/2005م – ط1–(168 ص –19,5 سم) – ص 17–21 .

[3] –طه عبد الرحمن –القرآن الكريم وتأثيره في الدراسات العربية –مجلة منار الإسلام –1416هـ/1996م – (130ص –24سم) –ص30.

وقد خصّص نفر من الكتّاب الفضلاء كتبا في الحديث عن الحياة العلمية والإصلاحية للشيخ؛ وكان من جملة هؤلاء ثلاثة فضلاء اختص اثنان منهما بالناحية العلمية في موسوعة التحرير والتنوير واختص الثاني في الناحية الأدبية، وقد قال الأستاذ محمد شمام عن الناحية الأولى: إنّ ا لمفسر الكبير كان إمام العلماء في عصره، وقد عالج مسائل الاجتهاد وإعمال الرأي وعدم التقيد بالمأثور في كل قضية، كانت موضع الاجتهاد إذ لم يأت بها نص، ويمكن إدراجها في دائرة البحث المقيد في حدود المنطق الصحيح، والنقل الثابت، ثم نقل عن الشيخ قوله بصدد الحديث عن التفسير بغير المأثور: وأراني كما حسبت أتيت ذلك وأبيحه، وهل اتسعت التفاسير لمستنبطات معاني القرآن إلا بما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله، وهل يتحقق قول علمائنا: إن القرآن لا تنقضي عجائبه إلا بازدياد المعاني باتساع آفاق التفسير، ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصرا في ورقات قليلة، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله » يفسر من كتاب الله إلا آيات معدودات علّمه جبريل إياهن.[1]

كما كتبت أستاذة علوم التفسير السيدة بلعبد بن حميدة جانبا من اهتمام ابن عاشور بعلوم القرآن فيما اتجه إليه من التفسير، وقد قالت بدءا: إنّ الإمام قد جمع بين أصول التفسير التي اعتمدها أقطاب العلم وبين مستجدات عصره، وهذا حق، ولكنها لم تبين كيف تم ذلك، ولو ببعض الأمثلة اليسيرة، إنما كان اهتمامها بمقدمة التفسير الطويلة التي ابتدأ بها الشيخ تفسيره، وقد وضّحت الأستاذة المصادر التي اعتمد عليها الشيخ فقالت بأنه كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي والإتقان في علوم القرآن للسيوطي مع إضافات فتح الله عليه بها وهذا في حديثه عن علوم القرآن من علم الرسم القرآني وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم القراءات وعلم الإعجاز، وبينت الدارسة موقف ابن عاشور من الذين أفردوا علم أسباب النزول بالتأليف، ومن المفسرين الذين ألحّوا على طلب سبب النزول لكل آية موقفا

[1] المرجع السابق –ج.6 –س 73 –القسم الأول– ص 883–884.

متشددا، لأنه اعتبر ذلك أمرا موهما بأنّ لكل آية سبب نزول، فقال: وبئس هذا الوهم، فإنّ القرآن جاء هاديا إلى ما به إصلاح الأمة في كل أصناف الإصلاح، فلا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية إلى تشريع الأحكام[1].

ثم تحدّث الأستاذ محمد المهدي عن البعد البلاغي في تفسير الشيخ ابن عاشور، والحق أني أدركت صعوبة موقفه حين قرأت هذا العنوان –كما يقول الدكتور البيومي– لأنّ البلاغة –على حدّ تعبيره– تتخلل تفسير كل آية من كتاب الله تقريبا، وللشيخ فيها جولات صائبة ، لأنه مع تعمقه الرصين في كتب الحواشي والتقارير البلاغية قد درس كتب ما قبل الحواشي دراسة مستوعبة تُعرّف البلاغة العربية والبلاغة الأعجمية معا، إذا جاز هذا التعبير، وقد أدرك العروسي بُعد الشقة عنه فاختار تفسير سورة البقرة وحدها ليأخذ منه ما يريد أن يتحدث به عن المنحى البلاغي عند الإمام، وبدأ الحديث عن اتجاه الطاهر إلى التفسير بالرأي وقد تحدث عن ذلك سابقوه، ثم قال: إنّ الأستاذ في مجال اللغة العربية يُوجّه تفسيره للألفاظ واشتقاقها ومدلولاتها ومعانيها واستعمالات العرب لها، أما أبواب الفصل، والوصل، والإيجاز، والإطناب، فقد وجدت تطبيقها الشافي في تفسير التحرير والتنوير، وإذا كانت قواعد علم المعاني من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير، ترتكز على قواعد علم النحو فقد جال الشيخ جولات نحوية كان في بعضها ذا استقلال مطلق عن كل ما قيل من قبل، ولم يغفل الدكتور العروسي حديث الإمام عن وجوه الإعجاز القرآني، فقد فصّل هذه الوجوه بما لا تزيد عليه، موضحا كيف اتجه الإعجاز للعرب في الأسلوب البياني ولغير العرب في الأفكار العلمية والأحداث التاريخية سابقا ولاحقا[2].

وقد اقتصرنا في بحثنا على نموذج واحد من كتاب التحرير والتنوير هو أصحاب القرية في سورة يس وهو للمثال لا للحصر: قال الله تعالى [واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون. إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا

[1] –المرجع السابق –ج.6 –س 73 –القسم الأول –ص 885 بتصرف.

[2] –المرجع نفسه –ج.6 –س 73 –القسم الأول –ص 885–886 بتصرف.

بثالث فقالوا إنّا إليكم مرسلون][1]، أعقب وصف إعراضهم وغفلتهم عن الانتفاع بهدي القرآن بتهديدهم بعذاب الدنيا إذ قد جاء في آخر هذه القصة قوله تعالى [إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون][2]، والضرب **مجاز** مشهور في معنى الوضع والجعل، ومنه ضرب ختمه، وضربت بيتا وهو هنا في الجعل، والمعنى: اجعل أصحاب القرية والمرسلين إليهم شبها لأهل مكة وإرسالك إليهم. والقرية، قال المفسرون عن ابن عباس (ض) هي أنطاكية وهي مدينة بالشام[3].

وفي قوله تعالى [أإن ذُكّرتم][4] قرأها الجمهور بهمزة استفهام داخلة على (إن) المكسورة الهمزة الشرطية وتشديد الكاف. وقرأها أبو جعفر [أأن ذُكرتم]بفتح كلتا الهمزتين وبتخفيف الكاف من (ذُكّرتم) والاستفهام تقرير، أي ألأجل إن ذكرنا أسماءكم حين دعوناكم حل الشؤم بينكم **كناية** عن كونهم أهلا لأن تكون أسماؤهم شؤما[5].

وفي ذكر كلمة (قوم) من قوله تعالى [بل أنتم قوم مسرفون][6]، إيذان بأنّ الإسراف متمكن منهم وبه قوام قوميتهم[7].

وفي قوله تعالى [وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين. اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون][8]، عطف على قصة التحاور الجاري بين أصحاب القرية والرسل الثلاثة لبيان البون بين حال المعاندين من أهل القرية وحال الرجل المؤمن منهم الذي وعظهم بموعظة بالغة وهو من نفر قليل من

---

[1] –يس: 13–14.

[2] –يس: 29.

[3] –الشيخ الطاهر بن عاشور –تفسير التحرير والتنوير –تونس –تونس –الدار التونسية –1984م –د.ر.ط – (371 ص –25سم) –ج.22 –ص 357–358.

[4] –يس: جزء من الآية 19.

[5] –نفس المرجع –ج.22 –ص 364–365.

[6] يس: جزء من الآية 19.

[7] نفس المرجع –ج.22 –ص365.

[8] يس: 20–21.

أهل القرية، فلك أن تجعل جملة (وجاء من أقصى المدينة) عطفا على جملة (جاءها المرسلون) ولك أن تجعل عطفا على جملة (فقالوا إنا إليكم مرسلون)، والمراد بالمدينة هنا نفس القرية المذكورة في قوله (أصحاب القرية) عُبر عنها هنا بالمدينة تفتنا، فيكون (أقصى) صفة لمحذوف هو المضاف في المعنى إلى المدينة، والتقدير من بعيد المدينة، أي طرف المدينة وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة الإشارة إلى أنّ الإيمان بالله ظهر في أهل ربض المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة لأنّ قلب المدينة هو مسكن حكامها وأحبار اليهود وهم أبعد عن الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوهم إليهم الرسل، وعامة سكانها تبع لعظمائها لتعلقهم بهم وخشيتهم بأسهم بخلاف سكان أطراف المدينة فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر وقلة اكتراث بالآخرين لأنّ سكان الأطراف غالبهم عملة أنفسهم لقربهم من البدو، وبهذا يظهر وجه تقديم (من أقصى المدينة) على (رجل) للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة، وأنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأنّ الإيمان يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترف وعظمة إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة، وأما قوله تعالى في سورة القصص [وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى][1]فجاء النظم على الترتيب الأصلي إذ لا داعي إلى التقديم إذ كان ذلك الرجل ناصحا ولم يكن داعيا للإيمان[2].

ووصف الرجل بالسعي يفيد أنه جاء مسرعا وأنه بلغه همّ أهل المدينة برجم الرسل وتعذيبهم، فأراد أن ينصحهم خشية عليهم وعلى الرسل، وهذا ثناء على هذا الرجل يفيد أنه ممن يقتدى به في الإسراع إلى تغيير المنكر، وجملة (قال يا قوم) بدل اشتمال من جملة (جاء رجل) لأن مجيئه لما كان لهذا الغرض كان مما اشتمل عليه المجيء المذكور، وافتتاح خطابه إياهم بندائهم بوصف القومية له قصد منه أنّ

[1] –القصص: 20. والآية كاملة هي: [وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنّي لك من الناصحين].

[2] –الشيخ الطاهر بن عاشور –التحرير والتنوير –ج.22 –ص 365–366.

في كلامه الإيماء إلى ما سيخاطبهم به هو محض نصيحة لأنه يحب لقومه ما يحب لنفسه[1].

والاتباع: الامتثال **استعير** له الاتباع تشبيها للآخذ برأي غيره بالمتبع له في سيره، والتعريف في (المرسلين) للعهد[2].

وجملة [اتبعوا من لا يسألكم أجرا][3] مؤكدة لجملة (اتبعوا المرسلين) مع زيادة الإيمان على علة اتباعهم بلوائح علامات الصدق والنصح على رسالتهم إذ هم يدعون إلى هدى ولا نفع ينجر لهم من ذلك فتمحّضت دعوتهم لقصد هداية المرسل إليهم، وهذه كلمة حكمة جامعة، أي اتّبعوا من لا تخسرون معهم من دنياكم وتربحون صحة دينكم[4].

بناءً على ما سبق نجد أنّ الشيخ الطاهر بن عاشور قد فصّل في تفسير كل آية بما يستدعي التفسير من ذكر لشرح الألفاظ القرآنية وإعطاء تفسير تاريخي للقصة القرآنية الواردة، وربط الآية أو الآيات بعلوم البلاغة والنحو على نحو يجعل من تفسير التحرير والتنوير مشوقا للقارئ العادي فضلا عما يجده الباحث.

ثانيا –عبد الحميد بن باديس:

لقد مكث الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ثلاثين عاما في تأليف التحرير والتنوير بأجزائه الثلاثين بمعنى أنه كان يخرج جزءا كل عام[5]. في حين مكث الشيخ

---

[1] –المرجع السابق –ج.22 –ص 366.

[2] –المرجع السابق –ج.22 –ص 366.

[3] –يس: جزء من الآية 21.

[4] –المرجع نفسه –ج.22 –ص 367.

[5] –أ.د محمد رجب البيومي –صفحة من حياة المفسر الكبير محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام وأستاذ الأساتيذ –مجلة الأزهر–رجب 1421هـ/أكتوبر 2000م –(1120ص –27سم) –ج.7 –س 73 –القسم الثاني – ص 1037.

عبد الحميد بن باديس خمسا وعشرين سنة في تفسير القرآن الكريم من غير أن تختل أعماله العلمية الكثيرة ولا أعماله المستغرقة لدقائقه في سبيل هذه النهضة[1].

ولسنا في مجال المقارنة بين الشيخين؛ لأنّ الشيخ بن عاشور علاّمة وكان أستاذا للشيخ ابن باديس وهو عالم جمع بين الفقه والتأريخ والتفسير في مقابل أنّ الشيخ ابن باديس كان مصلحا زيادة على كونه مفسرا، فلا غرو أن يأتي تفسير التحرير والتنوير بهذا الحجم الكبير بأجزائه الثلاثين، ويأتي تفسير مجالس التذكير بهذا الحجم الصغير وهو مجلد واحد.

ولقد اعتمد ابن باديس في تفسيره على منهجية تكاد تكون واحدة، ونذكر أهم الخطوات المتبعة في هذا الكتاب، وتتمثل فيما يلي[2]:

أ-تمهيد يضع القارئ في جو النص القرآني المراد تفسيره؛ معتمدا في ذلك على سبب نزول الآية أو الآيات المفسرة، أو ربطها بما سبقها، أو بذكر ما يثير انتباه القارئ إلى القضية التي تعالجها الآية الكريمة...

ب-شرح لغوي للمفردات الأساسية، شرحا يساعد القارئ على فهم مضمون النص، بيسر ووضوح.

ج-تحرير مركّز للعبارات والتراكيب، ليبرز خصائص الأسلوب العربي.

د-إيضاح المعنى العام للنص، إيضاحا لا يشوبه إيجاز مخل، ولا إسهاب مملّ...

هـ-استخراج ما في النص القرآني من حقائق وقيم مختلفة: كونية، واجتماعية، وأخلاقية، ونفسية، وسياسية، واقتصادية، وتاريخية، وتشريعية، مُركّزا في ذلك كله، على البيئة الجزائرية بصفة خاصة، وعلى الأمة الإسلامية بصفة عامة، وعلى المجموعة الإنسانية بصفة أعم؛ مما كان له الأثر الفعّال في نفس كل من يسمع تفسيره أو يقرأه..

---

[1] -الشيخ عبد الحميد بن باديس -مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير -تصدير محمد البشير الإبراهيمي - ص 27 بتصرف.

[2] -المرجع السابق -ص 11-12.

وتتمثل طريقة ابن باديس العامة التي سار عليها والتزمها في تفسير الآيات القرآنية في قسمين: أحدهما: يتناول أوجه الارتباط بين الآية وما سبقها، وحلّ الألفاظ، وتوضيح التراكيب النحوية، وبيان ما ترمي إليه العبارات والإشارات من النكت الفنية والبلاغية بإيجاز مقتضب، غير مخلّ بالمعنى، أو مفسد له. وثانيهما: ذهابه إلى فهم المراد من القول، وتجلية ما تحتويه الجملة من أحكام ومبادئ وأهداف وتوجيهات، معتمدا في ذلك على النظر، وملاحظات مقتضيات تطور الحياة والمفاهيم البشرية.[1]

ومن أهم الأمثلة التي ساقها الشيخ في تفسيره والتي تتوافق مع بحثنا ما يلي: قال الله تعالى [وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا][2] فساق في البداية تمهيدا وشرح الأطوار الثلاثة التي تمر بها الأمم مشبها إياها بالأفراد فقال: "الأمم كالأفراد تمر عليها ثلاثة أطوار؛ طور الشباب، وطور الكهولة، وطور الهرم"[3]، كما قام بذكر بعض الآيات مما له علاقة بمعنى الآية فذكر أعمال الأمم وأنها مقدرة محددة بآجالها وذكر إنشاء الأمم على أثر الهالكين وذكر طور الشباب فيها ودخولها معترك الحياة وذكر الطور الثاني الذي يشمل أخذها في التقدم والانتشار وسعة النفوذ وقوة السلطان إلى استكمال قوتها وبلوغها غاية ما كان لها أن تبلغه من ذلك بما كان فيها من مواهب وما كان لها من استعداد وما لديها من أسباب، وذكر الطور الثالث ابتداءها في التقهقر والضعف والانحلال، إلى أن يحل بها الفناء والاضمحلال إما بانقراضها من عالم الوجود، وإما باندراسها من عالم السيادة والاستقلال، وما من أمة إلا ويجري عليها هذا القانون لعام وإن اختلفت أطوارها في الطول والقصر كما تختلف الأعمار[4].

---

[1] –د. بركات محمد مراد سيد –ابن باديس المجدد الديني والمصلح الاجتماعي –مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية –شعبان 1417هـ /ديسمبر 1996 –(300 ص –24 سم) –س 11 –ع 30 –ص 223.

[2] –الإسراء: 59.

[3] –ابن باديس –مجالس التذكير –ص 162.

[4] –المرجع السابق –ص 162 بتصرف.

وفي شرحه للألفاظ: القرية: المساكن المجتمعة ومادة (ق رى) تدل على الجمع فتصدق على القرية الصغيرة والمدينة الكبرى، وتطلق القرية مجازا على السكان إطلاقا لاسم المحل على الحال، والإهلاك: الإبادة والإفناء بالاستئصال كما فُعل بعاد وثمود[1].

وفي عنصر سماه التوجيه قال: الطور الأخير للأمم هو الذي ذُكر في الآيات كثيرا دون الطور الأول والثاني، ووَجْهُ ذلك أنه هو الطور الذي ينتشر فيه الفساد ويعظم فيه الظلم وينتهي فيه الإعذار للأمة ويحل فيه أجلها فينزل بها ما تستحقه من هلاك وعذاب فكرر ذكر هذا الطور لزيادة التحذير منه والتخويف من سوء عاقبته والحث على تدارك الأمر فيه في الإقلاع عن الظلم والفساد والرجوع إلى طاعة الله وإعمال يد الإصلاح في جميع الشؤون فيرتفع العذاب بزوال ما كان لنزوله من أسباب[2].

كما عقد الشيخ محاضرة في نادي الترقي بالعاصمة تناول فيها تاريخ العرب ومدنيتهم وخصائصهم الطبيعية وسر اختيارهم للرسالة العامة كل ذلك في ضوء القرآن، وقد قام من رتّب الكتاب بإلحاق هذه المحاضرة بالتفسير[3].

وقد أعطى الشيخ أربعة أمثلة عن الأمم العربية التي عرفت الحضارة المادية وقد فصّل في كل واحدة منها وهي: أمة عاد، قوم ثمود، أمة سبأ، ومملكة سبأ، وقد بين الشيخ أهم الملامح الفنية في هذه القصص القرآنية مبرزا الجانب البلاغي في كل قصة على أننا نكتفي بعرض قصة ملكة سبأ "بلقيس" لأنه سبق وأن عرضنا جوانب من القصص الثلاث الأخرى في الفصل السابق:

---

[1] –المرجع نفسه –ص 163.

[2] –المرجع السابق –ص 165.

[3] –المرجع نفسه –ص 423 بتصرف، و ينظر : د. محمود قاسم – الإمام عبد الحميد بن باديس: الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية– مصر– القاهرة– دار المعارف– 1968 م– د.ر.ط –(160ص –24سم) – ص 141 – العرب في القرآن.

وملكة سبأ وعرشها العظيم وملكها وما قصه القرآن من نبئها أعظم وأروع، فمخبر سليمان عليه السلام يقول عنها [وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم][1] وما وصفُ عرش ملكة سبأ بالعظيم عند سليمان نبي الله الذي سخّر له الجن والريح ألا وهو في نفسه عظيم[2].

ثالثا –محمد أبو زهرة:

ولد الشيخ الإمام أبو زهرة بمدينة المحلة الكبرى إحدى أكبر مراكز محافظة العربية والتي تعتبر أكبر قلعة صناعية في مصر، وتلقى العلم منذ الصغر وحفظ القرآن الكريم وأتم ختمه قبل بلوغه العاشرة من عمره ثم انتقل إلى المعهد الأحمدي بمدينة طنطا عاصمة بلده ثم انتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي فنال منها شهادة العالمية ولم يكتف بها فاستزاد من بحر كلية دار العلوم وحصل على شهادتها العليا فعُيِّن مدرسا بتجهيزاتيها للعلوم الشرعية وبعد إلغائها انتقل للعمل في التدريس بوزارة المعارف لكنه ما لبث أن عاد إلى الأزهر أستاذا بكلية أصول الدين ومنها انطلق إلى مواقع أخرى بكليات الحقوق والخدمة الاجتماعية حيث تخصّص في بحور الشريعة الإسلامية، ومنها بدأت بحوثه ومقالاته وكتبه تنتشر في كل مكان وبكل وسيلة، فله أكثر من ألف بحث ومقال عدا سبعة عشر كتابا مطبوعا يعتبر كل منها مرجعا بذاته، ولقد تخّرج على يديه كبار الشخصيات العامة أمثال الدكتور زكريا البري، كمال أبو الخير وأحمد بهجت والأستاذة مفيدة عبد الرحمن، ولقد كوّن جبهة علماء الأزهر وطاف بأغلب البلاد العربية والإسلامية داعيا إلى الله مشاركا في ندوة أو محاضرة[3].

فلا شكّ أنّ مثل هذه النشأة الطيبة للشيخ كانت عاملا كبيرا في تكوينه الجيد، ولقد اهتمّ أبو زهرة بتفسير القرآن الكريم، وقد نادى بترجمة القرآن الكريم بمعانيه

---

[1] –النمل: 23.

[2] –ابن باديس –مجالس التذكير –ص 437.

[3] –أ.عبد السلام إبراهيم ناصف –أبو زهرة عالما إسلاميا حياته ومنهجه في بحوثه وكتبه –مجلة الأزهر — صفر 1418هـ/ يونيه 1997م –(352ص –27 سم) –ج2 –س 70 –ص 312 بتصرف.

وليس بلفظه، وعلى أن تجتمع لذلك طائفة مختارة من خيرة علماء الشريعة واللغة، والكون، والاجتماع، وغيرها لتفسير معانيه دون ألفاظه[1].

وقد تناول أبو زهرة الكلمة القرآنية بشيء من التفصيل، حيث بيّن آراء الجاحظ والباقلاّني وعبد القاهر الجرجاني والرافعي وغيرهم.

والكلمة القرآنية عند أبي زهرة ليست فصيحة فحسب، بل هي بليغة كذلك، ويأتينا بأمثلة من كتاب الله تعالى، يبيّن فيها استقرار الكلمة القرآنية في موضعها وما أخال الذي ذكره جديدا على العلماء –كما يقول الأستاذ حسن عباس– ولكي لا أكون متعسفا غير منصف أذكر شيئا موجزا مما جاء به[2].

يقول عند قوله تعالى [وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون][3]، وإذا قرأنا، ورددنا البصر كرّتين، وجدنا كل كلمة في حيزها لا تفارقه، ولو فارقته لوجدناه فارغا لا يملؤه غيرها، ولنبتدئ بالإشارة إلى ما في كل كلمة مما اختصت به، الأولى: كلمة (آمنة) فالأمن معناه عدم الخوف من مُغير يغير عليهم، أو عدوّ يساورهم، ولعل ذلك إشارة إلى مكّة، الثانية: كلمة (مطمئنة) فمعنى الاطمئنان يتّصل بالنفس فهي قد منحها الله تعالى القرار والسكون والدعة من غير ضعف، ومع هذه الدعة كان هو يقويها ويثبتها، مع ما أعطاهم الله من سلطان أدبي على العرب، وهم ملتقى اجتماعهم ومستقر شعائرهم الدينية ومقامهم الكريم الطيب فكلّ هذا يشعّ من كلمة مطمئنة، الثالثة: (يأتيها رزقها) فإنّ هذا يشير إلى سهولة الحياة، وأنه لا يأتيهم كسائر العرب بانتجاع الكلأ، والتنقل في الصحراء لا ينالون الحياة إلا بشقّ الأنفس، وبذوقهم في طلبهم الرزق حرّ الحياة وقرّها، الرابعة: كلمة (رغدا) فالرغد هو الرزق الطيب المذاق المريء غير الوبيء وهو الواسع الكثير، فهم في

[1] –المرجع نفسه –ج.2 –س 70 –ص 314 بتصرف.

[2] د. فضل عباس –الكلمة القرآنية –مجلة الشريعة –س 2 –ع 4 –ص 44.

[3] النحل: 112.

رزق يأتيهم سهلا طيبا، واسعا مريئا لا وباء فيه، ولكنهم كفروا بهذه الأنعم كلها فأيّ صورة بيانية أروع من هذه الصورة[1].

وفي قوله تعالى [إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين. ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين][2]، يقول أبو زهرة: ولا شكّ أنّ نسج الآيات متماسك، بخيوط دقيقة غير قابلة لأن تنقطع وهي واضحة في تصوير الحاكم الفاسد كيف يعلو في الأرض، وكيف يتحكّم؛ قال تعالى (علا في الأرض) فهو عُلُوٌّ مَن في الأرض، ولاصق بها، فليس يعلو إلى السماء ولكنه مستمر في الأرض، فهو استعلاء وليس بعلو، والاستعلاء طلب للعلو، أو الإحساس به، وليس قائما على أيّ اعتبار، فكان ذلك التقابل في اللفظ من حيث الانسجام، ومن حيث المعنى فيه دليل على أنه استكبار وليسا علوا في ذاته، وأما (وجعل أهلها شيعا) فهنا نجد كلمات ثلاثا، كل واحدة منها تنبئ عن قصد الفرقة والانقسام بعد الوحدة والالتئام، فكلمة جعل هي بمعنى صيّر، وهي تدل على أنهم كانوا متّحدين في المشاعر والأحاسيس، متّفقين في المنازع والمطامح والآمال، فجعلهم متفرّقين منتشرين في غير اجتماع، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، والكلمة الثانية (أهلها) فهم كانوا قبلها أهلا، والكلمة الثالثة (شيعا)، فإنّ الشياع يتضمن معنى الانتشار، وأن يقوى جزء على الآخر يحسب كل جزء منهم أنه أقوى من الآخر، وأنه لا تربطه به رابطة، ولا يجمعهم به قومية أو رحم، أو تشابك المصالح، ودفع المضارّ، فإذا كانوا كذلك استعلى واستكبر ولا يجد من يردّه عن غيّه، ويقمعه في شرّه، فيكون الهلاك وتقطع الأسباب[3].

وحسبنا هنا في اختيار هذين المثالين في النموذج الثاني فهو للمثال لا الحصر.

---

[1] الإمام أبو زهرة –المعجزة الكبرى –ص 96.

[2] القصص: 4-5.

[3] المرجع السابق –ص 133-134.

المطلب الثاني: الإشارات البلاغية في القصة القرآنية:

بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين، وأيدهم بالخوارق والمعجزات التي تحجّ المعارضين وتكمع المعاندين. وحتى تكون الحجة آكد، كان كل نبي يؤيَّد بما تقوم به الحجة على قومه في جنس ما مهروه، وبرعوا فيه[1]. يقول عبد القاهر الجرجاني في ذلك: "إنه لما كان السحر الغالب على قوم فرعون ولم يكن قد استحكم في زمان استحكامه في زمانه، جعل تعالى معجزة موسى عليه السلام في إبطاله وتوهينه، ولما كان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب جعل الله تعالى معجزته في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، ولما انتهوا إلى ذكر نبينا محمد » وذكروا ما كان الغالب على زمانه لم يذكروا إلا البلاغة والبيان والتصرف في ضروب النظم[2].

فنجد من العلماء من اهتمّ بالبحث في بلاغة القرآن الكريم، وكان ممّن قام بهذا النوع من الدراسة الأستاذ محمد الصادق الرافعي في كتابه المشهور "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، وقد أشار في هذا الكتاب إلى جملة من الإشارات البلاغية التي تتناول قصص الأقوام الهالكة، وكانت جملة الكتب التي ألفها الشيخ محمد الغزالي في التفسير قد أعطى فيها جملة من القصص القرآنية والتي عرّج فيها على الإشارات البلاغية والتي هي دوما تتعلق ببحثنا في قصص الأقوام الهالكة وهو ما سنتعرض إليه بالتفصيل في هذا المطلب.

أولا –مصطفى الصادق الرافعي:

ولد الرافعي في يناير 1880م في بلدة بهتيم إحدى قرى مديرية "القليوبية"، ودرج بين ظهراني أسرة عريقة في العلم والتدين، فكان في "أزهر" من أهله، كما يقول الزيات، فقد اجتمع من آل الرافعي في وقت واحد أربعون قاضيا في محاكم مصر الشرعية، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية بتفوق سنة 1897م أصيب

[1] –محمد علي أبو حمادة –من أساليب البيان في القرآن الكريم –الأردن –عمان –مكتبة الرسالة الحديثة – 1403هـ/1983م –د.ر.ط –(166ص –24سم) –ص 18.

[2] –الإمام عبد القاهر الجرجاني –دلائل الإعجاز –ص 309.

بحمى التيفويد التي تركت أثرها الشديد في صوته وسمعه، وحالت بالتالي دون استمراره في تلقي العلم المنظم بالمدارس وخاصة بعد أن فقد حاسة السمع تماما، واضطر إلى الالتحاق بوظيفة صغيرة بإحدى المحاكم، إلا أن ذلك لم يفت في عضده، بل انكبّ على كتب الأدب التي حفلت بها مكتبة والده الشيخ عبد الرازق الرافعي الذي كان من كبار العلماء والقضاة الشرعيين في كثير من الأقاليم، واستظهر الرافعي الكثير من أمّهات هذه الكتب في ساعات قراءة يومية، لا تقل عن ثمان ساعات، وكذلك اطّلاعه على ذخائر مكتبة البلدية بمدينة طنطا التي ظل يعيش فيها طوال عمره، هذا بالإضافة إلى ما اقتناه من المؤلفات والموسوعات الأدبية بعد ذلك، كل هذا استطاع به أن يصل إلى قدر من الثقافة العربية والإسلامية ما أعانه على الإبداع، وأفسح له مكانا بارزا بين كبار الكتّاب حتى اليوم، بل تضعه على رؤوس الجميع تشهد بهذا كتبه التي دبجها قلمه وأفرزتها قريحته بكل القضايا التي كانت تشغل جيله والأجيال القادمة من بعده[1].

وهناك عبارة أثرت عن الرافعي بعد فقد حاسة السمع، يقول فيها: "إذا كان الناس يعجزهم أن يُسمعوني، فليسمعوا منّي"[2].

يقول الأستاذ العريان: إن الرافعي يشبه علمه مكتبة دقيقة الترتيب، منظمة التبويب ما شِئت من بحث هَدَتك إليه قبل أن تبحث عنه..، ويقول الأديب حارث طه الراوي: إنّ الذي يدرس مؤلّفات الرافعي دراسة عميقة شاملة بعيدة عن الهوى والتحيز يقف على حقيقة راسخة هي أنّ الرافعي جاحظ القرن العشرين، وقد قرّظ

[1] -أ. أحمد مصطفى حافظ -مصطفى صادق الرافعي في ذكراه التاسعة والخمسين (1880-1937) -مجلة الأزهر -محرم 1417هـ/ مايو-يونيو 1996م -(160ص-27سم) -ج1 -س69 -الفصل 1 -ص127، 128.
-أ. كمال سعد خليفة -الأديب الأصم: مصطفى الرافعي رائد الأدب الإسلامي -مجلة منار الإسلام -صفر 1415هـ/ يوليو 1994م -(130ص -24 سم) -س 20 -ع 2 -القسم الأول -ص 80 بتصرف.

[2] -نفس المرجع -ص 129.

الأستاذ سعد زغلول كتابا له فقال فيه: "كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم.."[1].

وحسبنا أن نثبت رأي الدكتور عبد الوهاب عزام –إذا علمنا أنّ هناك عددا كبيرا من أساطين البيان من أبدى رأيا جميلا في الرافعي– يقول: "أوتي من النور الإلهي قلبا، ومن الفيض الإلهي ينبوعا، فلبث دهره نسيجا وحده، ينير للسالكين، ويسقي الظامئين"[2].

ونستطيع أن نؤكد أنّ أحسن كاتب وأديب تمكّن أن يعطي لأدب الرافعي وزنا يليق به هو الأستاذ الدكتور البيومي وهذا في كتابه "مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن"؛ إذ ردّ السهام الطائشة لبعض المغرضين الذين حاولوا هدم الطود الشامخ بمعاولهم الهزيلة وسواعدهم اللينة[3].

يقول محمد رجب البيومي: "كان له من رقة الاستشفاف في حيّز اللفظ الواحد وإن تركب من حرفين، ما لا تجد نظيره فيما تطالع من الدراسات كما كان له من بُعد الغوص في المعنى الديني ودقة مرماه، ما هو جدير به وحده دون سواه"، كما يقول في موضع آخر: "مما انفرد به الرافعي انفرادا تاما عن سواه، في جميع عصور النثر العربي، هو تغلغله في الحياة الداخلية للمعاني[4].

---

[1] –أ. كمال سعد خليفة –قضايا شغلت فكر الرافعي ماذا قال عنه النقاد؟ –مجلة منار الإسلام —130ص –24 سم –ربيع الأول 1415هـ/ أغسطس 1994م –(130ص –24سم) –(الحلقة الأخيرة) –ص 93.

[2] –أ. أحمد مصطفى حافظ –مصطفى صادق الرافعي في مرآة الدكتور محمد رجب البيومي –مجلة الأزهر– رجب 1418هـ/نوفمبر 1997م–(1224ص –27 سم) –ج7 –س 70 –القسم الأول –ص 1149.

[3] –أ. أحمد مصطفى حافظ –مصطفى صادق الرافعي في مرآة الدكتور محمد رجب البيومي –مجلة الأزهر — رمضان 1418 هـ/يناير 1998م –(1560ص –27 سم) –ج9 –س70 –القسم الثالث –ص 1487 بتصرف.

[4] –أ.حافظ –الرافعي في مرآة الدكتور البيومي –مجلة الأزهر —شعبان 1418هـ/ديسمبر1997م –(1408ص –27 سم) –ج8 –س 70 –القسم الثاني –ص 1301، 1302.

ويعتبر كتاب "وحي القلم" للرافعي باقة نادرة من زهور الفكر الثاقب اللماح، أبدعها وافتنّ في تنضيدها[1].

ويتميز أسلوبه بمستوى رفيع من دقة الوصف وروعة السبك الفني لألفاظه ومعانيه، حتى أصبح ذا طابع خاص متميز تستطيع بسهولة إذا قرأت له أي فصل من فصوله الأدبية أن تعرفه به لأول وهلة[2].

وكان الرافعي يترسّم الأساليب الرفيعة وينحو منحى يبتعد بها عن الأساليب التي لوثتها الترجمة والرطانة الأجنبية التي كان يشن عليها هجوما عنيفا في كثير من كتاباته، كما كان تعامل الرافعي مع القرآن تعاملا مخالفا لغيره من أصحاب الصناعة من الشعراء والكتّاب، بل إنّ المعاني القرآنية تتعمّق مع وجدانه، فتصبح جزءا من كيانه، وحين تصدر عنه، فهي تصدر وعليها لهب من وجدانه، وأنفاس من إحساسه، وهو لا يعيش القرآن ألفاظا ومفردات، ولا صورا ومجازات ثابتة، ولكنه يحيا روح القرآن بجملته فيكتب وهو تحت تأثير هذه الروح ووحيها وإلهامها[3].

وقد أصدر الجزء الأول من كتابه "تاريخ آداب العرب" عام 1910م، وأصدر الجزء الثاني منه في عام 1912م، وجعل موضوعه: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وقد قال الأستاذ عبد العزيز البشري عنه في مقال له في جريدة مخاطبا

[1] –أ. محمد عبد الرحمن صان الدين –مصطفى صادق الرافعي في عقد فرائده (وحي القلم) –مجلة الأزهر — شوال 1408هـ/ مايو –يونيو 1988م –(1415ص –27سم) –ج.10 –س 60 –ص 1380.

[2] –أ. أحمد مصطفى حافظ –مصطفى صادق الرافعي في ذكراه التاسعة والخمسين (1880–1937) –مجلة الأزهر –ج1 –س 69 –الفصل الأول –ص 130.

[3] –د. شلتاغ عبود شراد –السمات العامة لأسلوب الرافعي –مجلة الأزهر –مصر –القاهرة –مجمع البحوث الإسلامية –جمادى الآخرة 1409هـ/ يناير 1989م –(751ص –27سم) –ج6 –س 61 –ص 719، 720.

الرافعي: "قرأت إعجاز القرآن، فإذا هو أبلغ ما كتب مخلوق في كلام الخالق.. فإنّ ما جلوت من البيان، لمن الإلهام الذي يعلو على التصرّف، ويجلّ عن التأليف.."[1].

وقد عقد الرافعي فصلا خاصا في كتابه إعجاز القرآن وهو يتكلم به عن إعجاز الكلمات في جملها، فقال: "وأعجب شيء في أمر هذا الحس الذي يتمثل في كلمات القرآن أنه لا يسرف على النفس ولا يستفرغ مجهودها بل هو مقتصد في كل أنواع التأثير عليها، فلا تضيق به ولا تنفر منه ولا يتخوّنها الملال"[2].

ثم يقول: فلابدّ في مثل نظم القرآن من إخطار معاني الجمل وانتزاع جملة ما يلائمها من ألفاظ اللغة، بحيث لا تَنِدّ لفظة، ولا تتخلّف كلمة، ثم استعمال أمسّها رحما بالمعنى، وأفصحها في الدلالة عليه، وأبلغها في التصوير، وأحسنها في النسق، وأبدعها سناء، وأكثرها غناء، وأصفاها رونقا وماء"، ثم يقول: "ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة، فإنّ أحدا من البلغاء لا تمتنع عليه فصح هذه العربية متى أرادها، وهي بَعْدُ في الدواوين والكتب، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرآن في كلامه، وإن اتّفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها، لأنها في القرآن تظهر في تركيب ممتنع فترف به، ولهذا ترتفع إلى أنواع أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية التي هي طبيعية فيها، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة"[3].

ولا يكتفي الرافعي بالتنظير في حديثه عن اللفظة والجملة القرآنية وكذا النظم القرآني، بل يعطي لذلك مجموعة من الأمثلة القرآنية ليوضح وجهة نظره: "من ذلك لفظة (النُّذُر) جمع نذير؛ فإنّ الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معا فضلا عن جسأة هذا الحرف ونبوّه في اللسان، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام، فكل ذلك

---

[1] –أحمد مصطفى حافظ –مصطفى صادق الرافعي في ذكراه التاسعة والخمسين (1880–1937) –مجلة الأزهر –مصر –القاهرة –مجمع البحوث الإسلامية –صفر 1417هـ/ يونيه–يوليو 1996م –(304ص–27سم) – ج.2 –س 69 –الفصل الأخير –ص 274، 275.

[2] –مصطفى صادق الرافعي –إعجاز القرآن والبلاغة النبوية –ص 223.

[3] –المرجع السابق –ص 226.

مما يكشف عنه ويفصح عن موضع الثقل فيه؛ ولكنه جاء في القرآن على العكس وانتفى من طبيعته في قوله تعالى [ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر][1]، فتأمل هذا التركيب، وأنعم ثم أنعم على تأمله، وتذوق مواقع الحروف وأجر حركاتها في حس السمع وتأمل مواضع القلقلة في دال (لقدْ)، وفي الطاء من (بطّشتنا)، وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تَمَارَوْا)، مع الفصل بالمد، كأنها تثقيل لخفّة التتابع في الفتحات إذا هي جزت على اللسان، ليكون ثقل الضمة عليه مستخفا بعد، ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض في الأطعمة. ثم ردّد نظرك في الراء من (تماروا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها، فلا تجف عليه ولا تغلط ولا تتبو فيه، ثم اعجب لهذه الغنّة التي سبقت الطاء في نون (أنذرهم) وفي ميمها، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر)"[2].

وفي موضع آخر يقول: "ومن الألفاظ لفظة (الآجر) وليس فيها من خفة التركيب إلا الهمزة وسائرها نافر متقلقل لا يصلح مع هذا المدّ في صوت ولا تركيب على قاعدة نظم القرآن، فلما احتاج إليها لفظها ولفظ مرادفها وهو (القرمد) وكلاهما استعمله فصحاء العرب ولم يعرفوا غيرهما، ثم أخرج معناها بألطف عبارة وأرقها وأعذبها، وساقها في بيان مكشوف يفضح الصبح، وذلك في قوله تعالى [وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا][3]، فانظر هل تجد في سرّ الفصاحة وفي روعة الإعجاز أبرع أو أبدع من هذا؟ وأيّ عربي فصيح يسمع مثل هذا النظم وهذا التركيب ولا يملّكه حسه ولا يسوّغه حقيقة نفسه ولا يجنّ به جنون ولا يقول آمنت بالله ربّا وبمحمد نبيا وبالقرآن معجزة؟ وتأمل كيف عبّر عن الآجر بقوله [فأوقد لي يا هامان على الطين] وانظر موقع هذه القلقلة التي هي في الدال من قوله (فأوقدْ) وما يتلوها من رقة

[1] –القمر: 36.

[2] –المرجع السابق –ص 227، 228.

[3] –القصص: 38.

اللام، فإنها في أثناء التلاوة مما لا يطاق أن يعبر عن حسنه، وكأنما تنتزع النفس انتزاعا. وليس الإعجاز في اختراع تلك العبارة فحسب، ولكن ما ترمي إليه إعجاز آخر؛ فإنها تحقر شأن فرعون، وتصف ضلاله، وتسفّه رأيه، إذ طمع أن يبلغ الأسباب أسباب السماوات فيطّلع إلى إله موسى، وهو لا يجد وسيلة إلى ذلك المستحيل ولو نصب الأرض سلما، إلا شيئا يصنعه هامان من الطين"[1].

وفي موضع آخر: "تأمل قوله تعالى [وأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم آيات مفصلات][2] فإنها خمسة أسماء أخّفها في اللفظ (الطوفان والجراد والدم) وأثقلها (القمّل والضفادع) فقدّم (الطوفان لمكان المدين فيها)؛ حتى يأنس اللسان بخفتها، ثم (الجراد) وفيها كذلك مدّ؛ ثم جاء باللفظين الشديدين مبتدئا بأخفهما في اللسان وأبعدهما في الصوت لمكان تلك الغنّة فيه؛ ثم جيء بلفظة (الدّم) آخِرا، وهي أخفّ الخمسة وأقلّها حروفا؛ ليسرع اللسان فيها ويستقيم لها ذوق النظم ويتم بها هذا الإعجاز في التركيب"[3].

والمتأمل لما ذكره الأستاذ الرافعي وما فيه –من تصوير رائع، وإبدال يتلألأ فيه الإشراق، وبيان مدهش، يأخذ باللب، ويأسر القلب– يجد أنه كان يهدف لبيان ما تحدثه الكلمات القرآنية في أرجاء النفس من تأثير بما لها من جرس وتصوير بما فيها من حسّ، حيث يشير في بداية الموضوع إلى الأصوات الثلاثة، وهي: صوت النفس، وصوت العقل، وصوت الحسّ. وهذا الأخير هو الذي وجدوه في الكلمة القرآنية حيث كانت تخلو منه كلماتهم، فهم وإن تعاطوه، لكنهم لم يعطوه، وهذه الجهة في ظني لعلها كانت –أول ما أثر به العرب، وهم يستمعون لكتاب الله تعالى وهو يتلى عليهم لأول وهلة، ولكن سعة البيان القرآني التي هي من سعة علم الله تعالى تجعلنا لا نقف أمام جهة واحدة من هذا البيان، كما لا نستشّف ذلك من كلام

[1] –المرجع نفسه – ص 233، 234.

[2] –الأعراف: 133.

[3] –المرجع السابق –ص235.

الرافعي بل لابدّ من أن ننقب ونبحث، ونمعن النظر، ونجيل الفكر، لنقف من الكلمة القرآنية من حيث دقة ما تعطيه من معنى[1].

ثانيا –الشيخ محمد الغزالي:

لقد أثرت النشأة العلمية والبيئة الحضارية الفكرية في مصر في تكوين شخصية محمد الغزالي.

ذلك أنّ والدا الشيخ حرصا على تعليم الغزالي منذ الصغر حفظ القرآن الكريم وهذا بكتّاب القرية مبتدئا بحفظ القرآن دون فهم لمعاني الكتاب وهذا بسبب طريقة التلقين المعتمدة في الكتاتيب، وقد أتّم الغزالي الحفظ وعمره عشر سنين، كما أنّ اشتغاله بعلوم اللغة والأدب وهذا تطييبا لميوله النفسية هي عوامل أثرت إيجابا في جودة الشيخ في التفسير، وبنائه على قواعد لغوية متينة، ولما كانت مواصلة الشيخ لرحلته في طلب العلم مستمرة بالدراسة أولا في الثانوية الأزهرية بالإسكندرية ثم جامعة الأزهر فلا عجب أن نرى مثل هذا المفكر يجعل من علمه بكتاب الله تعالى سبيلا لتصحيح الأوضاع التي عاشها في مصر بالإضافة إلى ما تعانيه الأمة الإسلامية من ضعف[2].

لقد ألّف الغزالي كتبا عديدة تمثل تراثا فكريا كبيرا وتدل على رحلة طويلة من التعامل مع القرآن الكريم والبحث ضمن آياته وفي ثنايا صوره عن السبيل الواقعي للنهوض بالأمة ورد العدوان عنها من أطراف متعددة[3].

ومن هذا التراث نختار نماذج من كتب كانت في موضوع دراسة القرآن وهي: **معركة المصحف في العالم الإسلامي:** حيث ساق الشيخ الغزالي فيه مثالا في كفران بعض الأقوام لنعمة الإسلام ولحقائق الدين فيقول: "وقد يكون في الأرض خليط هائل من البشر الذين يجحدون هذه الحقائق ويقصونها إقصاء عن أفكارهم

[1] –د. فضل عباس –الكلمة القرآنية –مجلة الشريعة –س 2 –ع 4 –ص 42.

[2] –مصطفى ونتن –القرآن في فكر الشيخ الغزالي –مجلة المعيار –الجزائر –قسنطينة –جامعة الأمير عبد القادر –كلية أصول الدين والشريعة –1422هـ/ 2001م –(233ص –24 سم) –ع 1 –ص8–9 بتصرف.

[3] –المرجع نفسه –ص 10 بتصرف.

وأفعالهم. وقد يكون فيها من يتّبع الهوى لا الهدى، ومن يحتبس نشاطه داخل النطاق الدنيوي البحت، بل قد يكون فيها من يحتقر الإيمان، ويضطهد أهله..!! وقد أخبر جلّ جلاله، بأنه لا يمدّ أتباعه بتأييده المرتقب ضد هؤلاء إلا إذا استجمعوا في سلوكهم خلال الخشية والأدب، وأصول التقوى والاستقامة.. فإذا فرّطوا.. تركهم.. [وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنّكم من أرضنا أو لتعودنّ في ملّتنا، فأوحى إليهم ربهم لنهلكنّ الظالمين. ولنسكنّنّكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد][1]، طرد الظالمين وتوريث الأرض لغيرهم، ما يكون إلا لمن خشي الله وحذر وعيده"[2].

المحاور الخمسة للقرآن الكريم: وهو يدخل ضمن التفسير الموضوعي على منهج جمع الآيات في الموضوع الواحد مع ملاحظة أهم المواضيع التي عني بها القرآن الكريم فبنى الكتاب على أساس خمسة محاور وهي أهم قضايا القرآن وهي: الله واحد، الكون الدال على خالقه، والقصص القرآني، والعلوم الإنسانية، وميدان التربية والتشريع، وتحت هذه المحاور مسائل جزئية[3].

فنجد أنه تناول في المحور الثالث القصص القرآني، وجعل عنصرا مُهمّا هو "القصص القرآني أداة للتربية"، وفيه يقول: "قصص القرآن قطع من الحياة الماضية، استرجعها الوحي الأعلى للتعليم والاعتبار... والقرآن الكريم عندما يقصّ ينفخ الحياة في القرون الهامدة فإذا هي حية تسعى، نسمع فيها ضجيج العراك بين المحقّين والمبطلين، إنّ شريط الأحداث يتحرك ليعيد علينا مراحل مضت من تاريخ الدنيا"[4].

---

[1] –إبراهيم: 13–14.

[2] –الشيخ محمد الغزالي –معركة المصحف في العالم الإسلامي –الجزائر –الجزائر –مكتبة الرحاب –د.س.ط –د.ر.ط –(282ص –24 سم) –ص21.

[3] –مصطفى ونتن –القرآن في فكر الشيخ الغزالي –مجلة المعيار –ع 1 –ص 11 بتصرف.

[4] –الشيخ محمد الغزالي –المحاور الخمسة للقرآن الكريم –الجزائر –عين مليلة –دار الهدى –د.س.ط –د.ر.ط –(252ص –24 سم) –ص 108.

ويقول في موضع آخر: "كان عمالقة عاد يقولون: من أشد منا قوة؟ وظهرت قوّتهم في بناء القصور الشاهقة وسكنى البروج والقمم بعد جعلها آيات في الفن والزخرفة! وقد قلنا إنّ الله سخّر للمؤمنين الأرض وما فيها، فليس بكثير عليهم أن يبنوا ما أحبوا، وأن يعلو القصور ما شاءوا.. المهم أن يعمروها بتقوى الله، وألاّ تكون تنفيسا عن مشاعر الغرور وعبادة الحياة الدنيا.. إنّ كثيرا من المتطاولين في البنيان جمعوا ثرواتهم من سرقة الكادحين، ومن تجارة المخدرات والرقيق الأبيض.. وقد استطاع الاستعمار العالمي أن يبني مدنا كبيرة بعرق الزنوج وأموال المغصوبين من سكان إفريقيا وآسيا، ثم سكن هذه العواصم المشيّدة من لا يعترفون لله بحق ولا يذكرونه بخير! ماذا تقول عندما ترى هذه المغاني الزاهرة؟ ألا تذكر قول القرآن الكريم لعاد: [أتبنون بكل ريع آية تعبثون. وتتّخذون مصانع لعلكم تخلدون. وإذا بطشتم بطشتم جبّارين...][1]. إنّ أمراض البشر متشابهة ودواؤها واحد، وقد جاءت صفة هذا الدواء القديم الجديد في نصيحة هود لقومه"[2].

وقد ساق الشيخ في نفس عنصر "القصص القرآني أداة للتربية" دعوة نوح عليه السلام قومه للإيمان وقارنها بما هو حادث في الأزمنة والأمكنة الأخرى من تمييز فئة على حساب الأخرى، والإيمان بنظام الطبقات الذي كان يؤمن به قوم نوح، كما أنه أعطى مثالا من القرآن تتعدّد فيه أنواع العذاب، غير أنّ الهلاك يبقى كائنا بوجود الأسباب. يقول الغزالي: "يقول تعالى [وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربّك بذنوب عباده خبيرا بصيرا..][3]، إنّ تاريخ المجتمع الإنساني مع ربه سيئ، لا تبيضّ صفحة منه بعمل صالح إلا سوّدت صفحات بأعمال رديئة.. وبدا أبناء آدم في صور دميمة، يسارعون إلى الشر أكثر مما يسارعون إلى الخير، ويغلب نداء الشهوة نداء العقل، وحب العاجلة حبَّ الآجلة... ولم يسكت القدر الساهر عنهم، فقد بيّن الله سبحانه أنه أوقع بالمجرمين ما يستحقون، وفصّل القصص القرآني

[1] –الشعراء: 128–130.

[2] –محمد الغزالي –المحاور الخمسة –ص 111.

[3] –الإسراء: 17.

ما أصاب المتمردين على الله المشاقين لرسله [فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون][1]، قلنا: إنّ أخطاء الأوّلين تتكرّر الآن في الحضارة التي تقود العالم، وتفرض عليه أساليبها في الحياة. ! وظاهر أنّ رذائل الترف والبطر والجحود والأثرة، تسود العالم الأول، وأنّ رذائل الفرعنة والمسكنة والبلادة الفكرية والنفسية تسود العالم الثالث.. مع ذهول عن الله يلفّ الجميع، وإخلاد إلى الأرض وعكوف على ملذّاتها... أما الدين فقلما يتجاوز المظهر إلى الجوهر.. "[2].

كما تناول في المحور الخامس "ميدان التربية والتشريع" عنصرا مهمّا وهو "إنّ الله لا يحب الفرحين" وساق بعض الفوائد من قصة قارون حيث يقول: "وفي قصّة قارون نرى أنّ الله –سبحانه وتعالى– أعلن كراهيته لأمرين يصحبان الغنى المفرط: أوّلهما: امتلاء النفس بفرح خبيث، يدفع إلى ثانيهما: وهو البطر والغرور وازدراء الغير وعبادة الذات، وقد لاحظ قوم قارون هذا كله على رجلهم الواسع الثراء فقالوا له: [لا تفرح إنّ الله لا يحب الفرحين][3]، ماذا يجب على رجل وسّع الله عليه وكثر خير الله عنده؟ [وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنّ الله لا يحب المفسدين][4] وظاهر أنّ المال الممدود والحكم المطلق عاملان خطيران في إذلال العباد وتدمير البلاد، والمسلمون من أمد غير قريب منكوبون بهذا البلاء المزدوج..."[5].

---

[1] –العنكبوت: 40.

[2] –محمد الغزالي –المحاور الخمسة –ص 114.

[3] –القصص: جزء من آية 76.

[4] –القصص: 77.

[5] –محمد الغزالي –المحاور الخمسة –ص 238.

كيف نتعامل مع القرآن: وهو مدارسة أجراها معه الأستاذ عمر عبيد حسنة، تعدّ تثبيتا لنتائج تجارب عُمْرٍ من التعامل مع القرآن الكريم، اقترحها المعهد العالمي للفكر الإسلامي استبقاء للتجربة للاستفادة حتى لا تضيع جهود العامل بوفاته، وقد وافق الشيخ على ذلك[1].

يقول –رحمه الله– تحت عنصر "تدبّر القرآن عاصم من السقوط الحضاري": "لعلّ القرآن الكريم تحدّث كثيرا عن أنّ الأتباع يلحقون متبوعيهم في جهنم، لكي يفطم النفوس عن هذه التبعية الذليلة [مالكم لا تناصرون. بل هم اليوم مستسلمون][2]، [وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنّا نعدّهم من الأشرار. أتّخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار][3]، [قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم...][4]، فهؤلاء الجبابرة سيتبرّأون من أتباعهم يوم القيامة وعندئذ يقول الأتباع المقهورون الأذلة [لو أنّ لنا كرّة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار][5]"[6].

نحو تفسير موضوعي للقرآن: اقترح فيه منهجا جديدا في البحث عن الوحدة الموضوعية لكل سورة وتقديمها على أنّها كلّ متكامل من الدروس والتوجيهات[7].

لقد تناول الشيخ قصصا قرآنية معينة بشيء من التفصيل وأخرى بإيجاز وجعلها تدور حول موضوع واحد أراد من خلاله أخذ الفائدة وهي العظة والاعتبار.

وقد قامت وزارة الشؤون الدينية برعاية منشورات المركز الثقافي الإسلامي بطبع كتاب يجمع نماذج من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وهي محاضرات

---

[1] –مصطفى ونتن –القرآن في فكر الشيخ الغزالي –مجلة المعيار –ع 1 –ص 11.

[2] –الصافات: 25–26.

[3] –ص: 62 –63.

[4] –سبأ: 32.

[5] –البقرة:167

[6] –محمد الغزالي –كيف نتعامل مع القرآن، مدارسة أجراها أ. عمر عبيد حسنة –المنصورة –دار الوفاء – الجزائر –الجزائر –دار الانتفاضة –د.س.ط –د.ر.ط –(236ص –21,5 سم) –ص 181، 182.

[7] –مصطفى ونتن –القرآن في فكر الشيخ الغزالي –مجلة المعيار –ع 1 –ص 11 بتصرف.

ألقاها فضيلة الشيخ بالمركز، وهي محاضرات لا تبتعد عن الخط الذي رسمه في تفسير القرآن.

ومن الأمثلة التي ساقها في هذه المحاضرات قوله: "قال تعالى: [أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالها][1]، ممكن جدا للأمم عندما تدرس تواريخ الماضين وقصص الماضي، أن تتجنب مزالق كثيرة، وأن تعلم أنّ النفس البشرية هي الأساس لإصلاح الحضارة وأنّ قصص القرآن عندما يتحدّث عن الأمم وعن النفوس فهو يتحدّث عن جوهر النفس الإنسانية عارية من كلّ شيء آخر، فالقرآن الكريم لا يعنيه أن يذكر في تاريخه زمانا أو مكانا، ليس سجلا للوفيات والمواليد، إذا ذكر انتصارات أو هزائم، فإنما يذكر الأسباب النفسية والاجتماعية"[2].

ولعله بإمكاننا أن نعقد مقارنة بسيطة على ما جاء به الشيخ الغزالي في هذا النوع من التفسير وبين ما تناوله الأستاذ سليمان عشراتي في كتابه الخطاب القرآني حيث جمع بعض الآيات من سور متعددة وجعلها تصّب في مصّب واحد ومثّل لها بالعناصر التالية:

1-الحدثية في القصة القطاعية.

2-الحدثية النمطية.

في العنصر الأول يقول: "الكثير من القصص المفتوح، يخرج في بنيته الموضوعية عن نطاق السيرة في تطوراتها المختلفة، ليربط حدثيته بمرحلة حاسمة، عاشها الفاعل، وهو بصدد إحداث التغير الجذري الذي شاءه الله، وانتدبه من أجل تحقيقه.. من هنا كان حادث البعثة، أساس هذه القصص القطاعية، فهي تتمحور في دائرة تتّصل بوقائع البعثة، وما يترتّب عنها من مصير..

---

[1] -محمد: 10.

[2] -محمد الغزالي -نماذج من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم -الجزائر -منشورات المركز الثقافي الإسلامي -وزارة الشؤون الدينية -د.س.ط -د.ر.ط -(158ص -20 سم) -ع 1 -محاضرة ألقيت يوم الاثنين 1405/4/15هـ-1985/1/7م -ص 35.

فالحدث في قصة كلّ من –هود –صالح –لوط –شعيب... وغيرهم من أنبياء الله ورسله تنطلق من زمن البعثة... دون أن يلتفت السرد إلى ماضي حياة الفاعل لأنّ التركيز في تلك القصص جاء لتوسيع الرؤية، والإخبار عن ملابسات الحدث التغييري، التبليغي، وعن تطورات الدعوة.. ففي سورة الشمس يصاغ الحدث القصصي على النحو التالي: [كذّبت ثمود بطغواها، إذ انبعث أشقاها، فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها فلا يخاف عقباها][1].

إنه سياق سردي، قد تواتر في مساقات عديدة (القمر، الذاريات، النمل، الشعراء، الإسراء، هود، الأعراف).. فقد تواتر أحيانا في صورة خبرية، كما في سورة الذاريات: [وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين. فعتوا عن أمر ربهم، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون. فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين][2].

وورد أحيانا في صورة حوارية، موقفية، كما جاء في سورة الأعراف، النمل، الشعراء، هود،الخ...

إنّ القصة القطاعية قصة مفتوحة، تركّزت سرديتها على مجال حيوي من حياة الفاعل وهو ينخرط في عملية تجذير أمر الله في الأنفس، ونشر دعوته عبر الآفاق، فالدعوة هي أساس الحدث في هذا النمط السردي القصصي، والتداعيات في القصة القطاعية، تتمحور جميعا حول هذا الحدث، لتضيئه من مستويات مختلفة، فتأتي السياقات متجددة، لكنها معبرة عن مرجعية حدثية واحدة هي الدعوة، وتحذير من عواقب الهلاك، ومن المصير المترتب عن الجحود"[3].

وفي العنصر الثاني يقول: "يسوق المنحى القصصي القرآني أحيانا القصة، وقد وجدت حدثيتها بين مجموعة من الفاعلين، فهم جميعا يواجهون في آن سردي

---

[1] –الشمس :11–15.

[2] –الذاريات: 43–45.

[3] –د. سليمان عشراتي –الخطاب القرآني –مقاربة توصيفية لجماليات السرد الإعجازي –الجزائر –ديوان المطبوعات الجامعية –1989 –د.ر.ط –(225ص –22سم) –ص 85، 86.

واحد إشكالا شركيا واحدا، ويحاجون بمنطق توحيدي واحد، ويتعرضون لمدافعات واحدة.. فالأدبية السردية في هذا المنزع القصصي القرآني تنمط الحدثية، فتجعل الأبعاد فيها (الزمانية المكانية) تتطابق، أو تتّحد، كأنما أصبح مجموعة الفاعلين، فاعلا واحدا، قد بعث، وصارع قوى الشرك في مكان وزمان معينين..

من ذلك ما جاء في سورة إبراهيم: [ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله][1] فسياق الحدثية تعميمي، كما هو واضح هنا [جاءتهم رسلهم بالبينات فردّوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أُرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب][2] فالفاعلون في هذه القصة، هم كل الأنبياء والمرسلين، وموقف الأقوام المبعوثون إليهم في كل زمان ومكان موقف امتعاضي، استنكاري واحد، وحجج الحق التي قدموها لهؤلاء المكذبين واحدة:

بل حتى اللهجة الإفضائية واحدة، في قطعيتها، وشرطيتها [وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنّكم من أرضنا أو لتعودنّ في ملّتنا][3][4]

فنجد أنّ هناك نقاط تشابه بين الأستاذين في أنّ كلاهما تناول القصة القرآنية في الأمم الهالكة بنفس الفكرة وهي أنّ الفعل يبقى نفسه برغم تغير الفاعل وتغير الزمان والمكان، فالشخص الظالم في زمن فرعون هو غير الشخص الظالم في زماننا، ولكن فعل الظلم هو القائم في كل زمان ومكان.

وأما نقاط الاختلاف فهي متعددة، احداها الأسلوب الذي استعمل من طرف الأستاذين والمنهج المتبّع في التدليل على الكلام بالآيات القرآنية.

---

[1] –إبراهيم: 9.

[2] –إبراهيم: 9.

[3] –إبراهيم: 13.

[4] –المرجع السابق –ص 89.

لقد ورد في القرآن ألوان مختلفة من القصص منها ماهو في اللّون التاريخي الّذي محوره الشخصيات التاريخية أمثال الأنبياء والرّسل عليهم السلام.[1]

و طبيعة طرقها تخضع لهدف أسمى وهو الدّعوة إلى التّوحيد، ومـــا يؤكّـــد أيضا أنّ الأخبار الّتي حظيت بالذكر،لم يكن القصد منها عرض وقائع تاريخية لذاتها وإنّما ما يستفاد منها ممّا يصلح لخدمة موضوعات الدّعوة وعهد النزول وما بعـــده من الأزمنة المتعاقبة.[2]

و ممّا سبق يتبين أنّ ما جاء في القرآن من قصص تتعلق بالأمم السابقة والّتي أنزل الله ببعضها الهلاك لم يكن الهدف من ذكرها مجرّد سياق تاريخي وإنّما إبلاغ الأمم الّتي تأتي بعدها، من أجل العظة والاعتبار، وهذا هو المقصد العـــام للقـــرآن الكريم.

[1] د. محمد زعراط – الإنسان في القرآن الكريم: مقاربة فكرية تحليلية لمبدأ الخلق الإنساني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات القرآنية– إشراف: أ.د سليمان عشراتي – الجزائر – وهران– جامعة وهران– معهد اللغة العربية و آدابها –س الجامعية : 1997–1998م– 343 ص– 30سم– ص 159.

[2] نفس المرجع– ص 160.

الخاتمة :

بعد هذه الجولة في موضوع البحث، و بعد سنوات عديدة من التنقيب في موسوعتنا التراثية أستطيع أن أصل إلى بعض النتائج التي خلصت إليها، و هي كالآتي:

- أنّ القرآن الكريم الذي هو كلام الله المعجز باللفظ و المعنى، و الذي يعتبر كمصدر تاريخي أصدق المصادر، قد تعرّض إلى جملة من الانتقادات، و قد أثيرت بشأنه العديد من الشبه و المطاعن لإثارة البلبلة و الشك في صدور معتنقيه، و كذا المقبلين عليه من غير المسلمين.
- أنّ القرآن الكريم تناول جوانب متعددة من الأمور الدينية و الدنيوية، و لقد كان للقصص القرآني نصيب أوفر من الحديث.
- أنّ الحضارة التي تمثل حياة الأمم و تطورها المادي و الروحي قد تعرضت إلى جملة من التعريفات، تصب كلها في مصب واحد هو التطور المادي.
- أنّ هلاك الأمم مرتبط بأسباب موضوعية معقولة كانت سببا في نزول العذاب الدنيوي بهذه الأمم.
- أن الأمم الهالكة كان موضوعها مستمدا من النص القرآني لما يحمله هذا الموضوع من أهمية لارتباطه بمسألة العقيدة.
- أنّ هلاك الأمم الدنيوي من ناحية القرآن لم يكن بسبب الكفر لوحده و لكن بإضافة أسباب أخرى موضوعية بمعنى أنه كانت أسباب متعددة.
- أنّ الأقلام التي كتبت في البلاغة القرآنية و التي تناولت موضوع الأمم الهالكة كانت كثيرة وشملت العلماء الأقدمين و كذا المحدثين.
- أنّ الكلمة القرآنية و النظم القرآني وجدنا أنهما قد عولجتا بشكل مكثف من طرف جمع كبير من العلماء.
- أنّ مواضيع القرآن في البلاغة والأسلوب قد أنشأت مدارس فكرية استفاد منها اللاحقون فضلا عن السابقين وما زالت تجود بالأفكار.

وبعد إجمالي لهذه النتائج، أستطيع أن أؤكد على نقطة مهمة و التي ما زالت عالقة بواقعنا المعاصر و هي: لماذا يخفي الكثيرون و على رأسهم الغرب أن العرب و المسلمين قد أفادوا الأمم الأخرى من حضارتهم، و لماذا يخفي الآخر حضارة الأمم البائدة و يلغيها بالتمام من قاموس التاريخ مع وجودها في زمن و مكان معينين، و لماذا يسم البعض– و حتى من المسلمين أمثال ابن خلدون العرب بأنهم قوم بدائيون لا يصلحون للحضارة، و ما دَخَل العرب أرضا إلا و تسارع إليها الخراب، و كأنّ العرب لم يخلقوا إلا ليلصق بهم كل وصف قبيح.

كما نستطيع أن نقف على حقيقة كانت ولا تزال منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا، وهو أنّ القرآن يبقى معجزا بلفظه ونظمه وأسلوبه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد، فهذا ما أردت التنبيه عليه من أهم النقاط التي أثيرت في هذا الموضوع، ولا أدعي السلامة في سلوك الطريق الأمثل، وكل ما أرجوه أن أكون بهذه الدراسة المتواضعة قد فتحت بابا للبحث يكون بناء محكما لأفكار جديدة تضيف للدرس البلاغي فوائد لا تقل أهمية عمّا أورده علماؤنا.

وفي الأخير أقدم أسمى معاني الشكر والتقدير وجزيل الوفاء إلى كل من ساهم في تعليمي فله كل شكر وجزاه الله خير الجزاء.

ملحق الفهارس(*)

1- فهرس الآيات القرآنية

2- فهرس الأحاديث النبوية

3- فهرس الأعلام

4- فهرس المصادر والمراجع

5- فهرس الموضوعات

---

* رتبت فهارس الملاحق (الأحاديث، الأعلام، المصادر والمراجع) حسب ترتيب الحروف الأبجدية على الطريقة المغربية وهي كالآتي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، صعفض، قرست، ثخذ، ظغش.

فهرس الآيات القرآنية

الفاتحة

[بِسْمِ اللّهِ الرّحْمـــَنِ الرّحِيمِ الْحَمْدُ للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ] [الفاتحة – الأية: 1–2] ---------- 16

البقرة

[فَإِن لّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتّقُواْ النّارَ الّتِي وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدّتْ لِلْكَافِرِينَ] [البقرة – الأية: 24] ---------- 29

[حَسَداً مّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مّن بَعْدِ مَا تَبَيّنَ لَهُمُ الْحَقّ] [البقرة – الأية: 109] ---------- 27

[لَوْ أَنّ لَنَا كَرّةً فَنَتَبَرّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرّءُواْ مِنّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النّارِ] [البقرة – الأية: 167] ---------- 170

[وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنّسْلَ] [البقرة – الأية: 205] ---------- 124

آل عمران

[كُنْتُمْ خَيْرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ [آل عمران – الأية: 110] ---------- 142

[وَحِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مّن رّبّكُمْ] [آل عمران – الأية: 50] ---------- 50

النساء

[وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مّن مّطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مّرْضَىَ أَن تَضَعُوَاْ أَسْلِحَتَكُمْ] [النساء – الأية: 102] ---------- 118

[إِن امْرُؤٌ هَلَكَ] [النساء – الأية: 176] ج ---------- 124

[وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيّئَةٍ فَمِن نّفْسِكَ] [الأية: 79] ----------

المائدة

[قُلْ لاّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطّيّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ] [المائدة: 100] ---------- 107

الأنعام:

[أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مّن قَرْنٍ مّكّنّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكّن لّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السّمَآءَ عَلَيْهِم مّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ] [الأية: 6]-- 46

[قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمّ انْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذّبِينَ] [الأية: 11] ---------- 46

[مّا فَرّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ] [الأية: 38] ---------- 38

[الّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوَا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـــئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مّهْتَدُونَ] [الأية: 82] -------- 101
[وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ] [الأية: 81] ---------- 102
[الّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوَا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ] [الأية: 82] ---------- 101
[وَلاَ تَسُبّوا الّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبّوا اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ] [الأية: 108]---------- 30
[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً] [الأية: 112]---------- 49
[وَكَذَلِكَ نُوَلّي بَعْضَ الظّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] [الأية: 129] ---------- 91
[قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوَا أَوْلاَدَكُمْ مّنْ إِمْلاَقٍ نّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النّفْسَ الّتِي حَرّمَ اللّهُ إِلاّ بِالْحَقّ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاّ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتّىَ يَبْلُغَ أَشُدّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلّفُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىَ وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ وَأَنّ هَـــذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتّبِعُوهُ وَلاَ تَتّبِعُوا السّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ] [الأية: 151-153]---------- 31

الأعراف:

[وَإِلَىَ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتّقُونَ قَالَ الْمَلأُ الّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنّا لَنَظُنّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنّي رَسُولٌ مّن رّبّ الْعَالَمِينَ أُبَلّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مّن رّبّكُمْ عَلَىَ رَجُلٍ مّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوَا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوَا آلاءَ اللّهِ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ] [الأية: 65-69] ---------- 104
[وَإِلَىَ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُمْ بَيّنَةٌ مّن رّبّكُمْ هَـــذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيَ أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٍ وَاذْكُرُوَا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوَا آلاءَ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ] [الأية:73- 74]---------- 80
[وَلَوْ أَنّ أَهْلَ الْقُرَىَ آمَنُوا وَاتّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مّنَ السّمَآءِ وَالأَرْضِ] [الأية: 96] ----- 68
[وَلَوْ أَنّ أَهْلَ الْقُرَىَ آمَنُوا وَاتّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مّنَ السّمَآءِ وَالأَرْضِ وَلَـــكِن كَذّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] [الأية: 96] ---------- 43

[فَأَلْقَىَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّاظِرِينَ] [الأية:107-108] --- 96
[فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمّلَ وَالضّفَادِعَ وَالدّمَ آيَاتٍ مّفَصّلاَتٍ] [الأية: 133] ----- 165
[وَلَمّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرّجْزُ قَالُواْ يَمُوسَىَ ادْعُ لَنَا رَبّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنّا الرّجْزَ لَنُؤْمِنَنّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنّ مَعَكَ بَنِيَ إِسْرَآئِيلَ فَلَمّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرّجْزَ إِلَىَ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمّ بِأَنّهُمْ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ] [الأية: 134-136]---------- 95

التوبة:

[التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون] [الآية: 112] ---------- 141
[فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ] [الأية: 2] ---------- 141

يونس:

[فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَا] [الآية: 98]---------- 68
فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَا إِلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمّآ آمَنُواْ] [الآية: 98] ---------- 68

هود:

[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ] [الأية: 11] ---------- 132
[قَالُواْ يَنُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ قَالَ إِنّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِيَ إِنْ أَرَدْتّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيَءٌ مّمّا تُجْرَمُونَ]
[الأية:32-35] ---------- 97
[وَأُوحِيَ إِلَىَ نُوحٍ أَنّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الّذِينَ ظَلَمُوَاْ إِنّهُمْ مّغْرَقُونَ] [الأية: 36-37] ---------- 98
[وَقِيلَ يَأَرْضُ ابْلَعِي مَآءَكِ وَيَسَمَآءُ أَقْلِعِي] [الأية: 44] ---------- 134
[قِيلَ يَنُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مّنّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىَ أُمَمٍ مّمّن مّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتّعُهُمْ ثُمّ يَمَسّهُمْ مّنّا عَذَابٌ أَلِيمٌ]
[الأية: 48]---------- 105
[إِنّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتّقِينَ] [الأية: 49] ---------- 105
[وَإِلَىَ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاّ مُفْتَرُونَ] [50] - 105

[وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ يَقَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِيَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوَاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ] [الأية:50- 52] -------- 46

[وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ] [هود: 85-86]---------- 107

[وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوَاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ] [الأية: 52]---------- 42

[وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ] [الأية: 117]----------

يوسف:

[لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ] [يوسف - الأية: 111] ---------- 72

إبراهيم:

[أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ] [الأية: 9]

---------- 173

[جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فِيَ أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ] [الأية: 9] ---------- 173

[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّـــكُمْ مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا] [الأية: 13] ------- 173

[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّـــكُمْ مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّـــكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ] [الأية:13-14]-- 167

النحل:

[وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ] [الأية:25] ---------- 92

[وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىَ لِلْمُسْلِمِينَ] [الأية: 89] ------- 13

[مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ] [الأية: 97] ---------- 43

[وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ] [الأية: 112] ---------- 100

[فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ] [الأية: 112] ---------- 102
[فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ] [الأية: 112] ---------- 108
[وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا
اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ] [الأية: 112] ---------- 157

الإسراء:

[إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً]
[الأية: 9]---------- 21
[وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً] [الأية: 17]---- 86
[وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً] [الأية: 17]---- 168
[وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً]
[الأية: 58] ---------- 67
[وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً]
[الأية: 58]---------- 154
[وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ] [الأية: 105]---------- 37

الكهف:

[وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً] [الكهف – الأية: 59] --------- 67

طه:

[وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىَ إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوَاْ إِنِّيَ آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّيَ آتِيكُمْ مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ
عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَىَ إِنِّيَ أَنَاْ رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ
فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىَ إِنَّنِيَ أَنَا اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِيَ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا
لِتُجْزَىَ كُلّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىَ] [الأية: 9–15] ---------- 92
[اذْهَبَآ إِلَىَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىَ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىَ] [الأية: 43–44] ------ 44
[اذْهَبَآ إِلَىَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىَ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىَ] [الأية: 43–44] ------ 92
[فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ] [الأية: 78] ---------- 141

الأنبياء:

[لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتَا] [الأية: 22] ---------- 32

[وَهَـذَا ذِكْرٌ مّبَارَكٌ] [الأية: 50]---------- 21

الحج:

[عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ] [الأية: 55] ---------- 120

المؤمنون:

[مَا اتَّخَذَ اللّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىَ بَعْض]

[الأية: 92]---------- 32

النور:

وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

وَلَيُمَكّنَنّ لَهُمْ دِينَهُمُ الّذِي ارْتَضَىَ لَهُمْ وَلَيُبَدّلَنّهُمْ مّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً] [الأية: 55] ---------- 42

الفرقان:

[تَبَارَكَ الّذِي نَزّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىَ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً] [الأية: 1]---------- 20

[أَسَاطِيرُ الأَوّلِينَ] [الأية: 5] ---------- 110

[اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىَ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً] [الأية: 5] ---------- 110

[وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَابَ الرّسّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً] [الأية: 38]---------- 86

[وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى الْقَرْيَةِ الّتِيَ أُمْطِرَتْ مَطَرَ السّوْءِ] [الأية: 40] ---------- 118

الشعراء:

[قَالَ رَبّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ] [الأية: 28] ---------- 93

[قَالَ لَئِنِ اتّخَذْتَ إِلَـهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ] [الأية: 29]---------- 91

[قَالَ لَئِنِ اتّخَذْتَ إِلَـهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ] [الأية: 29]---------- 94

[قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيءٍ مّبِينٍ] [الأية: 30] ---------- 94

[قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ] [الأية: 31]---------- 94

[أَتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّارِينَ] [128-130]

---------- 162

[أَتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّارِينَ فَاتّقُواْ اللّهَ

وَأَطِيعُونِ] [الأية: 128-131] ---------- 76

[أَتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ] [الأية: 128-132] ---------- 106

[كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَآ آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ] [الأية: 141-150] ---------- 80

[كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ قَالُوا لَئِن لّمْ تَنتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ قَالَ إِنّي لِعَمَلِكُمْ مّنَ الْقَالِينَ رَبّ نَجّنِي وَأَهْلِي مِمّا يَعْمَلُونَ فَنَجّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلاّ عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ ثُمّ دَمّرْنَا الآخَرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مّؤْمِنِينَ وَإِنّ رَبّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ] [الأية: 160-175] ---------- 104

[وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مّطَراً] [الأية: 173] ---------- 118

[كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنْ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنينَ] [الآية: 176-190]---------- 107

[وَإِنّهُ لَتَنزِيلُ رَبّ الْعَالَمِينَ] [الأية: 192] ---------- 21

[وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاّ لَهَا مُنذِرُونَ ذِكْرَىَ وَمَا كُنّا ظَالِمِينَ] [الأية: 208-209]---------- 100

[وَالشّعَرَآءُ يَتّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنّهُمْ فِي كُلّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ إِلاّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا] [الأية: 225-227] ----- 28

النمل:

[وَأُوتِيَتْ مِن كُلّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ] [الأية: 23] ---------- 156

القصص:

[إِنّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مّنْهُمْ يُذَبّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ] [الأية: 4] ---------- 88

وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ] [الأية: 4-5] ---------- 158

[وَنُرِيدُ أَن نّمُنّ عَلَى الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ] [الأية: 5] - 87

[قَالَ يَمُوسَىَ إِنّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنّي لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ] [الأية: 20] ----- 93

[وَجَآءَ رَجُلٌ مّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىَ قَالَ يَمُوسَىَ إِنّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنّي لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ] [الأية: 20] هامش---------- 151

[يَأَيّهَا الْملأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مّنْ إِلَـهٍ غَيْرِي] [الأية: 38] ---------- 87

[مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مّنْ إِلَـهٍ غَيْرِي] [الأية: 38] ---------- 90

[فَأَوْقِدْ لِي يَهَامَانُ عَلَى الطّينِ] [الأية: 38] ---------- 89

[فَأَوْقِدْ لِي يَهَامَانُ عَلَى الطّينِ فَاجْعَل لّي صَرْحاً لّعَلّيَ أَطّلِعُ إِلَىَ إِلَـهِ مُوسَىَ وَإِنّي لأَظُنّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ] [الأية: 38]---------- 91

[وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأَيّهَا الْملأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مّنْ إِلَـهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهَامَانُ عَلَى الطّينِ فَاجْعَل لّي صَرْحاً] [الأية: 38] ---------- 164

[وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ] [الأية: 58] ---------- 124

[وَمَا كَانَ رَبّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىَ حَتّىَ يَبْعَثَ فِيَ أُمّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنّا مُهْلِكِي الْقُرَىَ إِلاّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ] [الأية: 59]---------- 100

[لاَ تَفْرَحْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْفَرِحِينَ] [الأية: 76] ---------- 169

[وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآ إِنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوّةِ] [الأية:76]---------- 45

[وَابْتَغِ فِيمَآ آتَاكَ اللّهُ الدّارَ الأخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْمُفْسِدِينَ] [الأية: 77]---------- 45

[وَابْتَغِ فِيمَآ آتَاكَ اللّهُ الدّارَ الأخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ] [الأية: 77]

[إِنّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىَ فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنّ اللّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللّهُ الدّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنّ اللّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنّمَا أُوتِيتُهُ

عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِين وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ] [الآية: 76-83] ---------- 108

[كُلّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ] [الأية: 88] ---------- 124

العنكبوت:

[فَكُلاّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مّنْ أَخَذَتْهُ الصّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـكِن كَانُوَاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] [الأية: 40] -------- 169

[وَقَالُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مّن رّبّهِ قُلْ إِنّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَإِنّمَآ أَنَاَ نَذِيرٌ مّبِينٌ] [الأية: 50] - 23

لقمان:

[يَبُنَيّ لاَ تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] [الأية: 13] ---------- 101

[إِنّ اللّهَ عِندَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَيُنَزّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ] [الأية: 34] ---------- 117

الأحزاب:

[إِنّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً] [الأية: 72] ---------- 149

سبأ:

[وَمَزّقْنَاهُمْ كُلّ مُمَزّقٍ] [الأية: 19] ---------- 135

[لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ..... كُلُواْ مِن رّزْقِ رَبّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيّبَةٌ وَرَبّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدّلْنَاهُمْ بِجَنّتَيْهِمْ جَنّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجْزِيَ إِلاّ الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدّرْنَا فِيهَا السّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيّاماً آمِنِينَ فَقَالُواْ رَبّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوَاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزّقْنَاهُمْ كُلّ مُمَزّقٍ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ] [الأية: 15-19] ------- 81

[لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّاتِهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ] [الأية: 15-17] ---------- 103

[قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُّجْرِمِينَ] [الأية: 32] ---------- 170

[إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى [سبأ – الأية: 43] ---------- 110

فاطر:

[وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى] [الأية: 18] ---------- 49

يس:

[وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ] [الأية: 13-14] ---------- 150

[إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ] [الأية: 29]---------- 150

[أَإِن ذُكِّرْتُم] [الأية: 19] ---------- 150

[بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ] [الأية: 19] ---------- 150

[وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُّهْتَدُونَ] [الأية: 20-21] ---------- 150

[اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً] [الأية:21] ---------- 152

الصافات:

[مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ] [الأية: 25-26] ---------- 170

[وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوَ آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ] [الأية: 36] ---------- 110

ص:

[وَقَالُوا مَا لَنَا لاَ نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الأَشْرَارِ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَـــرُ] [الأية: 62-63] ---------- 170

[قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ] [الأية: 82-83]---------- 50

غافر:

[كَــذّبَتْ قبْلَهُمْ قوْمُ نُوحٍ وَالأحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمّتْ كُــلّ أُمّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ وَكَذَلِكَ حَقّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ عَلَى الّذِينَ كَفَرُوَا أَنّهُمْ أَصْحَابُ النّارِ] [الأية:5- 6] ---------- 126

[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ] [الآية: 23-24] ---------- 108

فصلت:

[فَأَمّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدّ مِنّا قُوّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنّ اللّهَ الّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ] [الأية: 15] ---------- 73

[فَأَمّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدّ مِنّا قُوّةً] [الأية: 15] --------- 75

[فَأَمّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدّ مِنّا قُوّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنّ اللّهَ الّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً] [الأية: 15] ---------- 105

[وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مّمّن دَعَآ إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ] وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السّيّئَةُ ادْفَعْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنّهُ وَلِيّ حَمِيم وَمَا يُلَقاهَا إِلاّ الّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقاهَآ إِلاّ ذُو حَظّ عَظِيمٍ] [الأية: 33-35] ---------- 30

[لاّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] [الأية: 42]---------- 37

الشورى:

[شَرَعَ لَكُم مّنَ الدّينِ مَا وَصّىَ بِهِ نُوحاً وَالّذِيَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىَ وَعِيسَىَ أَنْ أَقِيمُوا الدّينَ وَلاَ تَتَفَرّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ] [الأية: 13] ---------- 100

[وَمَآ أَصَابَكُمْ مّن مّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ] [الأية: 30] ----------

الدخان:

[حمَ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ] [الأية: 1-2] ---------- 21

محمد:

[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمّرَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا] [الأية: 10]---------- 171

الذاريات:

[فَتَوَلَّىَ برُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ] [الأية: 39] ---------- 110
[وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ] [الأية: 41]---------- 120
[وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىَ حِينٍ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ فَمَا
اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ] [الأية: 43-45]---------- 172

النجم:

[وَثَمُودَ فَمَآ أَبْقَىَ] [الأية: 51] ---------- 118

القمر:

[جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ] [الأية: 14] ---------- 102
[إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرّ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ] [الأية
19-20] ---------- 121
[وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ] [الأية: 36]---------- 164

الحديد:

[وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ] [الأية: 7] ---------- 100
[آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ] [الآية: 7] ---------- 107

الطلاق:

[وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ] [الأية:
2-3] ---------- 42

القلم:

[وَإِنَّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ] [الأية: 4] ---------- 27

الحاقة:

[فَهَلْ تَرَىَ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ] [الأية: 8] ---------- 119
[هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ] [الأية: 29] ---------- 123
[وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ] [الأية: 42] ---------- 110

نوح:

[إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىَ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن
اعبُدُوا اللّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ] [الأية: 1-3] ---------- 96

فقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفّاراً يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً] [الأية: 10-12] ---------- 42

[وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً] [الأية: 23] ----- 95

[قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً وَمَكَرُوا مَكْراً كُبّاراً وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلّوا كَثِيراً وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً] [الأية: 21-24] ---------- 96

الجن:

[عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً] [الأية: 26] ---------- 92

المدثر:

[ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً] [الأية: 11] ---------- 46

القيامة:

[إِنّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] [الأية: 17-18] ---------- 15

الواقعة:

[إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ] [الأية: 77] ---------- 20

النازعات:

[اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى] [17-19] -- 92

[فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى] [الأية: 21- 25] ---------- 93

[فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى] [الأية: 24] ---------- 90

الفجر:

[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ] [الأية: 6-8] ----- 105

[وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ] [الأية: 9] ---------- 77

[وَفِرْعَوْنَ ذِى الأَوْتَادِ] [الأية: 10] ---------- 89

البلد:

[لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ] [الأية: 4] ---------- 04

الشمس:

[كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ نَاقَةَ اللّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا] [الأية: 11-15]---------- 172

الليل:

[فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى] [الأية: 5- 10]---------- 42

الشرح:

[أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ] [الأية: 1] ---------- 13

المسد:

[تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ] [الأية: 1]---------- 28

الناس:

[مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاس] [الأية: 6]---------- 16

الطور:

[فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ] [الأية: 34] ----------

فهرس الأحاديث النبوية

نص الحديث	الراوي	الصفحة
"إنّ الله خلق للجنة أهلا...."	مسلم	28
"إن هذا القرآن مأدبة الله ..."	الدارمي والحاكم	38
"ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي ..."	مسلم	23

فهرس الأعلام

العـــــلم	اسمه الكامل	صفحة
أبو زهرة	محمد	156
ابن باديس (1308-1359هـ)	عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي	66
ابن نبي (1323-1393هـ)	مالك	67
ابن عاشور (1296-1394هـ)	محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر	147
الأشعري (260-324هـ)	أبو الحسن علي بن إسماعيل	13
الباقلاني (338-403هـ)	أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم	124
الجاحظ (150-255هـ)	أبو عمرو عمرو بن بحر	116
الجرجاني (400-471هـ)	أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد	129
الزجّاج	أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل	13
الزمخشري (467-538هـ)	أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد	136
الفراء (144-207هـ)	أبو زكريا يحي بن زياد	14
الرازي (544-606هـ)	أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين	14
الرافعي (1880م)	مصطفى الصادق	159
الرمّاني	علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن	119
اللحياني	أبو الحسن علي بن الحسن	13
الخطّابي (319-388هـ)	أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب	122
الغزالي	محمد	166
الشافعي (150-204هـ)	محمد بن إدريس	14

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ-المـــصادر:

1- ابن الجوزي- منتخب قرة العيون النواظر في الوجوب والنظائر في القرن الكريم (كتب الدراسات القرآنية)- تحقيق ودراسة: محمد السيد الصفطاوي، د/فؤاد عبد المنعم أحمد- مصر- الإسكندرية- نشأة المعارف- د.س.ط- د.ر.ط- (324 ص- 24 سم).

2- ابن القيم: محمد بن أبي بكر- التبيان في أقسام القرآن- د.ب.ط- دار الفكر- د.س.ط- د.ر.ط- (280 ص- 24 سم).

3- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل- قصص الأنبياء- تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز- الجزائر- الجزائر- دار الحديث- د.س.ط- د.ر.ط- (551 ص).

4- " " - تفسير القرآن العظيم- مج: 5، ج: 19، 22، مج: 6، ج: 27، مج: 7، ج: 29، 30- الجزائر- الجزائر- دار الثقافة- 1410هـ/1990م- ط1- طبعة مصححة مأخوذة عن مخطوط دار الكتب المصرية- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- وحدة الرغاية-(234 ص- 22،5سم).

5- ابن منظور: جمال الدين- لسان اللسان، تهذيب لسان العرب- ج:1- فصل الحاء. لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- 1413هـ/1993م- ط:1- (708 ص- 24 سم).

6- " " - لسان العرب- مج: 1- لبنان- بيروت- دار صادر- 1374هـ/ 1955م، 1412هـ/ 1992م- ط 1- (807 ص- 24 سم).

7- ابن تيمية: تقي الدين أحمد- الحسنة والسيئة- تقديم: د.محمد جميل غازي- لبنان- بيروت- دار الجيل- 1410هـ/1991م- (136 ص- 24 سم).

8- ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن محمد- مقدمة ابن خلدون- تحقيق: أ.حجر عاصم- لبنان- بيروت- منشورات دار ومكتبة الهلال- 1991م- د.ر.ط- (374 ص- 29،5 سم).

9- الآمدي: علي بن محمد- الإحكام في أصول الأحكام- تحقيق: د. السيد جميل- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- 1418هـ/1998م-(351 ص- 24،5 سم).
10- الأصفهاني: الراغب- المفردات في غريب القرآن- تحقيق: محمد خليل عيتاني- لبنان- بيروت- دار المعرفة- 1418هـ/ 1998م- ط: 1- (555 ص- 24سم).
11- الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الر حمن بن محمد- نزهة الألباء في طبقات الأدباء- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- مصر- القاهرة- دار الفكر العربي- 1998م- د.ر.ط-(428 ص- 24 سم).
12- الأنصاري: ابن هشام- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- تحقيق: ح.الفاخوري- لبنان- بيروت- دار الجيل- 1409هـ/1989م- ط:1-(334 ص- 24 سم).
13- الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب- إعجاز القرآن(دخائر العرب12)- تحقيق: السيد أحمد صقر- مصر- القاهرة- دار المعارف- 1963م- د.رط-(393 ص- 24 سم).
14- " "- نكت الانتصار لنقل القرآن(كتب الدراسات القرآنية1)- دراسة وتحقيق: د.محمد زغلول السيد- مصر- الإسكندري- منشأة المعارف- د.س.ط- د.ر.ط- (24 سم).
15- الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر- البيان والتبيين- لبنان- تحقيق: د.درويش الجويدي- صيدا- بيروت- المكتبة العصرية- 1420هـ/1999م- ط:1- (647 ص- 24 سم).
16- الجرجاني: عبد القاهر- أسرار البلاغة في علم البيان- تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، الشيخ أسامة صلاح الدين منيمنة- لبنان- بيروت- دار إحياء العلوم- 1412هـ/1992م- ط:1-(518 ص- 24 سم).
17- " " - دلائل الإعجاز- تحقيق: د.محمد رضوان الداية، د.فايز الداية- د.م.ط- دار ابن قتيبة- 1403هـ/1983م- ط:1- (466 ص- 24 سم).
18- الزمخشري: أبو القاسم جار الله- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- ويليه الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لأحمد بن حجر العسقلاني- ج: 1- لبنان- بيروت- دار المعرفة- د.س.ط- د.ر.ط-(375ص- 28 سم).
19- " " - أساس البلاغة- تحقيق: أ.عبد الرحيم محمود- لبنان- بيروت- دار المعرفة- د.س.ط- د.ر.ط- (514 ص- 24 سم).

20- الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله- البرهان في علوم القرآن- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- لبنان- بيروت- صيدا- المكتبة العصرية- 1391هـ/1972م- ط:2-(503 ص- 24،5 سم).

21- الطبري: محمد بن جرير- جامع البيان في تفسير القرآن- وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين حسين بن الحسين النيسابوري- ج: 8- مصر- بولاق- المطبعة الكبرى الأميرية- 1327هـ- ط:1- (168 ص- 28 سم).

22- المكودي: أبو زيد عبد الرحمن- شرح المكودي على الألفية- ضبط: إبراهيم شمس الدين- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- 1417هـ/ 1996م. ط: 1- (359 ص- 24سم).

23- المنوي: محمد عبد الرؤوف- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير- ج:2. د.ب.ط- دار الفكر- د.س.ط- د.ر.ط- (576 ص- 28 سم).

24- النووي- صحيح مسلم بشرح النووي- مج:8- ج:16. لبنان- بيروت- 1401هـ/1981م- (227ص- 28 سم).

25- العسكري: أبو هلال حسين بن عبد الله- كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر- تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم- عيسى البابي الحلبي وشركاه- د.م.ط- د.س.ط- ط:2- (24 سم).

26- الفيروز أبادي: مجد الدين محمد- القاموس المحيط- ج:1. لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- د.س.ط- د.ر.ط- (395 ص- 27 سم).

27- القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- تصحيح: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش- د.م.ط- د.د.ط- 1380هـ/1960م- ط:2- 404 ص- 28،5 سم- مج:7.

28- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن- الإتقان في علوم القرآن وبالهامش إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني (ج: 1،2)- ج: 1- لبنان- بيروت- دار المعرفة- د.س.ط- د.ر.ط- (200 ص- 28 سم).

29- الغزالي: أبو حامد- جواهر القرآن- تحقيق: د. الشيخ رشيد رضا القباني- الجزائر البليدة- قصر الكتاب- طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- وحدة الرغاية- 1989م- د.ر.ط- (215 ص- 23،5 سم).

30-الشوكاني: محمد بن علي- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- ج: 2- د.م.ط- عالم الكتب- د.س.ط- د.ر.ط-(543 ص- 24،5 سم).

31-دهمان: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل- سنن الدارمي- ج: 2- د.ب.ط- دار إحياء السنة النبوية- دار الكتب العلمية- د.س.ط- د.ر.ط-(474 ص- 24،5 سم).

32-خلف الله: محمد، سلام: محمد زغلول- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي- (ذخائر العرب 16)- مصر- دار المعارف- د. س.ط- د. ر. ط- (212ص- 24 سم).

ب- المراجـــــــع:

33- أبو زهرة: محمد- المعجزة الكبرى: القرآن- لبنان- بيروت- دار الفكر العربي- د. س. ط- (515ص- 24 سم).

34- أبو زيد: نصر حامد- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن- لبنان- بيروت- المركز الثقافي العربي- 1998م- ط:4-(24 سم).

35- أبو حمادة: محمد علي- من أساليب البيان في القرآن الكريم- الأردن- عمان- مكتبة الرسالة الحديثة- 1403هـ/1983م- د.ر.ط- (166 ص- 24 سم).

36- ابن باديس: عبد الحميد- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير- الجزائر- قسنطينة- دار البعث مطبعة وزارة الشؤون الدينية- 1402هـ/1982م- ط:1- (493 ص- 24 سم).

37-ابن نبي: مالك- القضايا الكبرى- (مشكلات الحضارة)- بإشراف ندوة مالك بن نبي- سورية- دمشق- دار الفكر- الجزائر- دار الفكر- دار الكتاب- ملكية للإعلام- 1412هـ/1991م- ط:1-(224ص- 23سم).

38- " "- الظاهرة القرآنية- (مشكلات الحضارة)- ترجمة: عبد الصبور شاهين- بإشراف ندوة مالك بن نبي- تقديم: محمد عبد الله دراز/ محمود محمد شاكر- الجزائر- دار الفكر- سورية- دمشق- دار الفكر- 1407هـ/1987م- ط:4- (328ص- 23،5 سم).

39-" " - مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي- ترجمة: د.أحمد شعبو، د.بسام بركة- إشراف وتقديم: المحامي عمر مسقاوي- سورية- دمشق- دار الفكر- الجزائر- الجزائر- الملكية للإعلام- 1413هـ/1992م- ط:1- (182ص- 23،5سم).

40-" " - تأملات- (مشكلات الحضارة)- إسراف: ندوة مالك بن نبي- سورية- دمشق- دار الفكر- دار الكتاب- الجزائر- ملكية للإعلام- 1412هـ/1991م- ط:1- (239 ص- 23،5سم).

41-ابن عاشور: الطاهر- تفسير التحرير والتنوير- تونس- تونس- الدار التونسية- 1984م- د.ر.ط- (371 ص- 25سم).
42- أحمد: أبو المجد- حقيقة كتاب صلة القرآن باليهودية والمسيحية- الجزائر- قسنطينة- دار البعث- 1406هـ/1986م- ط:1-(96 ص- 19،5سم).
43- الأبياري: إبراهيم- تأريخ القرآن- مصر -القاهرة- دار الكتاب المصري- لبنان- بيروت- دار الكتاب اللبناني- 1411هـ/1991م- ط:3- (199 ص- 24 سم).
44- البغا: مصطفى ديب، مستو: محي الدين ديب- الواضح في علوم القرآن- سورية- دمشق- دار الكلم الطيب- دار العلوم الإنسانية- 1418هـ/1998م- ط:2-(336 ص- 24 سم).
45- الجوزي: محمد علي- مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة- لبنان- بيروت- دار العلم للملايين- 1983م- ط:2- (304 ص- 24 سم).
46- الجميلي: السيد-الإعجاز الفكري في القرآن . (الموسوعة الإسلامية الكبرى)-لبنان بيروت -دار ابن زيدون -د.س.ط- ط :2- (112ص- 24 سم).
47- الجويني: مصطفى الصاوي- جماليات المضمون والشكل في الإعجاز القرآني- مصر- الإسكندرية- القاهرة- مطبعة أطلس القاهرة- د.س.ط- د.ر.ط- (148 ص- 24 سم).
48- الزين: سميح عاطف- الأمثال والمثل والتمثل والمثولات في القرآن الكريم- (مجمع البيان الحديث)- لبنان- بيروت- دار الكتاب اللبناني- 1407هـ/1978م- ط:1- (672 ص- 24 سم).
49- " "- قصص الأنبياء في القرآن الكريم- (مجمع البيان الحديث)- لبنان- بيروت- دار الكتاب اللبناني- الشركة العالمية للكتاب- مكتبة المدرسة- دار العالم الإسلامي- الدار الإفريقية العربية- 1408هـ/1988م- ط:4- (720 ص- 24 سم).
50- " " - تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم- (مجمع البيان الحديث)- لبنان- بيروت- دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة- 1404هـ/1984م- ط:2.
51- الزنداني: عبد المجيد- التوحيد- الجزائر- مطبعة دحلب- 1991م- د ر ط- (88 ص- 23 سم).

52- الزرقاني: محمد عبد العظيم- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج: 1- تصحيح: أمين سليم الكردي- لبنان- بيروت- إحياء التراث العربي- 1416هـ/ 1995م- ط:1- (676 ص- 24 سم).

53- الحفناوي: محمد إبراهيم- دراسات في القرآن الكريم- مصر- القاهرة- دار الحديث- د س ط- د ر ط- (485 ص- 24 سم).

54- الطالبي: عمار- ابن باديس حياته وآثاره- مج: 1- الجزائر- الشركة الجزائرية- دار الغرب الإسلامي- ط: 3- 1417هـ/1979م- لبنان- بيروت- دار صابر- 1997م- د ر ط- (406 ص- 24،5سم).

55- المدخلي: ربيع بن هادي- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل- المملكة العربية السعودية-المدينة النبوية- مكتبة الغرباء- الأثرية الجزائر- البليدة- دار المعارف العلمية- قصر الكتاب- 1414هـ/1993م- ط:2- (208 ص- 24 سم).

56- المهدي: جودة محمد- الواحدي ومنهجه في التفسير- مصر- القاهرة- وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة التعريف بالإسلام.

57- النّورسي: بديع الزمان سعيد- إشارة الإعجاز في مظان الإيجاز- (من رسالة النور)- تركيا- أنقرة- مطبعة النور- 1378هـ/1959م- د رط- (134 ص- 24 سم).

58- النّمر: عبد المنعم- علوم القرآن الكريم- مصر- القاهرة- لبنان- بيروت- دار الكتب الإسلامية- دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني- 1403هـ/ 1983م- ط: 2- (230 ص- 24 سم).

59- الصّابوني: محمد علي- النبوة والأنبياء- المملكة العربية السعودية- دار الصابوني- 1390هـ.

60- الصّدّيق: محمد الصّالح- البيان في علوم القرآن- الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب- 1989م- د. ر. ط- (343 ص- 21 سم).

61- الصّعيدي: عبد الحكم عبد اللّطيف- حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم- مصر- القاهرة- مدينة نصر- مكتبة الدار العربية للكتاب- 1416هـ/ 1996م- ط: 1- (217 ص- 19,5 سم).

62- العقاد: عبّاس محمود- الفلسفة القرآنية- (الأعمال الكاملة)- د. ب. ط- دار الهلال- 1988م- د. ر. ط- (191 ص – 23,5 سم)

63- القطّان: منّاع- مباحث في علوم القرآن- مصر- القاهرة- مطابع المختار الإسلامي- مكتبة وهبة- 1408هـ/ 1990م- ط: 6- (392 ص- 24 سم).

64- القاسمي: محمد جمال الدين- تفسير القاسمي المسمّى محاسن التأويل- مج: 7- ج: 13- تحقيق: أحمد بن علي، حمدي صبح- مصر- القاهرة- دار الحديث- 1424 هـ/ 2003م- د. ر. ط- (719 ص- 24 سم).

65- الرّافعي: مصطفى الصّادق- إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- 1410هـ/ 1990م- ط: 8- (350 ص- 24 سم).

66- السّحمراني: أسعد- مالك بن نبي "مفكّرا إصلاحيا"- لبنان- بيروت- دار النفائس- 1406هـ/ 1986م- ط: 2- (264 ص- 24 سم).

67- النّومي: محمد- الجدل في القرآن الكريم فعاليّته في بناء العقلية الإسلامية- الجزائر- شركة الشّهاب- د. س. ط- د. ر. ط- (302 ص- 20,5 سم).

68- الذهبي: محمد حسين- التّفسير والمفسّرون- ج: 1- مصر- القاهرة- دار أم القرى- مكتبة وهبة- 1409هـ/ 1988م- ط: 4- (463 ص- 24 سم).

69- الغزالي: محمد- المحاور الخمسة للقرآن الكريم- الجزائر- عين مليلة- دار الهدى- د0 س.ط- د. ر. ط- (252 ص- 24 سم).

70- " "- كيف نتعامل مع القرآن، مدارسة أجراها أ. عمر عبيد حسنة- المنصورة- دار الوفاء- الجزائر- دار الانتفاضة- د. س. ط- د. ر. ط- (236 ص- 21,5 سم).

71- " "- معركة المصحف في العالم الإسلامي- الجزائر- مكتبة الرّحاب- د. س. ط- د. ر.ط- (282ص- 24 سم).

72- " " – نماذج من التّفسير الموضوعي للقرآن الكريم- ع: 1- محاضرة القيت يوم الاثنين 15/ 4/ 1405هـ- 7/ 1/ 1985م- الجزائر- منشورات المركز الثّقافي الإسلامي- وزارة الشّؤون الدّينية- د. س. ط- د. ر.ط- (158 ص- 20 سم).

73- الشّامي: خالد أحمد- بيان موقف شيخ الإسلام : الإمام الأكبر محمد الطّاهر بن عاشور من الشّيعة من خلال تفسيره التّحرير والتّنوير- تونس- مركز إحياء تراث آل البيت- 1429هـ/ 2005م- ط: 1- (162 ص- 19,5سم).

74- الشّريف: عبد السّلام- دراسات قرآنية- ليبيا- بنغازي- دار الكتب الوطنية- الدّار الجماهيرية- 1399هـ/ 1990م- ط: 1- (144 ص- 24 سم).

75- الشّريف: عدنان- من علم الطّب القرآني: الثّوابت العلمية في القرآن الكريم- لبنان- بيروت- دار علم الملايين- 1990م- ط: 1- (336 ص).

76- الشّرقاوي: حسن- الجدل في القرآن-(كتب الدّراسات القرآنية)- مصر- الإسكندرية- منشأة المعارف- د. س. ط- د. ر. ط- (150 ص- 24 سم).

77- الشّرقاوي: عفت- بلاغة العطف في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية- لبنان- بيروت- دار النّهضة العربيّة- 1981م- د. ر. ط- (274 ص- 24 سم).

78- إسماعيل: عزّ الدّين- نصوص قرآنية في النفس الإنسانية- لبنان- بيروت- دار النّهضة العربية- 1975م- د. ر. ط- (230 ص- 24 سم).

79- بلقاسم: بغدادي- المعجزة القرآنية- الجزائر- د. س. ط- د. ر. ط- (348 ص- 24 سم).

80- جمال: أحمد محمد- القرآن كتاب أحكمت آياته (2)- د. ب. ط- د. م. ط- د. د. ط- 1404 هـ/ 1984م- د. ر. ط- (126 ص- 21 سم).

81- جمعة: محمد لطفي- نظرات عصرية في القرآن الكريم- تقديم: جاد الحق علي جاد الحق- مصر- القاهرة- عالم الكتب- 1411هـ/ 1991م- د. ر. ط- (552 ص- 24 سم).

82- دوب: رابح- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرّابع الهجري- مصر- القاهرة- دار الفجر- 1997م- ط: 1- (568 ص- 24 سم).

83- ديدات: أحمد- القرآن معجزة المعجزات- ترجمة: يوسف بغول- مراجعة: مكتب الدّراسات- الجزائر- عين مليلة- دار الهدى- 1411هـ/ 1991م- ط: 1- (78 ص- 15 سم).

84- ديورانت: ول وايريل- قصة الحضارة- ج: 1- إعداد وترتيب: محمد عبد الرحيم- لبنان- بيروت- دار الجيل- 1412هـ/ 1992م- ط: 1- (1456 ص- 24 سم).

85- دراز: محمد عبد الله- النّبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن- الكويت- دار القلم- 1397هـ/ 1977م- د. ر. ط- (216 ص- 21 سم).
86- هيشور: محمد- سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها- الجزائر- دار الغرب للنّشر والتّوزيع- د. س. ط- د. ر.ط- (314 ص- 24,5 سم).
87- زنتوت: الأخضر- من قصص القرآن درس عملي في محبّي الخير ومنكريه- الجزائر- المطبعة الإسلامية- 1990م- د. ر. ط.
88- زعراط: محمّد- الإنسان في القرآن الكريم: مقاربة فكرية تحليلية لمبدأ الخلق الإنساني، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الدّراسات القرآنية: إشراف أ د: سليمان عشراتي- الجزائر- وهران- جامعة وهران- معهد اللّغة العربية وآدابها- السنة الجامعية: 1997- 1998م- (343 ص- 30 سم).
89- زرزور: عدنان- القرآن ونصوصه- سوريا- دمشق- مطبعة خالد بن الوليد- 1399- 1400هـ/ 1979- 1980م- د. ر. ط- (433 ص- 24سم).
90- زغلول: الشّحات السّيّد- من مناهج التّفسير- مصر- الإسكندرية- دار المعارف الجامعية- 1996م- د. ر. ط- (252 ص- 24 سم).
91- حجازي: محمد عبد الواحد- أثر القرآن الكريم في اللّغة العربية- مصر- الإسكندرية- دار الوفاء- 1998م- د. ر. ط- (155 ص- 24 سم).
92- كنون: عبد الله- الرّد القرآني على كتيب "هل يمكن الاعتقاد بالقرآن...؟ "- لبنان- بيروت- دار الكتاب اللّبناني- بيروت- دار النّهضة العربيّة- 1981م- د. ر. ط- (363 ص- 24 سم).
93- كفافي: محمد عبد السّلام، الشّريف: عبد اللّه- في علوم القرآن: دراسات ومحاضرات- لبنان- بيروت- دار النّهضة العربية- 1981م- د. ر. ط- (363 ص- 24 سم).
94- لاشين: عبد الفتاح أحمد- البديع في ضوء أساليب القرآن- مصر- القاهرة- دار الفكر العربي- أميرة للطباعة- 1419هـ/ 1999م.
95- مذكور: علي أحمد- منهج التّربية في التّصور الإسلامي- لبنان- بيروت- دار النّهضة العربية- 1411هـ/ 1990م- د. ر. ط- (543 ص- 24سم).

96- مهدي : عبد الحميد- أمة القرآن -الجزائر- شركة الشهاب- 1987م- د.ر.ط - (238ص-21سم).

97-مهران : محمد بيومي- دراسات تاريخية من القرآن الكريم- (1) : في بلاد العرب، (2) : في مصر، (4) : في العراق- مصر- الإسكندرية - دار المعرفة الجامعية- 1995م- د.ر.ط- (440ص-24سم).

98- محمود : عبد الحليم- القرآن في شهر القرآن- الجزائر- قسنطينة- مكتبة الرحاب- 1988م/1408هـ- د.ر.ط- (176ص-24سم).

99- متولي : صبري- منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم : دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية- مصر- القاهرة- دار الثقافة- 1986م- د.ر.ط- (469ص-23سم).

100- صالح : صبحي- الإسلام والمجتمع العصري- (سلسلة الإسلام الحضاري(1))- لبنان- بيروت- منشورات دار الآداب- 1983م- ط2- (272ص-24سم).

101- عباس : فضل حسن- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته- (السلسلة القرآنية من أنوار التنزيل)- الجزائر- شركة شهاب- 1989م- د.ر.ط- (453ص-24سم).

102- عبد الباقي: محمد قؤاد -المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف -مصر -القاهرة -دار الحديث -1408هـ/1988م -ط2 -(950 ص-25سم).

103- عبد اللطيف : عبد العزيز بن محمد- نواقض الإيمان القولية والعملية- المملكة العربية السعودية- الرياض- دار الوطن- 1415هـ- ط2.

104- عبد العزيز : أمير- دراسات في علوم القرآن- الجزائر- باتنة- د.م.ط- 1408هـ/1988م- ط2-(289ص).

105- عناية : غازي- هدى الفرقان في علوم القرآن- ج :1- الجزائر- باتنة- درا الشهاب- 1408هـ/1988م- د.ر.ط-(307ص-22,5سم).

106- عرجون : محمد الصادق- القرآن العظيم بدايته وإعجازه في أقوال المفسرين- مصر- القاهرة- مكتبة الكليات الأزهرية- 1386هـ/1966م- د.ر.ط- (328ص-25سم).

107- عشراتي : سليمان- الخطاب القرآني : مقاربة توصيفية لجمليات السرد الإعجازي- الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية- 1989م- د.ر.ط- (225ص-22سم).

108- فضل الله : محمد حسنين- الحوار في القرآن : قواعده، أساليبه، معطياته- ج :1- الجزائر- قسنطينة- دار المنصوري للنشر- الجزائر- بومرداس- مطبعة سراوي- د.س.ط- د.ر.ط- (210ص-22سم).

109- فريد : احمد- تحذير الداني والقاصي من عقوبات الذنوب والمعاصي- جمع وترتيب : المؤلف- الجزائر- البليدة- دار الإمام مالك- جدة- الشرفية- مكتبة الصحابة- 1416هـ/1996م- ط : 2.

110- فريد : عائشة- منهج البحث البلاغي- مصر- القاهرة- دار قباء- 1977م- ط1- (145ص-24سم).

111- قاسم: محمود- الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية- مصر- القاهرة- دار المعارف- 1968م- د.ر.ط- (160ص-24سم).

112- قبلان : هشام- مع القرآن في الدين والدنيا- لبنان- بيروت- منشروات عويدات- فرنسا- باريس- منشورات البحر المتوسط- 1986م- ط1- (383ص-25سم).

113- قوش : سليمان عمر- الاكتشافات العلمية ودلالتها في القرآن الكريم- فطر- الدوحة- دار الثقافة- دار الحرمين- 1407هـ/1987م- ط1- (180ص-23,5سم).

114- قطب : سيد- في ظلال القرآن- مج :4- د.م.ط-د.د.ط- طبعة جديدة مشروعة رقم 13- 1407هـ/1987م.

115- قمحاوي : محمد الصادق- البرهان في تجويد القرآن، ويليه رسالة في فضائل القرآن- مصر- القاهرة- مكتبة الكليات الأزهرية- د.س.ط- د.ر.ط- (53ص-24سم).

116- - " "- شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردها- مصر- القاهرة- دار الكتب- دار الأنوار- 1389هـ/1978م- ط :1 - (185ص-23,5سم).

117- قنديل : عبد المنعم- التداوي بالقرآن- الجزائر- باتنة- دار الشهاب- مصر- القاهرة- مكتبة التراث الإسلامي-(77ص-24سم).

118- سلطان : منير- إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة- (الدراسات القرآنية (5))- مصر- الإسكندرية- منشأة المعارف- 1986م- ط :3- (292ص-24سم).

119- سليم : احمد أمين- عبد اللطيف : سوزان عباس- الدراسات في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور وحتى مجيء الإسكندر المقدوني- مصر- قناة السويس- دار المعرفة الجامعية- 1999م- د.ر.ط- (319ص-23,5سم).

120- سري : حسن- الرسم العثماني والمصحف الشريف، مدخل ودراسة- مصر- الإسكندرية- مركز الإسكندرية للكتاب- 1418هـ/1998م- ط : 1 - (319ص-24سم).

121- خليل : سيد احمد- دراسات في القرآن- لبنان- بيروت- دار النهضة العربية- 1969م-د.ر.ط- (171ص-24سم).

122- غلاب : عبد الكريم- صراع المذهب والعقيدة في القرآن- لبنان- بيروت- دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة- 1973م- ط :1- (408ص-23سم).

123- شيخون : محمود السيد- الإعجاز في نظم القرآن- مصر- القاهرة- مكتبة الكليات الأزهرية- 1398هـ/1978م- ط :1- (121ص-24سم).

124- " "- البلاغة الوافية- مصر- القاهرة- مكتبة الكليات الأزهرية- 1988م- د.ر.ط- (24سم).

ج-الدوائـــر :

125- أئمة المستشرقين- دائرة المعارف الإسلامية- مج :2، مج :6، مج :10- إشراف : الاتحاد الدولي للمجامع العلمية- النسخة العربية : إبراهيم زكي خورشيد، احمد الشنتاوي، د.عبد الحميد يونس- مصر- القاهرة- دار الشعب- 1969م- د.ر.ط- (611ص-28سم).

126- دائـــرة المعارف العالمية، باحثون عرب في مختلف المجالات- الموسوعة العربية العالمية- مج : 1، 2، 4، 8، 9، 10، 11، 14، 17، 22- المملكة العربية السعودية- الرياض- مؤسسة أعمال الموسوعة، مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية- 1999م- ط :2- (447ص-24سم).

127- وجدي : محمد فريد- دائرة معارف القرن العشرين- مج : 2، 3، 4، 6- لينان- بيروت- دار المعرفة- 1971م- ط :3- (800ص-24,5سم).

128- كتاب المعرفة- مدن ومدنيات- الشركة الشرقية للمطبوعات شركة تراد كسيم- شركة مساهمة سويسرية- جونيف- 1987م- (158ص-30سم).

د-الدوريات :

129- ابن مسعود : عبد المجيد- مفهوم المكر في القرآن الكريم- مجلة منار الإسلام- س : 26، ع : 2- الإمارات العربية المتحدة- أبوظبي- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف- صفر 1421هـ/ مايو 2000م- (98ص-27سم).

130- الأطرش : أحمد الشريف السنوسي- الرؤية الاستشراقية للقرآن وعلومه الدينية- مجلة الحضارة الإسلامية- ع : 7- الجزائر- جامعة وهران- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- دار الغرب- 1422هـ/2001م- (256ص-24سم).

131- " "- شرح ألفية بن مالك- محاضرات الشيخ الأطرش السنوسي في علم النحو- ألقى المحاضرة بمسجد الموحدين وهران بتاريخ 1421هـ/2000م- محاضرة العلم.

132- " "- خلافة الإنسان في الأرض- مجلة الحضارة الإسلامية- ع: 4- الجزائر- وهران- المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية- شعبان 1419هـ/ نوفبمر 1998م- (380ص-24سم).

133- البوطي : محمد سعيد رمضان- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن- كتاب الأصالة، ملتقى القرآن الكريم- ع: 15-الجزائر- قسنطينة- دار البعث- 1401هـ/1981م- (286ص-24سم).

134- البيومي : محمد رجب- صفحة من حياة المفسر الكبير محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام وأستاذ الأساتيذ- مجلة الأزهر- س : 73، ج : 7، قسم : 2- مصر- القاهرة- مجمع البحوث الإسلامية- رجب 1421هـ/أكتوبر 2000م- (1120ص- 27سم).

135- البشري : طارق، سفر : محمود محمد- فعالية القيم في الإقلاع الحضاري عند مالك بن نبي رحمه الله- مجلة جامعة الخليج العربي، منهج في الثقافة الإسلامية- ج :2- 1405هـ، 1408هـ/1985، 1988م- (376ص-24سم).

136- الجندي 0: أنور- مؤلفات في الميزان : الفن القصصي في القرآن الكريم لمحمد احمد خلف الله- مجلة منار الإسلام- س :9، ع : 7- رجب 1404هـ/ أفريل 1984م- (130ص-24سم).

137- الزحيلي : وهبة- الإنسان في القرآن الكريم- مجلة الحضارة الإسلامية- ع:4.

138- الحسني : محمد الهادي- مالك بن نبي : لمحات من حياته وقبسات من فكره- مجلة الموافقات- ع :3- الجزائر- المعهد الوطني العالي لأصول الدين- ذو الحجة 1414هـ/جوان 1997م- (432ص-27سم).

139- المرزقي : محمد اكرم- كيف نفهم الحضارة ؟- مجلة منار الإسلام- س: 21، ع: 11- ذو القعدة 1416هـ/20 مارس 1966م- (130ص-24سم).

140- العماري : علي- حول إعجاز القرآن- مجلة الأزهر- هدية مجلة الأزهر المجانية- مصر- القاهرة – شوال 1419هـ- د.ر.ط- (83ص-20سم).

141- الفيومي : محمد إبراهيم- المنهج الأدبي والتفسير النقلي- مجلة الأزهر- س: 72، ج:9- جمادى الآخرة 1420هـ/سبتمبر، أكتوبر 1999م- (960ص-27سم).

142- " "- تفسير الزمخشري إمام مدرسة التسفير بالرأي- مجلة الأزهر- س: 72، ج: 3- ربيع الأول 1420هـ/ يوليو 1999م- (480ص-27سم).

143- التومي : محمد – المجتمع الإنساني في القرآن الكريم – تونس –الدار التونسية للنشر –الجزائر –المؤسسة الوطنية للكتاب –1407هـ/1986م) –د.ر.ط –(527ص-23سم).

144- التومي : محمد علي- وظيفة الإنسان الحضاري- ارتباط تكوين الإنسان بوظيفته الحضارية- مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- ع:5- الجزائر- عين مليلة- دار الهدى- رمضان 1414هـ/مارس 1994م.

145- الشافعي : إبراهيم محمد-الجاحظ (ت : 255هـ)- من أعلام التربية العربية الإسلامية- د.م.ط- مكتب التربية العربي لدول الخليج- 1409هـ/1988م- (331ص-24سم).

146- امزيان : محمد- أصول المنهج المعرفي من القرآن والسنة- مجلة المسلم المعاصر-س: 22، ع: 87- شوال، ذو القعدة، ذو الحجة 1418هـ/فبراير، مارس، أبريل 1998م- (223ص-24سم).

147- أمين : محمود جمعة- الفكر الأدبي في كشاف الزمخشري- مجلة الأزهر- س: 65، ج : 10، القسم : 2- شوال 1413هـ/أبريل 1993م- (1648ص-27سم).

148- " "- الفكر الأدبي في كشاف الزمخشري- مجلة الأزهر- س: 65، ج: 12، القسم: 4- ذو الحجة 1413هـ/يونيه 1993م- (1984ص-27سم).

149- عبد القادر : بوعزة- محاضرة تمهيدية في مشكلات الحضارة- حولية الجامعة- ع: 5- الجزائر- جامعة وهران- ديوان المطبوعات الجامعية- مطبعة الجهوية- 1998م (315ص-24سم).

150- عبد الكريم : بكري- اثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث- مجلة الحضارة الإسلامية- (عدد خاص بالملتقى الدولي الإسلام والدراسات المستقبلية)- ع: 6- رمضان 1420هـ/ديسمبر 1999م- (548ص-24سم).

151- عبد الرحمن : طه- القرآن الكريم وتأثيره في الدراسات العربية- مجلة منار الإسلامية- 1416هـ/1996م- (130ص-24سم).

152- ونتن : مصطفى- القرآن في الفكر الشيخ الغزالي- مجلة المعيار- ع: 1- الجزائر- قسنطينة- جامعة الأمير عبد القادر- كلية أصول الدين والشريعة- 1422هـ/2001م- (233ص-24سم).

153- زروخي : إسماعيل- الدين وحوار الحضارات في فكر مالك بن نبي- مجلة المعيار- ع: 3- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- كلية أصول الدين الشريعة والحضارة الإسلامية- الجزائر- غرداية- المطبعة العربية- رمضان 1423هـ/نوفمبر 2002م- (301ص-24سم).

154- حافظ : احمد مصطفى- مصطفى صادق الرافعي في مرآة الدكتور محمد رجب البيومي- مجلة الأزهر- س: 70، ج: 7، القسم: 1- رجب 1418هـ/نوفمبر 1997م- (1224ص-27سم).

155- " "- مصطفى صادق الرافعي في مرآة الدكتور محمد رجب البيومي- مجلة الأزهر- س: 70، ج: 8، القسم: 2- شعبان 1418هـ/ديسمبر 1997م- (1408ص-27سم).

156- " "- مصطفى صادق الرافعي في مرآة الدكتور محمد رجب البيومي- مجلة الأزهر- س: 70، ج: 9، القسم: 3- رمضان 1418هـ/يناير 1997م- (1560ص-27سم).

157- " "- مصطفى صادق الرافعي في ذكراه التاسعة والخمسين (1880م-1937م)- مجلة الأزهر- س: 69، ج: 1، الفصل: 1- محرم 1417هـ/مايو، يونيو 1996م- (160ص-27سم).

158- " "- مصطفى صادق الرافعي في مرآة الدكتور محمد رجب البيومي- مجلة الأزهر- س: 69، ج: 2، الفصل : 2- صفر 1417هـ/يونيه، يوليو 1996م- (304ص-27سم)

159- طه : مصطفى محمد- نظرات في الفكر الإسلامي المعاصر : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي- مجلة منار الإسلام- س: 24، ع: 8- شعبان 1419هـ/ديسمبر 1998م - (110ص-27سم).

160- مولاي : محمد سعيد- إشكالية الحضارة عند مالك بن نبي- مجلة الموافقات-ع:3

161- مومني : ماجد احمد- الإسلام دين الحضارة المثلى- مجلة هدي الإسلام- ع:5،6، مج : 33- الأردن- مطابع وزارة الأوقاف- إصدار وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية- 1409هـ/1989م.

162- ناصف : عبد السلام إبراهيم- أبو زهرة عالما إسلاميا حياته ومنهجه في بحوثه وكتبه- مجلة الأزهر- س: 70، ج: 2- صفر 1418هـ/يونيه 1997م- (352ص- 27سم).

163- صان الدين : محمد عبد الرحمن- مصفطى صادق الرافعي في عقد فرائده (وحي القلم)- مجلة الأزهر- س: 60، ج: 10- شوال 1408هـ/مايو، يونيو 1988م- (1415ص- 27سم).

164- صقر : عبد العزيز- القرآن وحاجة الإنسانية إليه- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية- س: 8، ع: 20- الكويت- مجلس النشر العلمي- جامعة الكويت- ذو القعدة 1413هـ/ مايو 1993م- (338ص-24سم).

165- الطاهر : عامر- دورة الحضارة بين ابن خلدون وابن باديس وابن نبي- مجلة الموافقات- ع: 3- ذو الحجة 1414هـ/ جوان 1994م- (432ص-27سم).

166- عباس : محمد- أدبية التفسير عند عبد القاهر الجرجاني- حوليات الجامعة للبحوث الإسلامية والعلمية- ع: 3- الجزائر- وهران- جامعة وهران- 1996م- (205ص- 24سم).

167- عباس : فضل حسن- الكلمة القرآنية وعلماء البيان- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية- س: 2، ع: 4- ربيع الأول 1406هـ/ديسمبر 1985م- (268ص-24سم).

168- " "- مع القرآن الكريم في تأويله : حول البيان القرآني- مجلة منار الإسلام- س: 3، ع: 1- المطبعة العصرية- محرم 1398هـ/يناير 1978م- (130ص-24سم).

169- عبد الواحد : رياض- قصة الأوتاد في النص القرآني- مجلة منار الإسلام- س: 25، ع: 7- رجب 1420هـ/أكتوبر 1999م- (98ص-27سم).

170- عدارية : إسماعيل يحي رضوان- البناء الروحي والخلقي للإنسان في الشرائع السابقة وفي شريعة الإسلام- مجلة الحضارة الإسلامية- ع: 4.

171- عفيفي : عفيفي محمود- أسرار بيولوجية في ألفاظ قرآنية- مجلة منار الإسلام- س: 24، ع: 5- جمادى الأولى 1419هـ/1998م- (98ص-27سم).

172- عشراتي : سليمان- التدليلية في التفسير الكبير لفخر الرازي- مجلة الحضارة الإسلامية- ع: 3- رجب 1418هـ/نوفمبر 1997م- (271ص-24سم).
173- قسوم : عبد الرزاق- إشكالية الحضارة في فكر مالك بن نبي- مجلة الموافقات- ع: 3.
174- رجب : رجب مصطفى- مفهوم القوة في القرآن الكريم- مجلة منار الإسلام- س: 8، ع:24.
175- رياح : مصطفى- من أسباب اختلاف المفسرين- مجلة منار الإسلام- س: 25، ع: 6- جمادى الآخرة 1420هـ/ سبتمبر 1999م- (98ص-27سم).
176- سيد : بركات محمد مراد- ابن باديس المجدد الديني والمصلح الاجتماعي- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية- س: 11، ع: 3- شعبان 1417هـ/ديسمبر 1996م- (300ص-24سم).
177- تيتوح : يوسف- الإمام فخر الدين الرازي متكلما- مجلة الموافقات- ع: 3.
178- خليفة : كمال سعد- الأديب الأصم / مصطفى الرافعي رائد الأدب الإسلامي- مجلة منار الإسلام- س: 20، ع: 2، القسم :1- صفر 1415هـ/يوليو 1994م- (130ص-24سم).
179- " "- قضايا شغلت فكر الرافعي ماذا قال عنه النقاد- مجلة منار الإسلام- ربيع الأول 1415هـ/أغسطس 1994م- (130ص-24سم).
180- خضر : سيد- هل في القرآن مترادفات ؟- مجلة منار الإسلام- س: 25، ع:2- صفر 1420هـ/مايو 1999م- (98ص-27سم).
181- شاهين : توفيق محمد- أساس البلاغة للإمام الزمخشري رحمه الله- مجلة الأزهر- س: 65، ج: 2- صفر 1413هـ/أغسطس 1992م- (288ص- 27سم).
182- شراد : شلتاغ عبود- السمات العامة لأسلوب الرافعي- مجلة الأزهر- س: 61، ج: 6- جمادى الآخرة 1409هـ/ يناير 1989م- (751ص-27سم).

فهرس الموضوعات

قبس ----------أ

كلمة شكر ----------ب

الكلمات المفتاحية ----------د

المقدمة ----------1

الفصل الأول: مفهوم وأوصاف القرآن وثنائية الهداية والعصيان من خلاله

المبحث الأول: مفهوم القرآن الكريم ---------- 10

المطلب الأول: التعريف اللغوي للقرآن ----------12

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم ----------16

المطلب الثالث: أسماء القرآن ----------19

المبحث الثاني: أوصاف القرآن ---------- 22

المطلب الأول: افتراءات الحاقدين والرد عليها ----------25

الشبهة الأولى: في مصدر القرآن ----------26

الشبهة الثانية:في أسلوب القرآن ----------28

الشبهة الثالثة: في ترتيب سوره ----------32

المطلب الثاني: شهادات المنصفين من الأدباء والبلغاء والمستشرقين----------33

أولا –شهادة بلغاء العرب ----------33

ثانيا – شهادة عمالقة الأدباء ----------34

ثالثا –شهادة المنصفين من المستشرقين ----------34

المطلب الثالث: الوصف المتميز للقرآن الكريم ----------36

المبحث الثالث: ثنائية الهداية والعصيان ---------- 40

المطلب الأول: الأخلاق الكريمة سبيل إلى العلو في مراتب التقدير ----------44

المطلب الثاني: الأخلاق التوحيدية إقرار بلزوم مقاومة الشر، وإقرار بفكرة الجزاء ---45

المطلب الثالث: أمانة التكليف ----------49

الفصل الثاني: جدلية الصلاح و الفساد في القرآن الكريم

المبحث الأول: نظرة شمولية على أخبار القرآن في قيام حضارة الأمم الهالكة -------- 55

المطلب الأول: مفهوم الحضارة وتطورها ---------- 57

أولا –تعريف الحضارة ---------- 57

ثانيا–آراء المفكرين والفلاسفة في قيام الحضارة ---------- 58

ثالثا–كيفية تطور الحضارات ---------- 59

رابعا– الفرق بين الحضارة و المدنية و الثقافة ---------- 61

أ– الثقافة ---------- 61

ب– المدنية ---------- 62

ج– الحضارة ---------- 62

المطلب الثاني: دورة الحضارة بين ابن خلدون وابن باديس وابن نبي ---------- 63

أولا– آراء ابن خلدون ---------- 64

ثانيا – آراء ابن باديس ---------- 66

ثالثا – آراء ابن نبي ---------- 67

1] من حيث تركيبها ---------- 68

2] حيث وظيفتها ---------- 68

3] من حيث تاريخها ---------- 68

المطلب الثالث: حضارة الأمم الهالك ---------- 72

أولا – حضارة العاديين قوم هود ---------- 73

1] نسب عاد ---------- 74

2] قصة عاد في القرآن الكريم ---------- 75

3] قصة عاد في التاريخ القديم ---------- 76

ثانيا – حضارة الثموديين قوم صالح ---------- 77

1] أصل ثمود ---------- 78

2] قصة ثمود في التاريخ القديم ---------- 78

3] قصة ثمود في القرآن الكريم ---------- 80

ثالثا – حضارة سبأ المبادة بسيل العرم ---------- 81
1] قصة سيل العرم في القرآن الكريم ---------- 81
2] الأخبار في الروايات العربية ---------- 82
3] سد مأرب و تهدمه ---------- 83
المبحث الثاني: أسباب سقوط حضارات الأمم الهالكة ---------- 84
المطلب الأول: ديانة الأمم التي داهمها الهلاك ---------- 87
أولا – موسى عليه السلام وفرعون ---------- 88
أ- ادعاء فرعون الألوهية ---------- 90
ب-دعوة موسى عليه السلام ---------- 92
ج-الآيات المرسلة فيهم ---------- 93
ثانيا –نوح عليه السلام ---------- 95
أ- معبودات قوم نوح ---------- 95
ب- دعوة نوح عليه السلام ---------- 96
ج- الآيات المرسلة فيهم ---------- 97
المطلب الثاني: أسباب الهلاك ---------- 99
1- أسباب عقائدية ---------- 101
أ- الشرك بالله ---------- 101
ب- الكفر بنعم الله ---------- 103
2- أسباب أخلاقية ---------- 103
أ- الفاحشة ---------- 103
ب- الكبر ---------- 104
3- أسباب اقتصادية ---------- 106
أ- الغش ---------- 106
ب- البخل ---------- 107
الفصل الثالث: الرؤية الجمالية والفنية في القصة القرآنية في وصف أوضاع النقمة وإهلاك الضالين
المبحث الأول: الرؤية الجمالية والفنية القرآنية عند الأقدمين ---------- 112
المطلب الأول: الكلمة القرآنية وعلماء البيان ---------- 115

أولا – الجاحظ ---------- 16
ثانيا – الرماني ---------- 120
ثالثا – الخطابي ---------- 122
رابعا –الباقلاني ---------- 124
المطلب الثاني: نظرية النظم وآراء العلماء ---------- 128
أولا –عبد القاهر الجرجاني ---------- 129
ثانيا –الزمخشري ---------- 136
ثالثا –فخر الدين الرازي ---------- 142
المبحث الثاني: الرؤية الجمالية والفنية عند المحدثين ---------- 145
المطلب الأول: التطبيقات الفنية في القصة القرآنية ---------- 147
أولا –الطاهر بن عاشور ---------- 147
ثانيا –عبد الحميد بن باديس ---------- 152
ثالثا –محمد أبو زهرة ---------- 156
المطلب الثاني: الإشارات البلاغية في القصة القرآنية ---------- 159
أولا –مصطفى الصادق الرافعي ---------- 159
ثانيا –الشيخ محمد الغزالي ---------- 166
الخاتمة ---------- 176
ملحق الفهارس ---------- 178
فهرس الآيات القرآنية ---------- 179
فهرس الأحاديث النبوية---------- 193
فهرس الأعلام ---------- 194
فهرس المصادر والمراجع ---------- 175
فهرس الموضوعات---------- 212